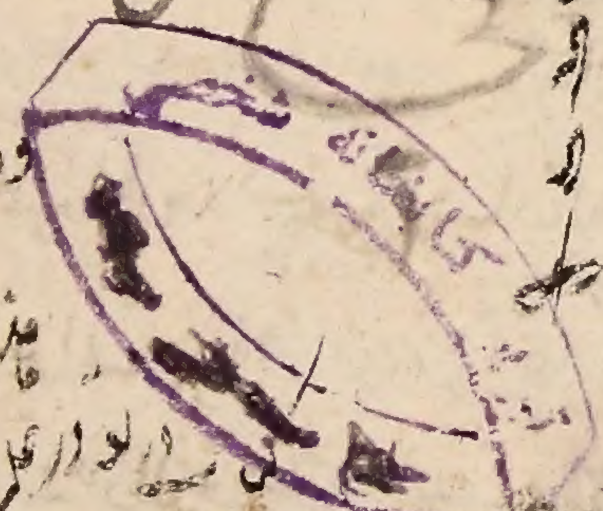
کتاب الذریعة الی مکارم الشریعة تألیف الامام الکامل المکمل الحسین الراغب رحمه الله



كتاب الذريعة في مكارم الشريعة
تأليف الامام الكامل المكمل
الحسين الراغب رحمه الله
عليه وقدس الله

اذا ما رابك الأمر فدعه
وجاوزه الى ما لا تستريب

كتاب ذريعه در علم اخلاق تصنيف فاضل متبحر حسين راغب اصفهانى از فضلاء مشهورست

١٢٧

١٢٩٤

هذا

كتاب الذريعة

في مكارم الشريعة للراغب

الاصفهاني وهو حسين بن محمد بن المفضل

بن محمد وكان في اواخر عصر مايتين خمسمائة

وستمائة وكان وفاته في سنة ٥٦٥

وهو شافعي المذهب

بسم الله الرحمن الرحيم

نسال الله بجوده الذي هو سبب الوجود نور الهدينا الى الاقبال ويميل بنا الى الاصغاء اليه

ويدلنا على حسن معاملته والقوة على النفاذ في طاعته وان يجعلنا من جملة من ضمن ان

يحرسهم عن غائلة الشيطان حيث قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وجعل لهم السلطان

مثنويه اللعين حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ولله

الحمد وصلوته على محمد النبي واله قال الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل

الراغب رحمة الله كنت اشرت فيما امليته من كتاب تحقيق البيان في تاويل القران

الى الفرق بين احكام الشريعة ومكارمها وان المكارم المطلقة هي اسم لما لا يتحاشى

من وصف البارى جل ثناؤه باكثرها نحو الحكمة والجود والحلم والعفو وان كان وصفه

تعالى بذلك على حد اشرف مما يوصف به البشر وان الاحكام يتناول ذلك والعبادات

وانه باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف بكونه خليفة الله المعنى

بقوله عز وجل اني جاعل في الارض خليفة وبقوله ويستخلفكم في الارض فينظر كيف

تعملون وقوله وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات

ليبلوكم فيما اتيكم واشرت ان خلافة الله عز وجل لا يصح الا لطهارة النفس كما ان اشرف

العبادات لا يصح الا بطهارة الجسم وقد استخرت الله تعالى الان وعملت في ذلك كتابا

ليكون ذريعة الى مكارم الشريعة وبينت كيف يصل الانسان الى منزلة العبودية التي جعلها الله

شرفا للاتقياء وكيف يترقى عنها اذا وصلها الى منزلة

تعالى

منزلة الخلافة التي جعلها شرفا للصديقين والشهداء في الجمع بين احكام الشريعة

ومكارمها علما وابرازها عملا ليكتسب العلى ويتم التقوى ويتبلغ الى جنة المأوى

ورغبني ايها الفاضل ارشدك الله واعاذك من شر نفسك في تصنيفه ما رايت

من تشوقك بان تزين ما اولاه الله تعالى من حسن خلقك وخلقك بما تتولاه من تحسين

ادبك واكمال مروتك فالجنة والصبيح ان تحصل وراءه الرائي الصحيح

حتى تصادف اترجا طيب مطعما ولونا وطاب العود والورق فما

اقبح بالمرء ان يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها

بوم وصرمة يحرسها ذيب كما قال الحكيم لجاهل صبيح الوجه اما البيت

فحسن واما ساكنه فردي وان يكون باعتباره بلثغة ماله وحسن اثاثه

ثوبا عليه خلق فقد سمى بعض الحكما الاغبياء تيوسا صوفها درر وحرا

جلالها حبر ودخل حكيم على رجل فراى دارا منجدة وفرشا مبسوطة وراى

صاحبها خلوا من الفضيلة فبزق في وجهه فقال له ما هذا السفه ايها

الحكيم فقال بل هذا الحكمة ان البزاق ليرمى الى اخس مكان في الدار ولم ار

في دارك اخس منك فنبهه بذلك على دناءة الجهل وان قبحه لا يزول

باذخار القنيات ❁ فكن ايها الاخ عالما وبعملك عاملا تكن من اوليا

الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولا تخلد الى الشيطان ان يستميلك

ويغويك [illegible] اعراض الدنيا وزخارفها فيجعلك [illegible] ليابيه ويحوقل بو [illegible]

كما قال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف [illegible] [illegible] واعلم ان اقبح

بني العقل ان يكون بهيمة وقال [illegible] ان [illegible] [illegible] انا واونسا او قد

امكنه ان يكون ملكا وان يرضى بقنية معارة وحيوة مستردة وله ان يتخلد
مخلدة وحيوة مؤبدة فلم ير في عيوب الناس عيبا شيئا كنقص القادرين على التمام
وان اردت ان تعرف بقاء العلماء الاتقياء فاعتبر ما قاله على رضى الله (امير المؤمنين)
هلك خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة
وآثارهم موجودة وان اردت ان تشاهدهم في الجنة يتنعمون فاستفد
حال حارثة حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم اصبحت مؤمنا حقا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال في جملة
جوابه وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فصدقه صلى الله عليه وسلم فقال له
عرفت فالزم ولا يحجبنك عن طلب ذلك وادراكه الذين يصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون فقد وصفهم
الله تعالى بالصم والعمى فقال ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
ثم ذمهم بقوله اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ثم فرق بينهم وبين من ضادهم فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع
والبصير هل يستويان مثلا افلا تذكرون فاخبر انهم لا يسمعون ولا يبصرون
لفقدان سمع القلب وبصيرته الذين بهما ينال حقائق المسموعات
والمبصرات الفصل الاول في احوال الانسان وقواه وفضيلته ورذيلته (ذكر الفصول)
الاول مثل اهل الدنيا فيما يتحوله ٢ مائية الانسان
وكيفية تركيبه ٣ في قوى الانسان ٤ تعاون القوى الروحانية
كيفية ادراكها ٥ بيان فضيلة الانسان على سائر الحيوان ٦

بيان ما به يفضل الانسان ٧ كون منزلة الانسان بين البهيمة
والملك ٨ ما لاجله اوجد الانسان ٩ السياسة التي
يستحق بها خلافة الله عز وجل ١٠ الفرق بين مكارم الشريعة
وبين العبادة وعمارة الارض ١١ كون طهارة النفس شرطا
في صحة خلافة الله وكمال عبادته ١٢ فيما يفرغ اليه في
طهارة النفس ~~في صحة خلافة الله وكمال عبادته~~ ١٣
بيان منازعة الهوى للعقل ١٤ الفرق بين ما يسومه الهوى
وما يسومه العقل ١٥ في ذكر الخاطر الذي يعرض من
جهة العقل والهوى ١٦ حصول الخلق المحمود بطهارة النفس ١٧
الفرق بين الخلق والسجية والطبع والعادة ١٨ امكان
تغيير الخلق ١٩ صعوبة اصلاح القوة الشهوية
وما فيها من المضرة والمنفعة ٢٠ زيادة الانسان في
الفضايل والرذايل بتعاطيها ٢١ الفرق بين المحمود والمذموم
من التخلق ٢٢ سبب اختلاف الناس في [illegible] هم ٢٣
وجوب اكتساب الفضيلة المحمودة ٢٤ نعم الله الموهوبة

٧ التواضع والكبر ٨ الفخر ٩ العجب ١٠ انواع اللذات وتفاصيلها
١١ ما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح ١٢ ما يحسن تعاطيه من المنكح
وما يقبح منه ١٣ ذكر العفة ١٤ القناعة والزهد ١٥ الورع

الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوى الغضبية

١ ما يتبع من القوى الغضبية ٢ انواع الصبر ومدحه ٣ الشجاعة
٤ اسماء انواع الفزع والجزع والفرق بينهما والمحمود منهما وما يذم ٥ مداواة الغم
وازالة الخوف ٦ احوال الناس في محبة الموت والاحتيال لقلة المبالاة به ٧
السرور والفرح ٨ الغضب والتوبة ٩ الحلم والعفو ١٠ ثوران الغضب
وفضل كظمه ١١ الغيرة والجوار ١٢ الغبطة والمنافسة والحسد

الفصل الخامس في العدالة والظلم والمحبة والبغض

١ ذكر العدالة وفضيلتها ٢ انواع العدالة وما يستعمل ذلك فيه ٣ ما يحسن
تنكل العدالة فيه ٤ ذكر الظلم ٥ الاسباب التي تحصل منها الاضرار
٦ ذكر المكر والكيد ٧ والخديعة والحيلة ٧ مائية المحبة وانواعها
٨ فضيلة المحبة ٩ فضيلة الصداقة ١٠ ذكر المحبب في الناس ١١ الحث
على مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار ١٢ فضيلة التفرد عن الناس
وردّ ذي بلته ١٣ العداوة الفصل السادس
فيما يتعلق بالمكاسب والصناعات والانفاق والجود والبخل ١
كون الفقر وخوفه سبب نظام الناس ٢ حاجة الناس الى اجتماعهم للتظاهر
٣ تسخير الله همم الناس للصناعات المختلفة والمكاسب وعناية كل احد بما يتحراه

٤ مناسبة الابدان للصناعات ٥ وجوب التكسب ٦ مدح السعي
وذم الكسل ٧ تقاسيم الصناعات وفضيلة بعضها على بعض ٨
في ان اصول الصناعات ماخوذة عن وحي او الهام ٩ في شان الناض
المتعامل به وبيان حكمة الله فيه ١٠ مدح المال وذمه ١١ ذكر المال
والادب في اقتنائه بالوجوه التي منها تحصل ١٢ السبب لاخفاق العاقل والنجاح
للجاهل ١٣ تحقيق كون المال في ايدي الناس ١٤ تفاوت احوال
المتناولين لاعراض الدنيا ١٥ في بيان ما ورد من الآيات المتفاوتة
الظاهر في شان الدنيا ١٦ احوال الناس في مراعاة امور الدنيا والآخرة
١٧ بيان حال من يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك ١٨
ذكر الانفاق المحمود والمذموم ١٩ ذكر حقيقة السخاء والجود والشح
والبخل ٢٠ ما ينال ارباب الدنيا من العقوبة الدنيوية ٢١ فضيلة
الجود وذم البخل ٢٢ انواع الجود والمجود به الفصل السابع
في ذكر الافعال ١ انواع الافعال ٢ الفرق بين العمل والصنع
والفعل ٣ انواع الصناعات ٤ الافعال الارادية وغير الارادية
٥ ما يستحق به من الافعال اللوم وما يستحق به ذلك ٦ الاسباب التي لاجلها تنسب
الفعل الى الانسان الفصل الاول في احوال الانسان ومواده مثل اهل الدنيا
فيما يتحوّله الانسان في هذه الدار كما قال امير المؤمنين عليه السلام
الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه مبدا سفره
والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره

قه خلا
فضيلة وا
آلاو ام
آثر الشيخ يروردن

فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطاه يسار به سير السفينة براكبها
كما قال الشاعر شعر رايت اخ الدنيا وان كان خافضا اخا سفر يسرى به وهو لا يدرى
وقد دعى الى دار السلم كما قال تعالى لهم دار السلام عند ربهم
وقال والله يدعوا الى دار السلم وتوجه به اليها نحو اشرف الزهرات والذ
الثمرات جنات تجرى من تحتها الانهار بل الى جنة عرضها السموات و
الارض اعدت للمتقين لكن لما كان الطريق اليها مضلة مظلمة قد
استولى عليها اشرار وظلمة جعل الله تعالى لنا من العقل الذى ركبه
فينا وكتبه التى انزلها علينا نورا هاديا ومن عبادته التى امرنا بها
حصنا واقيا فقال تعالى فى وصف نوره الله نور السموات والارض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها
كوكب درى الاية فجعل المصباح مثلا للعقل والمشكاة مثلا لصدر
المومن والزجاجة لقلبه مثلا والشجرة المباركة وهى الزيتونة
للدين وجعلها لا شرقية ولا غربية تنبيها على انها مصونة عن الافراط
والتفريط كما قال ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم والزيت
القرآن وبين ان القرآن يمد العقل مد الزيت المصباح وانه يكاد يلقى
لوضوحه وان لم يعاضده العقل ثم قال نور على نور اى نور القرآن
ونور العقل وبين انه تخص بذلك من يشاء وبين وقال فى وصف
ما جعله لنا من الحصن ان عبادى ليس لك عليهم سلطان اى المتحصنين
بعبادتى فمن لم يقم برعاية نوره وحماية حصنه عمه فى دجا

وتمكن من استغوائه عداه كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم
مهتدون فمن لم يتزود من دنياه زاده كما امر الله تعالى بقوله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى حانت رحلته فيسترجع منه ما اعير من جسده
وذات يده فيتحسر حين لا ينفع تحسره ويقول يا ليتنا نرد ولا نكذب
بايات ربنا ويقول هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل
غير الذى كنا نعمل فحينئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل او كسبت فى ايمانها خيرا وايضا فان الانسان من وجه فى دنياه
حارث وعمله حرثه ودنياه محرثه ووقت الموت حين حصاده والاخرة
بيدره ولا تحصد الا ما زرعه ولا يكيل الا ما حصده ولهذا قال
تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له فى الاخرة من نصيب وكما ان فى البيدر مكاييل
وموازين وامناء وحفاظا ومشاهدين كذلك فى الاخرة مثل ذلك
قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
وقال وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وكما
ان فى البيدر تذرية وتمييزا بين النقاوة والحطام كذلك
فى الاخرة تمييز فى الاخرة بين الحسنات والاثام كما قال ليميز الله
الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله
فى جهنم وقال تعالى فى عمل الكفار والذين كفروا اعمالهم
اولئك هم الخاسرون

كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء وقال تعالى مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد وقال
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فمن عمل
لآخرته بورك له في كيله ووزنه وجعل له منه زاد الابد كما
قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا ومن عمل للدنيا خاب سعيه وبطل
عمله كما قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار وحبط ما صنعوا فيها الآية فاعمال الدنيا كشجرة الخلاف
بل كالدفلى والحنظل في الربيع ترى غض الاوراق حتى اذا
جاء حين الحصاد لم ينل طائلا واذا احضر مجتناه البيدر
لم يفد نائلا ومثل اعمال الآخرة كشجرة الكرم والنخل
المستقبح المنظر في الشتاء فاذا جاء وقت القطاف والاجتناء افاد
زادا وادخرت منهما عدة وعتادا والى نحوهما اشار تعالى
بقوله ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت
الى قوله يتفكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من
فوق الارض ما لها من قرار ولما كانت زهرات الدنيا رائقة
الظاهر خبيثة الباطن نهى الله تعالى عن الاغترار بها فقال
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى

خاب الرجل خيبة ولم ينل الطلب

وباطل ما كانوا يعملون

العدة ما اعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح يقال اخذ للامر عدته وعتاده بمعنى

بلغت المقابلة

باب ماهية الانسان وكيفية تركيبه الانسان مركب من جسم مدرك
بالبصر ونفس مدركة بالبصيرة واليهما اشار تعالى بقوله اني خالق بشرا
من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فالاشارة بالروح الى النفس واضافته تعالى الروح اليه تشريف لها
وعنى بها النفس المذكورة في قوله اخرجوا انفسكم ووجود النفس
في الانسان لا يحتاج ان يدل عليه لوضوح امره بل ينبه الجاحد
لها والغافل عنها بانها هي التي بحصولها في الجسم تحصل الحيوة والحركة
والحس والعلم والرأي والتمييز ويكون الجسم منظرفا بها وحاملا
ومستطابا ومستحسنا ومحببا وبفقدها تعدم هذه الاشياء فيصير
جيفة تحتاج الى عدة تحمله وهي محل الاعراض الروحانية كالجسم في
كونه محلا للاعراض الجسمانية وقد حث الله تعالى على تدبر النفس
والتفكر فيها وجعل معرفتها مقرونة بمعرفته في قوله
وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقال
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين
لهم انه الحق وكان يقال في الامم السالفة من انكر البارئ
رجم لكونه جاحدا ومن انكر النفس رحم لكونه جاهلا وقيل كان في
كتب الله المنزلة اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه
بل قد قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم

كاملا نخ

تعالى

تشبيهاً لهم انهم لما نسوه دل سيانهم اياه على نسيانهم لها وقالت الحكماء
قد ركب الله تعالى تركيباً محسوساً معقولاً على هيئة العالم واوجد فيه شبه
كل ما هو موجود في العالم حتى قيل الانسان هو عالم صغير ومختصر العالم
الكبير وذلك ليدل به على معرفة العالم فيتوصل بهما الى الانسان
~~هو عالم صغير ومختصر العالم الكبير وذلك ليدل به على معرفة العالم~~
معرفة صانعهما فغاية معرفة الانسان لباريه تعالى ان يعرف العالم
فيعلم انه موجد وان له موجداً ليس مثله تعالى الله

باب في قوى الانسان

قد جعل الله تعالى للانسان خمس قوى يدل على وجودها فيه ما يظهر
من تاثيراتها قوة الغذاء وبها النشاء والتربية والولادة وقوة الحس وبها
الاحساس وبها اللذة والالم وقوة التخييل وبها يتصور اعيان الاشياء
بعد غيبوبتها عن الحس وقوة النزوع وبها يكون الطلب للموافق
والهرب عن المخالف والرضا والغضب والايثار والكراهة وقوة
التفكر وبها يكون النطق والعقل والعلم والحكمة والتروي والتدبير (والروية نخ)
والمهنة والرأي والمشورة واما القوى المدركة منها
فخمس الحواس الخمس والخيال والفكر والعقل والحفظ واما الحواس
الخمس فلكل واحدة منها ادراك مخصوص فللمس عشر ادراكات الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة
والثقل والخفة وللذوق تسع الحلاوة والمرارة والملوحة
والحموضة والحرافة والعفوصة والتفه وللشم اثنان الطيب والنتن
والعفوصة والدسومة صح

وللسمع اثنان الصوت الخفيف والصوت الثقيل وللبصر احدى عشر
النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وابعاده
وحركاته وسكناته واعداده فادون هذه الادراكات اللمس
ثم الذوق ثم الشم فالنفس لا يكاد تستعين بها الا فيما يعود نفعها
الى صلاح الجسم وارفع الادراكات العقل ثم الفكر ثم التخييل ثم الحس
الا ان العقل والفكر يدركان الاشياء الروحانية فاما السمع والبصر
فمتوسطان فانهما يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس اكثر
ويدركان الاشياء الجسمانية والتخيل متوسط بين الفكر والعقل
وبين السمع والبصر فتارة ياخذ من السمع والبصر ويسلمه الى
العقل والفكر وذلك في حال اليقظة وياخذ تارة
من العقل والفكر ويسلمه الى السمع والبصر وذلك في حال النوم
ولما كان تاثيرات هذه القوى من الدماغ قيل مسكن الفكر
وسط الدماغ ومسكن الخيال مقدمه ومسكن الحفظ والذكر
مؤخره ولما كان قوام الدماغ بل قوام الجسم كله من القلب الذي
منه منشأ الحرارة الغريزية صار في كلام الناس يعبر
عن هذه القوى مرة بالدماغ فيقال لفلان دماغ اذا قوي

منه هذه القوى المدركة وفلان خالي الدماغ اذا ضعف فيه
هذه القوى ويعبر عنها تارة بالقلب والثاني اكثر وعلى ذلك
قول الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ولما
كان ادراك الحقايق بهذه القوى المدركة وكانت الفكرة خادمة للعقل
والتخيل خادما للعقل والفكر تارة وللسمع والبصر تارة خص الله
تعالى بالذكر القلب وهو احد الطرفين والسمع والبصر وهو الطرف
الآخر ولذلك عظم الله تعالى المنة على الانسان باعطايه اياه هذه الثلثة
وحمد من استعملها وذم من اهملها فقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة وقال في ذم من لا ينتفع بها لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم
اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وقال صم
بكم عمي فهم لا يعقلون اي لا يفهمون المعنى كانهم لا يسمعون
الاصوات ولا يبصرون الذوات وجعلهم بكما من حيث انهم لا
يوردون معنى مستنبطا بالفكر ومدركا بالعقل واعلم ان
السمع والبصر كالاخوين يخدم كل واحد منهما صاحبه في ادراكه
فقد ينوب السمع عن البصر في ابلاغ القلب بما ياخذه عن اللفظ
فيدرك في ساعة ما لا يدركه البصر في برهة وينوب البصر عن السمع

في ابلاغ القلب مطالعة الكتب ما لا يدركه السمع في مدة سيما اذا كان
اذا كان المخاطب ناقص العبارة او غير متثبت في الكلام ودق
المعنى وغمض عن الافهام

باب تعاون القوى الروحانية وكيفيات ادراكها

القوى الروحانيات متعاونات في
ادراكها حق رسوم المعلومات فان الخيال يتصور المحسوس فيبقى
فيه صورته الروحانية فينتقش بها انتقاش الشمع بصورة الختم
ثم ياخذه الفكرة فيميز بعضها عن بعض بنور العقل فيبحث
عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم يؤديه الى القوة الحافظة
فان اراد ابرازه لفظا سلط عليه القوة الناطقة فيعبر
عنها باللسان وان اراد ابرازه فعلا سلط عليه القوة
العاملة فتوجده بالجوارح وقد ذكر بعض الحكماء مثلا
لهذه القوى يقرب منه تصور تاثيراتها فقال ان القوة
المفكرة ومسكنها وسط الدماغ بمنزلة الملك يسكن وسط
المملكة والخيالية ومسكنها مقدم الدماغ جارية مجرى صاحب
بريد والحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ جارية مجرى خازنه
والقوة الناطقة جارية مجرى ترجمانه والعاملة جارية
مجرى كاتبه والحواس جارية مجرى الجواسيس واصحاب الاخبار
الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الاخبار فيلتقط كل واحد
الخبر من الصقع الذي وكل به فيرفعه الى صاحب البريد
وصاحب البريد يسقط ما يراه حشوا ويرفع الباقي صافيا الى الحضرة

الملك فيميزه ويعرف منافعه ومضاره ويسلمه الى خازنه الى وقت
الحاجة فحينئذ يتقدم باخراجه قالوا وكان للملك افعالا يستعين
فيها بغيره وافعالا يتفرد فيها هو بنفسه والافعال التي يتولاها بنفسه
اشرف مما يفوضها الى غيره كذلك للقوة المفكرة افعال يفوضها الى
غيرها وافعال تختص هي بها وهي الروية والفكر والاعتبار والتصور
والقياس والفراسة فبهذه الاشياء تدبير الامور واستخراج الغوامض
وتحصيل التجربة واستنباط المجهول بتوسط المعلوم والاطلاع
على الاسرار ونحو هذا المثل ما روي ان كعب الاحبار قال دخلت على عايشة
رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان
ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب
جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم باب

بيان فضيلة الانسان على ساير الحيوان

الانسان فضل على الحيوانات
كلها في نفسه وجسمه اما فضله في نفسه فبالقوى المفكرة التي
بها العقل والعلم والحكمة والتدبير والراي فان البهايم وان كانت
كلها تحس وبعضها يتخيل وليس لها فكر ولا روية ولا استنباط المجهول
بالمعلوم ولا تعرف علل الاشيا واسبابها وليس في قويها تعلم
الصناعات الفكرية وانما يتعلم بعضها بعض الصناعات المتخيلة واولها
في ذلك الفيل والقرد واما فضله في جسمه فباليد العاملة و
اللسان الناطق وانتصاب القامة الدال على استيلايه على كل
ما في هذا العالم وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله لقد خلقنا

١٠

فاحسن صوركم ص

الانسان في احسن تقويم وبقوله وصوركم ولم يعن الصورة
[الت]خطيطية فقط بل عنا ما في الصورة المعقولة ولتشريفها تعالى اياه
بذلك قال ولقد كرمنا بني آدم الى قوله وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا ومن زعم ان الانسان خلق خلقة ضعيفة ناقصة
عن الوحشيات من حيث لم يكف الملبس كما كفيته ولم يعط سلاحا في ذاته
كما اعطي كثير منها فنظره ناقص اذ قد اعطي الانسان بدل ذلك
التمييز الذي مكنه ان يتخذ به كل ملبس وكل سلاح حسب ما يريد
[وجعل]نا له متى اراد وبضعه متى احب ثم لو اعطي الانسان بعض
الاسلحة الذي اعطيته لم تمكنه ان يستعمل غيره كالوحشيات ولهذا
لو اعطي ذلك لكان من الحق ان لا يعطى التمييز لانه حينئذ يستغني
عنه فيبطل فايدته التمييز وفعل الله منزه عن ذلك ان قيل
[ف]ليف قال تعالى خلق الانسان ضعيفا فاستضعفه قيل ضعفه
بالاضافة الى الملا الاعلى لما فيه من الحاجات البدنية التي كفيها وا[علم]
ان كل ما اوجد في هذه فانما اوجد لاجل الانسان اما لانتفاعه به كالخيل
[و]البغال[و]الساو كالاغذية له كالبقر والغنم والحبوب والثمار واما الانتفاع العالم
[با]نتفاع ما ينتفع به الانسان كالعشب والحشرات وما لا يعرف الانسان نفعه
نفعه فليس يخرج من كونه نافعا وقد ذكر الحكما نفع جلها وما لا سبيل
[س]بيل لبعضنا او لكلنا الى معرفة نفعه فليس جهلنا به قادحا في حكمة
[حك]مة الله تعالى في ايجاده فرب شي جهلنا نفعه وقد سخر لمعرفته
بعض الحيوان كالشجر الذي فيه العسل بالقوة وما سخر لمعرفته

وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات

واستخراجه لتاء النحل وما البق من انكر حكمة الله تعالى الجهلة ان ينشك
ومل على بأن لا يفهم البقر **باب بيان ما يفضل به الانسان**
الانسان وان كان هو بكونه انسانا افضل موجود فذلك بشرط ان
يراعي ما به صار انسانا وهو العلم والعمل المحكم فبقدر وجود ذلك المعنى
فيه يفضل ولهذا قيل الناس ابناء ما يحسنون اي ما يعرفون الحق و
يعملون من العلوم والاعمال الحسنة يقال احسن فلان اذا عمل حسنا
واذا علم فالانسان من حيث ما يتغذى ويتنسل فنبات ومن حيث
ما يتحرك ويحس فحيوان ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة
في جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه ولهذا قيل ما الانسان
لولا اللسان الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة فالانسان يضارع الملك
بقوة النطق والعلم والفهم ويضارع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح فمن
صرف همته كلها الى تربية الفكرة بالعلم والعمل فخليق ان يلحق
بافق الملك فيسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم
ومن صرف همته كلها الى تربية القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية
يأكل كما تأكل الانعام فخليق بان يلحق بافق البهائم فيصير اما غمرا كثور
واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او حقودا كجمل او متكبرا
كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد
وعلى ذلك قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
اولئك شر مكانا ولكون كثير ممن صورته صورة الانسان وليس
هو في الحقيقة الا كبعض الحيوان قال تعالى في الذين لا يعقلون عن الله نواهيه
ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقال ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا

الحق

كفروا فهم لا يؤمنون فبين ان الذين كفروا لم يستعملوا القوة التي جعلها الله
تعالى لهم شر من الدواب وقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي مثل واعظ الكفار كناعق لاغنام تبينها انهم
فيما يقال لهم كالبهائم وبهذا النظر عبر الشاعر عن بعض من ذمه
فقال اللؤم اكرم من وبر ووالده واللؤم اكرم من وبر وما ولد
ولم يقل ومن ولد تنبيها على انه لا يستحق ان يقال له من لكونه بهيمة
وعلى هذا قال المتنبي تخطى اذا جئت في استفهامها بمن ولما ذكرنا
لم يكن بعض هذه الانواع وبعضه من التفاوت ما بين انسان وانسان
فانك قد ترى واحدا كعشرة بل واحدا كمائة وعشرة اخر هدرة دون
واحد كما قيل لامراة اعشرة هذه احب اليك ام واحد كعشرة بل
قد ترى واحدا كالف والف مثل واحد كما قال الشاعر **شعر**
ولم ار امثال الرجال تفاوتا لدى المجد حتى عد الف بواحد
بل قد ترى واحدا كعشرة آلاف وترى عشرة آلاف دون واحد كما قال
عليه السلم وهو اصدق قيلا الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة والابل
في تعارفهم اسم لمائة بعير فمائة ابل هي عشرة آلاف بعير بل لو قيل
قد يرى واحد كعالم او عالم مثل واحد لجاز كما قال عليه السلم وزنت
بامتي فرجحتهم وعلى هذا قال ابو نواس وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
باب كون الانسان بين البهيمة والملك الانسان لما ركب تركيبا
بين بهيمة وملك فشبهه بالبهائم بما فيه من الشهوات البدنية من الماكل
والمشارب والمناكح وشبهه بالملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة
والعدالة والجود صار واسطة بين جوهرين خسيس ونفيس ولهذا
شريف ووضيع

خلو
حولي بحل مكان منهم

وعشرة

ساقطة لا عبارة لها

في واحد

ولهذا قال تعالى وهديناه النجدين فالنجدان من وجه العقل والهوى
ومن وجه الآخرة والدنيا ومن وجه الايمان والكفر ومن وجه
الهدى والضلالة ومن وجه موالاة الله وموالاة الشيطان المذكوران
في قول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور الى الظلمات ومن وجه النور والظلمة المذكوران في هذه الآية
اى الفضيلة والنقيصة ومن وجه الحيوة والموت المذكوران في
قوله او من كان ميتا فاحييناه فمن وفقه الله للهدى واعطاه
قوة لبلوغ المدى فراعى نفسه وزكاها فقد افلح ومن حرمه التوفيق
فاهمل نفسه ودساها فقد خاب وخسر كما قال تعالى قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها **باب لما جله اوجد الانسان** الانسان من حيث
ما هو انسان فكل واحد كالآخر فالارض من تربة والناس من رجل
وانما يشرف بان يوجد كاملا في المعنى الذي من اجله اوجد وبيان
ذلك ان كل نوع اوجده الله تعالى في هذا العالم او هدى بعض الخلوق الى
ايجاده وصنعته فانه موجد لفعل يختص به ولولاه لما وجد وله
غرض لاجله خص بما خص به كالبعير انما خص بذلك ليبلغنا و
اثقالنا الى بلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس والفرس ليكون لنا
جناحا نطير به والمنشار والمنحت لنصلح بهما الباب والسرير ونحوهما
والباب لنحرز به البيت فالفعل المختص بالانسان ثلثة عمارة الارض
المذكورة في قوله واستعمركم فيها وذلك ما به تزجية المعاش لنفسه
او لنفسه وغيره وعبادته المذكورة في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس

الا ليعبدون وذلك هو الامتثال للبارى عز اسمه في اوامره
ونواهيه وخلافته المذكورة في قوله عز وجل ويستخلفكم في
الارض فينظر كيف تعملون وغيرها من الآيات وذلك هو الاقتداء
بالبارى عز اسمه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم
الشريعة ومكارم الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس والحلم
والاحسان والقصد منهما ان يتبلغ بها الى جنة المأوى وجوار رب
العزة تعالى وكل ما اوجد لفعل ما فشرفه لتمام وجود ذلك
الفعل منه ودناءته لفقدان ذلك الفعل كالفرس للعدو والسيف
للعمل المختص به في القتال ومتى لم يوجد فيه ذلك المعنى الذي
لاجله اوجد كان ناقصا فاما ان يطرح طرحا او يرد الى منزلة
النوع الذي هو دونه كالفرس اذا لم يصلح للعدو اتخذ حمولة
او اعد اكولة فمن لم يصلح لخلافة الله تعالى ولا لعبادته ولا لاستعمار
ارضه فالبهيمة خير منه وكذلك قال تعالى في ذم الذين تكلوا
هذه الفضيلة ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا **باب في السياسة**
التي يستحق بها خلافة الله تعالى قد تقدم ان الخلافة تستحق بالسياسة
وذلك بتحري مكارم الشريعة والسياسة ضربان احدهما سياسة
الانسان نفسه وبدنه وما يختص به والثاني سياسة غيره
من ذويه واهل بلده ولا يصلح لسياسة نفسه ولهذا ذم الله
تعالى من ترشح لسياسة غيره فامر بالمعروف ونهى عن المنكر
وهو غير متهذب في نفسه فقال اتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وقال لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا

الذين ح

٢

عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى يا ايها امنوا عليكم انفسكم
اي هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم وبهذا النظر قيل تفقهوا
قبل ان تسودوا تنبيها انكم لا تصلحون للسيادة قبل معرفة الفقه
والسياسة العامية ولان السايس يجري من المسوس مجرى ذي
الظل من الظل ومحال ان يعوج ذو الظل ويستقيم ظله ولذلك روي
السلطان ظل الله في الارض ولاحالة ان يهتدي المسوس
مع كون السايس ضالا قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات
الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر
فعلم انه محال ان يكون مع اتباعه الشيطان يامر الا بالفحشا

الفرق بين مكارم الشريعة [ومن العبادة وعمارة الارض] اما مكارم الشريعة فمبداها
طهارة النفس بالتعلم واستعمال العفة والصبر والعدالة ونهايتها
التخصص بالحكمة والجود والاحسان والحلم فبالتعلم يتوصل الى الحكمة
وباستعمال العفة يتوصل الى الجود وباستعمال الصبر يدرك الشجاعة
والحلم وباستعمال العدل تصح الافعال ومن حصل له ذلك فقد
تدرع المكرمة المعنية بقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وصلح
لخلافة الله تعالى وصار من الربانيين والشهداء والصديقين
واعلم ان العبادة اعم من المكرمة فان كل مكرمة عبادة وليس
كل عبادة مكرمة ومن الفرق بينهما ان للعبادات فرايض
معلومة وحدود مرسومة وتاركها يصير ظالما متعديا والمكارم
بخلافها ولن يستكمل الانسان مكارم الشرع ما لم يقم بوظايف العبادات
فتحري العبادات من باب العدل وتحري المكارم من باب الافضال

والشر

فاسمد الفرض له

١٣

والنفل ولا يقبل تنفل من لم يعمل الفرايض ولا تفضل من ترك العدل
من اهمل بل لا يصح تعاطي التفضل الا بعد العدل فان العدل فعل ما
يجب والتفضل زيادة على ما يجب وكيف من اهمل يصح تصور الزيادة
على شي هو غير حاصل في ذاته ولهذا قيل لا يستطيع الوصول من ضيع
الاصول فمن شغله الفرض عن الفضل فمعذور ومن شغله الفضل
عن الفرض فمغرور وقد اشار تعالى بالعدل الى الاحكام وبالاحسان
الى المكارم بقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله
يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون ففعل الخير هو الزيادة على العبادة واما عمارة الارض
فالقيام بما فيه تزجية محياة الناس وصلاح معاشهم فالانسان
الواحد من حيث لم يكف امر معاشه بانفراده من ماكله وملبسه
ومسكنه ولم يكن له سبيل الى ثباته في الدنيا الا بان يسد جوعته
ويستر عورته ويقيه من الحر والبرد ولم يكن له بد من تحصيل
ذلك من الوجه المباح له لذلك قال الله تعالى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظما فيها ولا تضحى فمتى كان سعي العبد في ذلك على
الوجه الذي يجب وكما يجب كان سعيه عبادة وجهادا في سبيل
الله كما قال صلى الله عليه وسلم من طلب الرزق على ما سن فهو
في جهاد ومتى لم يكن كذلك فسعيه هباء منثور كما قال تعالى الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وكان فيما يتولاه خادما للناس مسخرا بلا ارادة
منه لحذ منهم حتى كانه من جملة البهايم التي سخرها الله تعالى

الذي

لعباده فامتن عليهم بها في قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة **في صحة خلافة الله وكمال عبادته** كون طهارة النفس شرطا
لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة ارضه الا من كان
طاهر النفس قد ازيل رجسه ونجسه فللنفس نجاسة كما ان
للبدن نجاسة لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة النفس
لا تدرك الا بالبصيرة واياها قصد تعالى بقوله انما المشركون
نجس وبقوله والرجز فاهجر وبقوله كذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون وانما لم يصلح لخلافة الله تعالى الا من كان
طاهر النفس فان خلافته هي الاقتداء به على قدر طاقة البشر
في تحري الافعال الالهية ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر
القول والفعل فكل اناء بالذي فيه يرشح ولهذا لن يعجز ~~في تحري الافعال~~
~~الالهية ومن لم يكن~~ مسك سوء عن عرف سوء ولهذا قيل من طابت
نفسه طاب عمله ومن خبثت نفسه خبث عمله وقال عليه السلام المؤمن
اطيب من عمله والكافر اخبث من عمله بل قد اشار تعالى الى ذلك بقوله
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وقوله تعالى والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ولاجل انه
لا يطيب عمل من خبثت نفسه قال تعالى اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى وقال بعضهم في قوله عليه السلام لا تدخل الملائكة
بيتا فيها كلب انه اشار بالبيت الى القلب واشار بالكلب الى الحرص والحسد
ونحوهما وبيّنه ان نور الله تعالى لا يدخله اذا كان ذلك فيه واستدل
على صحته بان الحرص يقال له الكلب وانه يقال فلان احرص من

والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات نخ

من كلب

من كلب ويقوي ذلك ما روي ان التقوى لا يسكن الا قلبا نظيفا والى الطهارتين اشار تعالى بقوله
وثيابك فطهر والرجز فاهجر وكنى بالثياب عن البدن كقول الشاعر
ثياب بني عوف طهارى نقية ٭ واوجههم عند المشاهد غران
وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال
ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن ليطهركم وقال ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وقد قال بعض العلماء انما سمي الحواريون بذلك لانهم كانوا يطهرون
نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم من قولهم حوّرته اي بيّضته وما روي انهم
كانوا قصارين فاشارة الى هذا المعنى وان كان من لم يتخصص بمعرفة الحقائق تصور
من هذا التفسير المهنة المعروفة بين العامة **فيما يتوصل اليه من طهارة النفس**
الذي يطهر به النفس حتى يترشح لخلافة الله تعالى ويستحق به ثوابه هو العلم والعبادة
الموظفة التي هي سبب الحيوة المحضة كما ان الذي يطهر به البدن الماء الذي هو سبب
الحيوة الدنيوية ولذلك سماه الله الحيوة وسمى ما انزل الله تعالى من كتابه الماء فقال استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فسمى العلم والعبادة حيوة من حيث ان النفس
متى فقدتهما سلكت مسلك الهالك كما قال تعالى في صفة الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي
افلا يؤمنون وقال انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال ابن عباس عنى
بالماء القرآن اذ كان به طهارة النفس وبالاودية القلوب احتملته بحسب ما
وسعت وقال بعض العلماء في قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا وقوله وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به انه عنى القرآن كقوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين واحتج بصحة قوله بان الماء المنزل من السماء المختص بالطهارة الذي لا يسد غيره
من المياه مسده هو هذا الماء يعني كلام رب العزة فاما المختص بطهارة البدن فقد
يسد غيره مسده في الطهارة لان الذي ينبع من الارض يعمل عمله والذي يلزم تطهيره من النفس

بالقوى الثلاث قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة وقوة الشهوة بقمعها
حتى تحصل قوة العفة والجود وقوة الحمية باسلاسها حتى تنقاد العقل فيحصل الشجاعة
والحلم ويتولد من اجتماع ذلك العدالة فجميع الرذايل ينبعث من فساد هذه القوى
اما من فساد الفكرة فيتولد منها الجربزة او البله واما من فساد القوة الشهوية
فيتولد منها الشره او جمود الشهوة واما من فساد الحمية فيتولد منها التهور والجبن
ومن حصول هذه الاشيا او حصول بعضها يحصل اما الظلم واما الانظلام فجميع رؤس الفضائل
الخلقية اربعة وجميع رؤس الرذائل الخلقية ثمانيه

بيان منازعة الهوى للعقل

اعلم ان مثل نفس الانسان في بدنه كمثل وال في بلده وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعملة
والعقل المشير عالم ناصح والشهوة فيه كعبد سو جالب للميرة والحمية له كصاحب
شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه ذنب العقرب
ويعارض الوزير في تدبيره ولا يغفل ساعة عن منازعته ومعارضته كما ان الوالي
في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وادب صاحب
شرطته وجعله مؤتمرا للوزير وسلطه على هذا العبد واتباعه حتى يكون هذا العبد مسوسا
لا سايسا ومدبرا لا مدبرا استقام امر بلده كذا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير وادبت
الحمية وسلطتها على الشهوة وقواها انتظم امرها والا فسدت ولهذا قد حذرنا الله تعالى
غاية الحذر من اتباع الهوى فقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال
في ذم من اتبعه افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال اخلد الى الارض و
اتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال في مدح من عصاه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
اشارة الى الهوى والعقل وان كان اشرف القوى وبه صار الانسان خليفة الله تعالى في
العالم فليس دابه الا الاشارة الى الصواب كطبيب يشير الى المريض بما يرى فيه برؤه

فان قبل

فان قبل منه المريض والا سكت عنه ولذلك جعل له الحمية لتكون نايبة عنه في المدافعة
والممانعة ولهذا لا يتبين فضيلة العقل لمن لا حمية له ولهذا النظر قال المهين من لا سفه له
وقال شعر تعدو الذياب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستاسد الحامي
وايضا مثل النفس في البدن مثل مجاهد بعث الى ثغر يراعي احواله وعقله خليفة مولاه
ضم اليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما فعله اذا عاد الى حضرة مولاه وبدنه بمنزلة
فرس دفع اليه ليركبه وشهوته سايس خبيث ضم اليه ليتفقد فرسه ولا قدر لهذا السايس
عند المولى والقران بمنزلة كتاب اتاه من مولاه وقد ضمنه كل ما يحتاج اليه عاجلا واجلا
كما وصفه الله تعالى بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وهدى ورحمة
وقوله ما فرطنا في الكتاب من شي والنبي رسول اليه اتاه بالكتاب يبين له ما يشكل
عليه مما يقراه من الكتاب وقبيح ان ينسى هذا الى مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه
فيما يبرمه وينقضه ويصرف همته كله الى تفقد فرسه وسايسه ويقيم سايس فرسه
مقام خليفة ربه ومن وجه اخر الانسان من حيث ما جعله الله عالما صغيرا وجعل بدنه
كمدينة والعقل كملك مدبر فيها وقواه من الفكر والخيال والحواس كجنده واعوانه
والاعضاء كرعيته والشهوة كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته
صار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد اعداءه فهزمه او اسره او
قهره على ما يجب كما يجب حمد اثره اذا عاد الى حضرته كما ضمنه تعالى حيث يقول فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى فدفاع
الهوى اعظم جهاد كما قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي الجهاد افضل قال جهادك هواك وان
ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره اذا عاد اليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع
وكلكم مسئول عن رعيته ان الله تعالى يقول للكافرين يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم
وشربت اللبن وما تقفو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك وايضا مثل [illegible] مثل فارس
المفترس

ولم تاو الضالة نخ

متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه
مروضا وكلبه معلما فهو قمين بادراك حاجته من الصيد ومتى كان اخرق
وفرسه جموحا وحرونا وكلبه عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا
كلبه يسترسل معه طبعا فهو قمين ان يعطب فضلا عن ان يدرك ما طلب وللانسان
مع هواه ثلاثة احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيملكه كما قال تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه والثانية ان يغالبه فيقهره مرة ويقهره مرة واياه قصد بمدح
المجاهدين وعناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون
اعداءكم والثالثة ان يغلب هواه كالكثير من الانبياء وبعض الاولياء وبهذا المعنى
قصد بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
الماوى وقصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما من احد الا وله شيطان وان الله قد اعانني
على شيطاني حتى ملكته فان الشيطان يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى فيه الفرق بين

سوية العقل وتسوية الهوى من شان العقل ان يرى ويختار ابدا الافضل
والاصلح في العواقب وان كان على النفس في المبدا مؤنة ومشقة والهوى على الضد
من ذلك فانه يؤثر ما يدفع به من المؤذي في الوقت وان كان يعقب مضرة من غير نظر
منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس على
اكل الهليلج والحجامة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات وايضا فان العقل يرى صاحبه ما له وعليه والهوى يريه ما له
دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك
الشيء يعمي ويصم ولذلك ينبغي للعاقل ان يتهم رايه ابدا في الاشياء التي له لا عليه ويظن
انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصي النظر فيه قبل امضاء العزيمة وحتى قيل اذا عرض
لك امران فلم تدر ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير في الكراهة قال

١٦

الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال عسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا وايضا فان ما يرى العقل تتقوى نفسه اذا فزع فيه الى الله عز وجل بالاستخارة
ويساعد عليه العقول الصحيحة اذا فزع اليها بالاستشارة وينشرح له الصدر اذا
استعين فيه بالعبادة وما يشير به الهوى فبالضد من ذلك وايضا فان العقل
يرى ما يرى بحجة وعذر والهوى يرى ما يرى بشهوة وميل وربما يشتبه الهوى بالعقل
فيتعلق بشبهة مزخرفة ومعذرة مموهة كالعاشق اذا سئل عن معشوقه عشقه
والمتناول للطعام ردي اذا سئل عن فعله قال بعض العلماء اذا مال العقل نحو مولم
جميل والهوى نحو لذ قبيح فتنازعا بحسب غرضيهما وتحاكما الى القوة المدبرة
فبادر نور الله الى نصرة العقل وسارع الشيطان الى نصرة الهوى كما قال الله تعالى
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فمتى كانت القوة المدبرة من اولياء الشيطان وصحبيه
ومحبيه لم تر نور الحق فعميت عن نفع الاجل واغترت بلذة العاجل فجنحت الى
الهوى كما قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ومتى كانت
من حزب الله واوليائه اهتدت بنوره فاستهانت بلذة العاجل فطلبت
سعادة الاجل كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون ومما نبه تعالى على فساد الهوى قوله ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات
والارض ومن فيهن اي لو اعطي كل انسان ما يهواه مع ان كل واحد يهوى ان يكون
اغنى الناس واعلاهم منزلة وان ينال في الدنيا الخير الابدي بلا مزاولة ولا تعلم
لكان في ذلك فساد العالم وقيل في قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء انه ضرب الشجرة الطيبة مثلا للعقل والخبيثة مثلا

للهوى فنزع الطيبة النور والاسلام ونزع الخبيثة الكفر والضلال فان قيل
ما الفرق بين الشهوة والهوى قيل الشهوة ضربان محمودة ومذمومة فالمحمودة
من فعل الله سبحانه وهي قوة جعلت في الانسان لتنبعث للذة بها النفس و
لتنيل ما يظن ان فيه صلاح الدين والمذمومة من فعل البشر وهي استجابة
النفس لما فيه لذتها البدنية والهوى هو هذه الشهوة الغالبة اذا استتبعت
الفكرة وذلك ان الفكرة بين العقل والشهوة والعقل فوقها والشهوة تحتها
فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن واذا اتضعت
ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة وولدت المقابح والنفس قد تريد ما
تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة الهوى تارة ولهذا قد يسمى الهوى ارادة

في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهتي العقل والهوى اول ما يعرض من
ذلك السانح ثم الخاطر والى ذلك اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان للشيطان
لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق واما
لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ الشيطان يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية ثم من بعدهما الارادة ثم العزم ثم العمل فالسانح
علة الخاطر والخاطر علة الارادة والارادة وهي الهمة علة العزم والسانح
والخاطر يعبر عنهما بالهاجس والواجس ويتجافى عنهما ما لم يصر
ارادة وعزما فحق الانسان اذا خطر له خاطر ان يتثبته عاجلا فان وجده
خيرا ارتآه حتى يجعله فعلا وان وجده شرا بادر الى قمعه وقلعه قبل
ان يصير ارادة ويطهر قلبه منه تطهير ارضه من خبيثات النبات والى
هذا المعنى اراد الحسن بقوله رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله مضى
والا كف قال بعض الحكماء ان تداركت الخطرة اضمحلت والا صارت شهوة وان

تداركت

تداركت الشهوة والا صارت طلبا وان تداركت الطلب والا صارت عملا وقال
بعض الحكماء ان ولي الله اذا اتاه لمة الشيطان انزعج لذلك ورأى ببصيرته
ظلمة ووجد روعة واذا اتاه لمة الرحمن انشرح صدره واولياء الشيطان
بخلافه لقوله تعالى فاذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون حصول الخلق المحمود بطهارة
النفس قد تقدم ان طهارة النفس باصلاح القوى الثلث فاصلاح الفكرة بالتعلم
حتى يتميز بين الحق والباطل في الاعتقاد وبين الصدق والكذب في المقال
وبين الجميل والقبيح في الفعال واصلاح الشهوة بالعفة حتى يتسلس للجود و
المواساة المحمودة بقدر الطاقة واصلاح الحمية باسلاسها حتى يحصل
الحلم وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب ويحصل الشجاعة وهو كف النفس
عن الخوف وعن الحرص المذمومين وباصلاح القوى الثلث تحصل النفس
العدالة والاحسان وهذه جماع المكارم من طهارة النفس وحسن الخلق الممدوح
بقول النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا والطفهم ونعني (باهله)
باللطافة بالاهل تهذيبهم وتاديبهم المشار اليه بقوله يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا والممدوح ايضا بقوله صلى الله عليه وسلم احبكم الى احاسنكم اخلاقا (ان من)
الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقيل جميع المكارم في قوله تعالى (احسنكم)
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اولئك هم الصادقون وذلك انه بالايمان يحصل العلم والحكمة وذلك باصلاح
الفكرة وبالمجاهدة بالاموال والانفس يحصل العفة والجود اللذان هما تابعان
لاصلاح الشهوة والشجاعة والحلم اللذان هما تابعان لاصلاح الحمية وعلى ذلك قوله
تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير ذلك هو ان

تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك فالعفو عمن ظلمك نهاية الحلم
والشجاعة واعطاء من حرمك نهاية الجود ووصل من قطعك نهاية الاحسان الفرق
بين الطبع والسجية والخلق والعادة الطبع اصله من طبع السيف وهو ايجاد
الصورة المخصوصة في الحديد وكذلك الطبيعة والضريبة اعتبارا بضرب الدراهم
والنحيتة اعتبارا بالنحت والنجر اعتبارا بنجر الخشب والغريزة لما غرز عليه وكل النجر الاصل
ذلك اسم للقوة التي لا سبيل الى تغييرها والشيمة اسم للحالة التي عليها الغريزة اعتبارا
بالشيمة التي في اصل الخلقة والسجية اسم لما يسجى عليه الانسان من قولهم عين ساجية
اي فاترة خلقة واكثر ما يستعمل ذلك كله فيما لا يمكن تغييره واما الخلق ففي الاصل
كالخلق كقولهم الشرب والشرب والصرم والصرم لكن الخلق يقال في القوى المدركة
بالبصيرة والخلق في الهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر وجعل الخلق تارة
للقوة الغريزية ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فرغ الله من الخلق والخلق و بلغ
الرزق والاجل وتارة يجعل اسما للحالة المكتسبة التي يصير الانسان بها
خليقا ان يفعل شيئا دون شيء كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه ولهذا خص
كل حيوان بخلق في اصل خلقته كالشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب
ويجعل الخلق تارة من الخلاقة اي الملاسة وكانه اسم لما مرن عليه الانسان من
نواه بالعادة وقد روي افضل الاعمال الخلق الحسن وروي ما اعطى الله احدا
افضل من خلق حسن فجعل الخلق مرة للهيئة الموجودة في النفس التي عنها يصدر
الفعل بلا فكر وجعل مرة اسما للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك اسماء انواعها
نحو العفة والعدالة والشجاعة فان ذلك يقال للهيئة والفعل جميعا وربما
سمي الهيئة باسم والفعل جميعا الصادر عنها باسم كالسخاء والجود فان السخاء اسم
للهيئة التي عليها الانسان والجود اسم للفعل الصادر عنها وان كان قد يسمى كل واحد
باسم

في الانسان ثم

باسم الآخر واما العادة فاسم لتكرير الفعل والانفعال من عاد يعود وبها يكمل الخلق
وليس للعادة فعل الا تسهيل خروج ما هو بالقوة الى الفعل فاما ان تجذب السجية
الى خلاف ما خلقت له فمحال فالسجية فعل الخالق والعادة فعل المخلوق ولا يبطل
فعل المخلوق فعل الخالق لكن ربما تقوى العادة قوة محكمة حتى تقيد سجيته
بلغت وبهذا النظر قيل العادة طبيعة ثانية امكان تغيير الخلق اختلف الناس
في الخلق فقال بعضهم هو من جنس الخلقة ولا يستطيع احد تغييره عما جبل عليه ان
خيرا وان شرا كما قال وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنهن محمود ومنها مذمم فلن يستطيع
الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه متكرم وتعلق ايضا بقول النبي عليه الصلوة و
السلام من آتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله وما روي فرغ الله من الخلق
والخلق الخبر وقال ومحال ان يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق وقال بعضهم يمكن
تغيير ذلك واستدل بما روي حسنوا اخلاقكم فلو لم يكن لما امر به قال وان الله
تعالى خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء
والارض والهيئة والثاني خلقه خلقة ما وجعل فيه قوة ورشح الانسان لاكماله وتغيير والتكلم
حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل وسهل الانسان
سبيلا الى ان يجعله بعون الله نخلا وان يفسده ابدا قال والخلق من الانسان يجري
هذا المجرى في انه لا سبيل للانسان الى تغيير القوة التي هي السجية وجعل له سبيلا
الى اسلاسها ولهذا قال تعالى وقد خاب من دسيها ولو لم يكن كذلك لبطل فائدة المواعظ
والوصايا والوعد والوعيد والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال لم فعلت ولم تركت للعبد
وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنا فالوحشي قد
ينقل بالعادة الى التانس والجامح الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون
فبعضهم جبلوا جبلة سريعة القبول وبعضهم جبلوا جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط

وكل لا ينفك من اثر قبول وان قيل وارى ان من منع من تغيير الخلق فانه اعتبر القوة نفسها وهذا
صحيح فان القوى محال ان يتنبه منه الانسان تنفاجا ومن اجاز تغييره فانه اعتبر امكان ما
في القوة الى الوجود وانساده بامها لدنيا القوى فانه يمكن ان يتفقد فيجعل تخلا وان يترك
مهلا حتى يعمق وهذا صحيح ايضا فاذا الحلاف فيهما بحسب اختلاف نظريهما ضرورة العلاج ١٩
القوة الشهوية وما في عمل من الشهوة والضعف اصعب هذا القوى الثلاث
مداواة قمع الشهوة لانها اقدم القوى وجودا في الانسان واشدها به تشبثا واكثرها منه
تمكنا فانها تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه بل في النبات الذي هو
جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية ثم توجد فيه قوة الفكر والنطق والتمييز ولا يصير
الانسان خارجا من جملة البهائم واسر الهوى الا باماتة الشهوات البهيمية او بقهرها وقمعها
ان لم يملك اماتة اياها فهي التي تضره وتغشه وتصرفه عن طريق الآخرة وتثبطه ومتى قمعه
او اماته صار الانسان حرا تقيا بل ملكا ربانيا تقل حاجاته ويصير غنيا عما في يدي
غيره وسخيا بما في يده ومحسنا في معاملاته فان قيل فاذا كانت الشهوة بهذه المثابة في
الاضرار فاي حكمة اقتضت ان يبلي بها قيل الشهوة انما تكون مذمومة اذا كانت مفرطة واهملها الانسان صح
صاحبها حتى ملكت القوى فاما اذا ادبت وهي المبلغة الى السعادة وجوار رب العزة حتى لو
تصورت مرتفعة لما امكن الوصول الى الآخرة وذلك ان الوصول الى الآخرة بالعبادة ولا
سبيل الى العبادة الا بالحيوة الدنيوية ولا سبيل الى الحيوة الدنيوية الا بحفظ البدن
ولا سبيل الى حفظه الا باعادة ما يتحلل منه بتناول الاغذية ولا يتناول الاغذية الا ولا يمكن اعادة ما يتحلل منه الا صح
بالشهوة فاذا الشهوة محتاج اليها ومرغوب فيها ويقتضي الحكمة الالهية ايجادها وتزيينها
كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية لكن مثلها مثل عدو تخشى مضرته من
وجه وترجى منفعته من وجه ومع عداوته لا يستغنى عن الاستعانة به فحق العاقل ان
ياخذ نفعه ولا يسكن اليه ولا يعتمد عليه الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق في ذلك قول
المتنبي

١٩ المتنبي اذا اتصور في وصف الشهوة فان تضدها فانا اجودما اراد شعر
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد وايضا فهذه الشهوة
هي المشوقة لعامة الناس الى لذات الجنة من الماء كل والمشرب والمنكح اذ ليس كل
الناس يعرف اللذ...
من قول النبي صل...
قلب بشر ...
الافعال النفسية ...
فاحتمال الصنا...
قال امير المؤمنين...
انه اذا ذلك ال...
بيد والمظلة...
كذا النفاق اسوة...
الاعتقاد و...
عن شبهات...
العادات السي...
يتعود العاد...
قرة عيني...
في الاعتقاد و...
تقليد اعتقاد افاسد...
بالساوان يتعود ا...
وهو من شرح الله...

مالك هذا المملوك والا المملوك فانت ...
مملوك مالك الملوك ومن يجيبج ...
حرره الداعي محمد حسين
ولد
القاضي المخلص بالولا ... الايمان صح
داود ...

رسالة فرحة الغري
للسيد ابن طاوس
قدس سره

حسين في العلم

١٩ المتنبي اذا تصور في وصف الشهوة فان قصدها نما اجود ما اداها شعر

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد وايضا فهذه الشهوة

المشوقة لعامة الناس الى لذات الجنة من الماء كل والمشرب والمنكح اذ ليس كل

الناس يعرف اللذات المعقولة ولو توهمنا بها من نفسه لما تشوقوا الى ما وعدوا به

من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا اخطر على

٢٠ قلب بشر ازدياد الناس في الفضائل والرذائل بتعاطيها متعاطي الفعل من

الافعال النفسيه فانه يتقوى فيه بحسب الازدياد منه ان خيرا فخير وان شرا فشر

فباحتمال صغار الامور يمكن احتمال كبارها وباحتمال كبارها يستحق الحمد ولهذا

قال امير المومنين علي رضي الله عنه يبدو نكتة بيضا في القلب كلما ازداد الايمان

ازداد ذلك البياض واذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق

يبدو لمظة سودا كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل العبد

النفاق اسود القلب كله فالانسان يكمل في الفضيلة باربع درجات اثنين في

الاعتقاد وهما ان يعتقد الخير ويحصل اعتقاده عن براهين واضحة وادلة قاطعة لا

عن شبهات واهية واقناعات متداعية واثنين في الفعل وهما ان يترك

العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيتجنب الرذيلة ويتوصل الى الفضيلة وان

يتعود العادات الحسنة فيجعلها بحيث يوثرها ويتنعم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعل

قرة عيني في الصلوة وكما انه يكمل باربع درجات فانه ينتكس باربع درجات درجتين

في الاعتقاد وهما ان لا يعتقد شيا من العلوم الحقيقية فيبقى منها غفلا وان يعتقد عن

تقليد اعتقادا فاسدا فيتلطخ به وان اختص في العمل وهما ان لا يتعود العادة الجميلة

اساسا وان يتعود العادة القبيحة فمن صار في الفضيلة الى الدرجة الرابعة

فهو ممن شرح الله صدره للاسلام وهو على نور من ربه ومن صار في الرذيلة الى الدرجة

اي الايمان م

درجتين في العلم

١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مظهر الحق ومبديه ومدحض الباطل ومزجيه ومسدد

الصواب ومسديه ومشيد بنائه ومعليه احمد مجتهدا ولا اصل

الى الواجب فيه واثني وما قدر ثنائي حسب ما يقتضيه علي ويوليه

والصلوة على رسوله محمد النبي واله المقتدين بهديه مما يذره

وياتيه وبعد فان بعض من يجب حقه علي من الصدور الاماجد

والاعيان الافاضل طلب مني ذكر ما ورد من الاثار الدالة على

موضع مضجع امير المومنين عليه السلام وان اذكر ذلك مستوفى

كما قال ... حتى مضرته من

وجه وترجى منفعته من وجه ومع عداوته لا يستغنى عن الاستعانة به فحق العاقل ان

ياخذ نفعه ولا يسكن اليه ولا يعتمد عليه الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق في ذلك قول

المتنبي

لا انقطر

الدابة فهو من الذين وصفهم الله تعالى اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم
ثم قال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقيل الحكم لا تغبط فلانا فتقال
ذاكرا على قلبه قفل ضاع مفتاحه فلا سبيل الى معالجة فتحه وللانسان مع كل فضيلة
ورذيلة ثلثة احوال اما ان يكون فى ابتدائها فيقال هو عبدها وابنها ولهذا قال بعضهم
من لم يخدم العلم لم يرعه والثانى ان يتوسطها فيقال هو اخوها وصاحبها والثالث
ان ينتهى فيها بعد توسعه ويتصرف فيها كما اراد فيقال هو ربها وسيدها ومنه قيل فلان
ربانى فى العلم فان رب الشى هو الذى يربه وسيده هو الذى يملك سواده اى جمعه وغاية
الفاضل فى الفضيلة ان تقع منه الفضائل ابدا من غير فكر ولا روية لغلبة قواها
عليه وبعد ما بينها فيها عنه كالصانع الحاذق فى صنعته وغاية الرذل فى الرذيلة ان
يقع منه الرذائل لغلبة قواها عليه ولهذا حد الخلق بانه حال للانسان داعية الى
٢١ الفعل من غير فكر ولا روية الفرق بين ما يحمد ويذم من الخلق الفرق بين الخلق
والتخلق ان التخلق معه استثقال واكتساب ويحتاج الى بعث وتنشيط من خارج والخلق
معه استخفاف وارتياح ولا يحتاج الى بعث من خارج والتخلق والتشبه بالافاضل ضربان
مذموم ومحمود فالمحمود ما كان على سبيل الارتياض والتهذيب ويتحراه صاحبه سرا وجهرا
على الوجه الذى ينبغى وبالمقدار الذى ينبغى اياه وقصد الشاعر بقوله مصراع
ولن يستطيع الخلق حتى تخلقا بل قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم وما الخلق
الا بالتخلق والمذموم ما كان على سبيل المراياة ولا يتحرى صاحبه الا حيث يقصد ان
يذكر به ويسمى ذلك رياء وتصنعا وتشبعا ولن ينفك صاحبه من اضطراب يدل على
تشبعه كما قيل كليلة الطبع المتكلف كلما زدته تثقيفا زادك تعنيفا وعلى ذلك قول
المتنبى الشاعر شعر واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شى فى طباعك ضده
واياه قصد عمر رضى الله عنه بقوله من تخلق للناس بغير ما فيه فضحه الله وحال المتشبع كالجرح
قصدا

بنوسر

٣٠ يندمل على فساد فلا بد ان ينبعث وان كان بعد حين قال الشاعر شعر
فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على فساد وكما ان العضو
المفلوج لا يطاوع صاحبه فى تحركه وان جاهد فمتى حركه الى اليمين تحرك نحو الشمال
كذا ايضا الشره والظلوم والمتهور وان جاهد وانفسهم فى اخفائها فان قوام تأبى
مطاوعتهم وقد ذم النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبى
زور تنبيها انه كاذب بقوله وفعله فيتضاعف تذوره وقد حمل على ذلك قوله عز وجل
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون واياه قصد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله
الشرك اخفى فى امتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء واقبح الرياء النفاق
فى الدين واقبح النفاق ما كان فى اصل الاعتقاد وهو اظهار الايمان مع استبطان الكفر
ولذلك جعل تعالى عقابهم اعظم فقال ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار باب
اختلاف الناس فى اخلاقهم جميع الفضائل النفسية ضربان نظرية وعملية وكل
ضرب منهما يحصل على وجهين احدهما بتعلم بشرى يحتاج فيه الى زمان وتدرب وممارسة
ويتقوى الانسان فيه درجة فدرجة وان كان فيهم من يكفيه ادنى ممارسة فيهم من يختلج
الى زيادة ممارسة وذلك بحسب اختلاف الطبايع فى الذكاء والبلادة والثانى يحصل بفيض
الهى نحو ان يولد انسان فيصير من غير معلم من البشر عالما كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
وغيرهما من الانبياء علمهم الذين حصل لهم من المعارف من غير ممارسة ما لم يحصل للحكماء
وقد ذكر بعض الحكماء ان ذلك قد يحصل لغير الانبياء ايضا فى الفينة بعد الفينة وكل
ما يتدرب فقد يكون بالطبع كصبى يوجد صادق اللهجة وسخيا وجريا وعلى آخر
على عكس ذلك وقد يكون بالتعلم والعادة فمن صار فاضلا طبعا وعادة وتعلما فهو كامل
٢٣ الفضيلة ومن كان رذلا بثلاثتها فهو كامل الرذيلة وجوب اتيان الفضيلة
المحمودة حق الانسان فى كل فضيلة ان يلتمسها خلقا ويجعل نفسه ذات هيئة

مستعدة لذلك سواء امكنه ان يبرز ذلك فعلا او لم يمكنه وذلك بان يكون على هيئة
الاسخياء والشجعان والحكماء والعدول وان لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض له مقام يظهر فيه
نجدته ولا معاملة بينه وبين غيره يبرز فيها عدالته وقد قيل لبعض الحكماء هل من
جود يعم الورى فقال نعم ان تحسن خلقك وتنوي لكل احد خيرا وقال صلى الله عليه وسلم
انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم واعلم ان كل فعل يحتاج فيه الى ايجاده
وتجويده وتزيينه دنيويا كان او اخرويا ولكن متى كان اخرويا يحتاج فيه مع ذلك
الى امور لا يتم ولا يكمل الا بها وهو انه يجب ان يتعاطاها قصدا الى المكرمة والا لم يعتد بها
كما قال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وان يتحراه بخلوص
طوية كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم لا يقصد به جلب منفعة
دنيوية او دفع مضرة فانه يكون بفعله تاجرا وعند بعض المحققين ان لا يطلب به منفعة
اخروية ايضا فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم ومن فعل ذلك بانشراح صدر
فهو اولى ممن يفعله بمجاهدة نفس ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان
تعمل لله في الرضا باليقين فاعمل والا ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقولهم
الحق مر فهو باعتبار من لم يتهذب نفسه ولم يزل مرضه **شعر**
فمن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاما من كمل فانه يستطيب
الحق وان كان ثقيلا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وجعل قرة عيني في الصلوة ومن
اصلح خلقه وهذب نفسه فقد صار اعظم الملكين فمن ملك نفسه وقواها وهذبها
وزكاها فقد اطلع بذلك على ملكوت السموات والارض وملك الطوع جيش بلا عطايا
يلزمه وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتيكم
ما لم يؤت احدا من العالمين فجعل النبوة مخصوصة فيهم وجعل الملك عاما لهم تنبيها
على المعنى الذي ذكرت وعلى ذلك قوله ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد

اتينا

بلغت

آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وبذكر بعد ذلك انواع
نعم الله تعالى وما يكتسب منها **انواع نعم الله تعالى الموهوبة والمكسوبة** نعم الله تعالى
وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانها بالقول المجمل
خمسة انواع الاول وهو اعلاها واشرفها السعادة الاخروية واياها قصد تعالى بقوله
اما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهي اربعة اشياء بقاء
بلا فناء وعلم بلا جهل وقدرة بلا عجز وغنى بلا فقر ولا يمكن الوصول الى ذلك الا
باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها كما قال الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى
لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا واصول ذلك اربعة اشياء
العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة
وكمالها الانصاف وهو المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي
اربعة اشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر والفضائل المطيفة بالانسان وهي
اربعة اشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة ولا سبيل الى تحصيل ذلك الا بتوفيق
الله تعالى وذلك باربعة اشياء هدايته ورشده وتسديده وتاييده فجميع ذلك خمسة
انواع ثم عشرون ضربا ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا فيما هو نفسي فقط واعلم
ان الفضيلة الكاملة والسعادة الحقيقية هي الخيرات الاخروية وما عداها
فتسميته بذلك اما لكونه معاونا في بلوغ ذلك ونافعا فيه وكل ما اعان على
خير وسعادة فهو خير وسعادة وهذه الاشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ
السعادة الاخروية متفاوتة الاحوال فمنها ما هو نافع في جميع الاحوال وعلى كل وجه
ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وربما يكون ضرره اكثر من نفعه
فحق الانسان ان يعرفها ويعتني بها حتى لا يقع الخطا عليه في اختياره الوضيع على الرفيع

تهالك

والمتبس على النفس فالناس في متحرياتهم طالب لخير وهارب من شر كما قال الشاعر

كل يحاول حيلة يرجو بها دفع المضرة واجتلاب المنفعة والمرء يغلط في تصرف حاله فلربما اختار العناء على الدعة

لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورم انه سمين ويعتقد في الشيء انه رزق نافع وحشوه سم ناقع ولذلك يحق على العاقل ان يجلي بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقته لئلا يكون كمن يريد حبلا يتعلق به فرأى حية فظنها مبتغاه فاخذ بها فلدغته وقد قسمت الخيرات على وجه آخر فقيل الخيرات ثلاث مؤثرة لذاتها ومؤثرة لغيرها ومؤثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها فالمؤثرة لذاتها السعادة الاخروية والنسيه والمؤثرة لغيرها الدراهم والدنانير فانا لو تصورنا ارتفاع الضرورات التي تستدفع بها لكانت هي والحصب سواء والمؤثرة تارة لذاتها وتارة لغيرها كالصحة الجسم فمعلوم ان الرجل وان اريدت للمشي فالانسان يريد ان يكون صحيح الرجل وان استغنى عن المشي وقال ايضا الخيرات ثلث نافع وجميل ولذيذ والشرور ثلاث ضار وقبيح ومولم وكل واحد من ذلك ضربان احدهما مطلق وهو الذي يجمع الاوصاف الثلثة في الخير كالحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة وفي الشر كالجهل فانه ضار وقبيح ومولم والثاني مقيد وهو الذي جمع شيئا من اوصاف الخيرات وشيئا من اوصاف الشرور فرب نافع مولم كجذع تصير انفه فانه وان نفعه في ادراك الثار فقد اذاه ورب نافع قبيح كالحمق فانه وان نفع من حيث كان ناقل استراح من لا عقل له فهو جملة قبيح ورب نافع من وجه ضار من وجه كمن هو في سفينة فخاف الغرق فالقى متاعه في الماء فخلصت السفينة وكل ما نفعه ولذته وجماله اطول مدة واعم عائدة فهو افضل فحق العاقل ان يرغب الى الله تعالى ان يعطيه ما فيه مصلحته مما السبيل الى بنفسه الى اكتسابه وان يبذل جهده مستعينا بالله في اكتساب ماله وكسبه وبلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف ومن ضيع انفس

٢٣

المقتنيات مع التمكن من تحصيله فهو دني الهمة راض بخسيس الحال واشرفها ما اذا حصل لم ينقضب ولم يحتج في حفظه الى اعوان وحفظة وكان نافعا عاجلا وآجلا ومطلقا في كل حال وكل زمان ومكان وذلك هو الفضائل النفسية ولا سيما العقل والعلم فاما القنيات الخاليه من المال والجاه فانها يقال لها الخيرات المتوسطة لانها تنجذب الى الفضيلة مرة والى الرذيلة مرة لانها سبب للخيرات اذا كانت مع العقل وسبب للشرور اذا كانت مع الجهل وقد نبه الله تعالى على كون ذلك سببا للشر بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة وبقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا ولذلك قيل السعيد هو الخير العاقل غنيا كان او فقيرا قويا كان او ضعيفا ان قيل ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع وهل بينها فرق قيل اما الخير المطلق فهو المختار من اجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل قد قيل هو الذي يتشوقه الكل بلا مثنوية فان الكل يطلب في الحقيقة الخير وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره فمقصده الخير ويضاده الشر وهو المجتوى المكروه من قولهم اجتويت البلد اي كرهت المقام به وان كنت من اجل نفسه والمجتوى غيره من اجله قال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في خير بعده النار ولا شر في شر بعده الجنة فجعل الخير المطلق الجنة والشر المطلق النار وكما ترى وقد يقال لكل ما يتوصل الى الخير خير ولهذا اسمى الله تعالى المال خيرا في قوله ان ترك خيرا لكن المال والجاه في الحقيقة قد يكون خيرا لبعض الناس وشرا لبعض فمعلوم انه كان شرا لمن قال تعالى فيه الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده واما السعادة المطلقة فحسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها من البقاء بلا فناء والقدرة بلا عجز والعلم بلا جهل والغنى بلا فقر وقد يقال لما يتوصل به الى هذه السعادات

الاربع سعادة وهي ستة عشر المتقدمة وتضادها الشقاوة واما الفضيلة فاسم لما يحصل به للانسان مزية على الغير وهو اسم لما يتوصل به الى السعادة ويضادها الرذيلة واما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير والنافع في الشيء ضربان ضروري وهو ما لا يمكن الوصول الى المطلوب الا به كالعلم والعمل الصالح للمطلعين في البلوغ الى النعيم الدائم وغير ضروري وهو الذي قد يسد غيره مسده كالسكنجبين في كونه نافعا في قمع الصفراء فان ذلك قد يسد غيره مسده وكل نافع قد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه مبلغا الى ذلك

٢٥ حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض

قد ثبت بما تقدم ان الخيرات والفضائل خمسة انواع اخروية ونفسية وبدنية وخارجية وتوفيقية فيجب ان يعلم ان بعض ذلك محتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الاخر او حاجة نافعة بحيث لو لم يوجد لاختل حال الاخر وذلك ان السعادة الحقيقية الاخروية لا سبيل الى الوصول اليها الا باكتساب الفضائل النفسية ولذلك قال تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا فنبه ان لا طمع لمن اراد الوصول اليها الا بالسعي ولا سبيل الى تحصيل الفضائل النفسية الا بصحة البدن وقوته لانه لا غنى لكمال الفضائل النفسية والبدنية من الفضائل الخارجية فانه وان امكن ان يتصور حصولها لمن لا اهل له ولا مال ولا عشيرة فانه لا يكمل

٢٦ الا بها النفضائل المطيفة بالانسان قد تقدم ان ذلك بالقول المجمل اربعة اشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة وان هذه الاشياء نافعة في بلوغ الفضيلة الحقيقية والسعادة الاخروية وجارية مجرى الجناح المبلغ وان لم تكن الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورية واما المال فصاحبه تمكن من فضائل اذا فقده تكل بلوغها فمعلوم ان كثيرا من القرب كالزكوة والحج يشكله الفقر فالفقير

في تحري المكارم كساع الى الهيجا بغير سلاح وكباز منصيل بلا جناح وفضله مغطى كماء تحت الارض وناد كامنة تحت الصخر وما اصدق ما قال الشاعر شعر

والمرء يرفعه الغنى ❊ والفقر منقصة وذل ❊

وقول الآخر شعر للمتنبي

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ❊ ولا مال في الدنيا لمن قل مجده ❊

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اسألك الهدى والتقى والعفة والغنى وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على التقوى المال واما الاهل فنعم العون على بلوغ السعادة فمن كثر اهله وخالصوه صار لهم عيون وآذان وايد وقال الله تعالى حاكيا عن لوط لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد وقال الشاعر شعر

الم تر ان جمع القوم يخشى ❊ وان حريم واحدهم مباح

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في نفع الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له وقال ريح الولد من رائحة الجنة وقال نعم العون على الدين المرأة الصالحة فالمرأة مزرعة الرجل قيضها الله له ليزرع فيها زرعه كما قال الله تعالى نساؤكم حرث لكم واما العز فيه يتأبى عن تحمل الذل ومن لا عز له لا يمكنه ان يذود عن حريمه ولذلك قيل الدين والسلطان اخوان توأمان وقرينان مؤتلفان يؤديان الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل الدين اس والسلطان حارس وما لا اس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها اولي البصائر فقال عز اسمه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض واما كرم العشيرة فانه يقال له الحسب والشرف والشرف اخص بآثار الآباء والعشيرة ولذلك للعلوية اشراف ومن الناس من لا يعد شرف الاصل فضيلة وقال المرء بنفسه واستدل بقول امير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس ابناء ما يحسنون وقوله قيمة كل امرئ ما يحسنه وقول الشاعر شعر

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ❊ يغنيك محموده عن النسب

ذلكم

وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس كما ظن لان كرم الاعمام والاخوال
مخيلة لكرم المرء ومظنة له فالفرع وان كان يفسد احيانا فمعلوم ان اصله قد يورثه
الفضيلة والرذيلة وانه لا يكون من النخل الحنظل ولا من الحنظل كما قال الشاعر النخل
وما يك من خير اتوه فانما توارثه اباء ابايهم قبل وهل ينبت الخطي الا وشيجه
ويغرس الا في منابتها النخل وقيل وابن السري اذا سرى اسراهما ويبين ذلك
ان الاخلاق نتايج الامزجة ومزاج الاب كثيرا ما يتادى الى الابن كالالوان والخلق
والصور ومن اجل تاديها اليه قال النبي صلى الله عليه وسلم تخيروا النطفكم الاكفا وقال
واياكم وخضرا الدمن قيل يا رسول الله وما خضرا الدمن قال المراة الحسنا في منبت
السوء وما ذكر من نحو قول امير المومنين عليه السلم ابنا ما يحسنون تحث للانسان على
اقتباس العلى ونهي عن الاقتصار على ما اثله الابا وان الماثرة الموروثة قليلة الغنا الناس
سريعة الفنا ما لم يقمها فضيلة النفس لان ذلك انما حمد لكي يوجد الفرع مثله ومتى
اخلف الفرع وتخلف فكانه يخبر باحد شيين اما بتكذيب من يدعي الشرف لعنصره
او بتكذيب في انتسابه الى ذلك العنصر وما فيهما خص لمختار والمحمود ان يكون الاصل
في الفضل والنجاد الفرع به شاهدا كما قال الشاعر زانوا قديمهم بحسن حديثهم
وكريم اخلاق بحسن خصال ومن لم يجمع له الامران فلان يكون شريف النفس دني
الاصل اجمل من ان يكون دني النفس شريف الاصل فما الحسب الموروث لا در دره احمد بحه
بمحتسب الا باخر مكتسب اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة من الثمرات اعتده الناس في الحطب
ومن كان عنصره في الحقيقة سنيا وفي نفسه دنيا فذلك انما اتي اما من اهماله نفسه
وسوءها واما التعود عادات قبيحة وصحبة اشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة
للعناصر الكريمة فليس سبب الرذيلة شيا واحدا الفضايل الجسمية
فلاسنها ان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء ان يكون صحيح البدن بريا من الامراض الشاغلة

عن تحري الفضايل العقلية وليس الامر كذلك فالبدن للنفس بمنزلة الالة للصانع رنج
والسفينة للربان اللتين بهما صار الصانع صانعا والربان ربانا وجميع اجزا البدن بالقول المجمل
اربعة العظام التي تجري للبدن كالالواح للسفينة والعصب التي تجري له مجرى الرباط
التي تشد به الالواح واللحم الذي يجري له مجرى الحشو للرباطات والجلد الذي يجري له
مجرى الغشا لجميعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان يعتدل فيها الاربع القوى وهي القوى الاربع
الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة سمي ذلك صحة ولا صحة البدن لما حصل الانتفاع
به واما القوة فهي جودة تركيب هذه الاركان الاربعة وهي العظام والعصب واللحم و
الجلد وما تبعها وبها يصلح البدن للسعي والتصرف في امور الدنيا والاخرة فنوعان احدهما واما الجمال
امتداد القامة التي تكون عن الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا حصلت رفعت اجزا الجسم
الى العلو كالنبات اذا نجم كلما كان اطلب للعلو في منبته كان اشرف في جنسه وللاعتبار
بذلك استعمل في كل جاذ ما في جنسه العالي والفايق وكثر المدح بطول القامة نحو جادنج
كان زرود القبطرية علقت علايقها منه بجذع مقوم اخر
اشم طوال الساعدين كانما يناط نجادا سيفه بلوا والثاني من الجمال ان يكون
معتدلا قوي العصب طويل الاطراف ممتدها رحب الذراع غير مثقل بالشحم
واللحم كما قال فتى قد قد السيف لا متضايل ولا رهل لباته وبادله
ولا يعني بالجمال ههنا ما يعلق به شهوة الرجال والنسا فذلك انوثية وانما يعني
به الهيئة التي لا تنبو عن النظر اليها وهو ادل شي على فضيلة النفس لان نورها الطباع
اذا اشرق تادى الى البدن اشراقها وكل شخص فله حكمان احدهما من قبل جسمه
وهو منظره والاخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فزع
اصحاب الفراسة في معرفة احوال النفس اولا الى الهيات البدنية قال بعض الحكماء
قل صورة حسنة يتبعها نفس رديئة فنقش الخاتم مقروء من الطين وطلاقة الوجه

عنوان ما فى النفس وليس فى الارض قبيح الا وجهه احسن ما فيه وقال عليه السلام اطلبوا
الحاجات من حسان الوجوه وقال عمر اذا بعثتم رسولا فاطلبوا الحسن الوجه
حسن الاسم فالوجه والعين تظهر فيهما آثار النفس كالمراة يستدل بها عليهما ولذلك
يظهر فيهما اثر السرور للنفس وحزنها ورضاها وسخطها ولذلك عبر بالوجه
عن الجملة وعن رئيس القوم فقيل فلان وجه القوم وعينهم وحتى قال كل شى
هالك الا وجهه وكون الوجه المقبول فى دلالته على فضيلة النفس وان لم يكن
حكما لازما هو على الاعم الاكثر وحكى ان المامون استعرض جيشا فمر به رجل قبيح
الوجه فاستنطقه فراه الكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا كانت ظاهرة
كانت صباحة واذا كانت باطنة كانت فصاحة وارى هذا لا ظاهر له ولا باطن
وكفاك من البيان فى فضل كمال الجسم قول الله تعالى ان الله اصطفاه عليكم
وزاده بسطة فى العلم والجسم وقال زادكم فى الخلق بسطة واما طول العمر
فلولا لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التى لولاها لما نيلت السعادة
الاخروية ما يتولد من الفضائل النفسية امهات الفضائل النفسية بلغت
وان كن اربعا فلها بنات هن امهات لفضائل اخر ثانيات وذلك ان
العقل متى تقوى تولد من حسن نظره جودة الفكر وجودة الذكر ومن
حسن فعله الفطنة وجزالة الراى وتولد من اجتماع اربعتها جودة الفهم وجودة
الحفظ والشجاعة متى تقوت تولد منها الجود فى حال النعمة والصبر فى حال
المحنة والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولية كما قال
الشاعر خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك الغوانى للبكا والمآتم
والعفة اذا تقوت ولدت القناعة والقناعة تمنع عن الطمع فى مال الغير
فتولد الامانة والعدالة اذا تقوت تولد الرحمة والرحمة هى الاشفاق من

ان يوت ذا حق حقه وهى تولد الحلم والحلم تقتضى العفو والانسانية والكرم تجمع
هذه الفضائل وذلك ان الانسانية هى الفضائل النفسية المختصة بالانسان و
بقدر ما يكتسبه الانسان يستحقها وبها فضائل كثيرة كما تقدم فى الفرق فيما بين
الانسانية والانسان فمنهم من قدا ارتفع حتى لحق بافق الملك فلو تصورنا ملكا جسما
لكان هو اياه لارتفاعه عن الانسانية الا بالصورة التخطيطية وعلى هذا قوله
تعالى ان هذا الا ملك كريم ومنهم من اتضع حتى صار فى افق البهائم فلو تصورنا
كلبا او حمارا منتصب القامة متكلما لكان هو اياه لانسلاخه من الانسانية
الا بالصورة التخطيطية وعلى هذا قوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
ومنهم من هو فى اوساط هذين فى درجة من درجات لها كثيرة ولهذا صح ان يقال فلان
اكثر انسانية من فلان وما يختص به لفظ الانسانية فهو الاخلاق والافعال المحمودة
فاما المذمومات من الاخلاق فيشارك الانسان فيها البهائم والشياطين ~~والمروة~~
واما المروة فلها اشتقاقان فى احدهما يقتضى ان تكون هى والانسانية متقاربتين
وهو ان يجعل من قولهم مرؤ الطعام وامراه اذا اختص بالمرى لموافقته الطبع
فكانها اسم للاخلاق والافعال التى تقبلها النفوس السليمة فعلى هذا يكون اسما
للافعال المستحسنة كالانسانية والثانى ان يكون من المرء فيجعل اسما للمحاسن
التى يختص بها الرجل دون المراة فيكون كالرجولية وذلك اخص من الانسانية
اذ الانسانية يشترك فيها الرجال والنساء والمروة اخص وكثيرا ما يكون فضيلة
للمراة تكون رذيلة للرجل كالبذل والخفر والجبن والبخل ولهذا قيل افضل اخلاق
الرجال ارذل اخلاق النساء فالكيس والشجاعة والجود رذيلة لهن فقال لمعاوية
ما المروة فقال اطعام الطعام وضرب الهام وقيل للاحنف ما المروة فقال ان لا
يفعل فى السر ما يستحيى منه فى العلانية وقيل الاخر جماعها فى قوله تعالى ان الله

يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
يعظكم لعلكم تذكرون واما الكرم فاسم لجماعة الاخلاق والافعال المحمودة
اذا ظهرت بالفعل والحرية مثله لكن يقال ذلك فيمن لا يستعبده المطامع و
الاغراض الدنيوية وذكر بعض الحكما ان الحرية تقال في المحاسن الصغيرة و
الكبيرة والكرم لا يقال الا في المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالا في تجهيز جيش
في سبيل الله او يتحمل حمالة يرقا بها دما قبيلة وكل كرم حرية وليس كل حرية كرما
وايضا فالحرية تتعلق بالتظلف عن اخذ الكثير والكرم يتعلق بالانفاق الكثير و
يضاد الكرم اللؤم والحرية العبودية اعني المذكورة في قوله والعبد لا يطلب العلاء
ولا يعطيك شيئا الا اذا رهبا وكما ان الكرم اعم من الجود فاللؤم اعم من البخل ولا ترذل
في الحرية والكرم النساء فانهن مستخدمات بل مستعبدات ولذلك روي لو امر
الله مخلوقا بعبادة مخلوق لامر النساء بعبادة ازواجهن ان قيل ما حقيقة
قول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم قيل لما كان اسما للافعال المحمودة
التي تقدم ذكرها وهذه الافعال انما تكون فاضلة اذا كانت عن علم وقصد بها
اشرف الوجوه اي وجه الله تعالى وذلك هو التقوى فليس التقوى الا العلم
والتحري الافعال المحمودة فاذا كل من كان اتقى كان اكرم والعزيز الذي
ياتي تحمل المذلة واستقاقه من العزاز كالمتظلف في الامتناع من تناول
الشهوات المذلة واصله من الظلف وهو الارض الصلبة وفرق بعض الحكماء المزلة نخ
بين العزيز والكريم فقال الكريم يأبى ان يتفضل والعزيز يأبى ان يتفضل
عليه والظرف اسم لحالة يجمع عامة الفضائل النفسية والبدنية والخارجية
تشبيها بالظرف الذي هو الوعاء ولذلك قال اعرابي فلان حاضن الظرف و
مقر الفضل ولكونه واقعا على كل ذلك قيل لمن حصل له علم وشجاعة ظريف ولمن حسن

ملعب
لباسه واثاثه ورياشه ظريف فالظرف اعم من الحرية والكرم واما الفتوة فكالمروة
فانه اسم لما يختص به الفتى من الفضائل الانسانية لكن هي بالرجولية اشبه
وقد استعارت الصوفية لفظ الفتوة للتصوف لكونها مشاركة له في جميع افعالها
الا في الغرض فان غرض الفتيان استجلاب محمدة الاقران وغرض المتصوفة
استجلاب محمدة الرحمن بل مجرد مرضاته واما الحسيب فقد يقال فيما يختص الانسان
٢٩ به فيعده من ماثره وقد يقال فيما يوثر عن ابائه والشرف نحو لكن اكثر ما يقال
فيما يوثر عن الاباء الفضائل التوفيقية التوفيق موافقة ارادة الانسان وفعله
قضاء الله تعالى وقد وهو وان كان في الاصل موضوعا على وجه يصح استعماله في السعادة و
الشقاوة فقد صار متعارفا في السعادة والشقاوة جميعا فيقال اتفاق جيد واتفاق
ردي والتوفيق مما لا يستغني الانسان عنه في كل حال كامل الحكيم ما الذي لا يستغني
عنه احد في كل حال فقال التوفيق وانشد شعر اذا لم يكن عون من الله للفتى
فاكثر ما يجني عليه اجتهاده فالسعادة التوفيقية هي الهداية والرشد و
التسديد والتاييد فيجب ان يعلم ان لا سبيل لاحد الى شيء من الفضائل الا بهداية
الله ورحمته فهي مبدا الخيرات ومنتهاها كما قال تعالى اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى وخاطب الناس فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من اي هدايته
احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنة الا
برحمة الله تعالى اي بهدايته قيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا ثنيها انه لو توهمت
رحمة مرتفعة ابدا او انتهاء ما كان لنا سبيل الى ذلك وللهداية ثلثة منازل في
الدنيا الاول تعريف طرق الخير والشر المشار اليها بقوله تعالى وهديناه النجدين
وقد جعل الله تعالى الهدى كل مكلف بعضه بالعقل وبعضه بالسنة الرسل واياه عنى
بقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثاني ما يمد به العبد حالا

فی الاجتباء استزادته من العلم والعمل الصالح وایاه عنی بقوله قل ان هدی الله هو الهدی
والذین اهتدوا زادهم هدی والثالث نور الولایة التی هی ... فی افق النبوة
وایاه عنی بقوله قل ان هدی الله هو الهدی فاضاف ذلک الی لفظه الله تعظیما لتعلیمه
له ثم قال هو الهدی فجعله الهدی المطلق وبقوله یا ایها الذین آمنوا ان تتقوا الله
یجعل لکم فرقانا ای نورا تفرقون به بین الحق والباطل وکل ذلک یسمی النور والحیوة
نحو او من کان میتا فاحییناه وجعلنا له نورا یمشی به فی الناس الآیة وقال افمن شرح
الله صدره للاسلام فهو علی نور من ربه وبتحری هذه المنازل الثلاثة یتوصل
الی الهدایة بالجنة المذکورة فی قوله وقالوا الحمد لله الذی هدانا لهذا وما کنا
لنهتدی لولا ان هدانا الله والرشد عنایة الهیة تعین للانسان عند
توجهه فی اموره فیقویه علی ما فیه صلاحه ویفتره عما فیه فساده واکثر
ما یکون ذلک من الباطن نحو قوله تعالی ولقد آتینا ابرهیم رشده من قبل و
کنا به عالمین وکثیرا ما یکون ذلک بتقویة العزم او فسخه والیه توجه قول من قال
واعلموا ان الله یحول بین المرء وقلبه والتسدید ان یقوم ارادته
وحرکاته نحو الغرض المطلوب لیهجم علیه فی اسرع مدة یمکن الوصول فیها الیه
وهو المسئول بقوله اهدنا الصراط المستقیم والنصرة من الله معونته الانبیاء
والاولیاء وصالحی العباد بما یؤدی الی صلاحهم عاجلا وآجلا وذلک یکون تارة
من خارج بان یقیض الله فیعینه وتارة من داخل بان یقوی قلوب الاولیاء
او یلقی رعبا فی قلوب الاعداء وعلی ذلک قوله تعالی انا لننصر رسلنا والذین
آمنوا فی الحیوة الدنیا ویوم یقوم الاشهاد وقوله ولقد سبقت کلمتنا لعبادنا
المرسلین انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون واما ما یختص بسعادة
الدنیا ولا یعتبر فیه العاقبة فیقال الدولة والدولة وعلی هذا قوله تعالی وتلک الایام

نداولها بین الناس وقوله فی وصف الفیء کیلا یکون دولة بین الاغنیاء منکم والتایید
تقویة امره من داخل بالبصیرة ومن خارج بقوة البطش وللاول قال تعالی اذ ایدتک
بروح القدس والعصمة فیض الهی یقوی به الانسان علی تحری الخیر وتجنب الشر
حتی یصیر کمانع له من باطنه وان لم یکن محسوسا وایاه عنی بقوله ولقد همت به وهم بها
لولا ان رای برهان ربه وقد روی ان یوسف رای صورة یعقوب علیهما السلام وهو عاض
علی ابهامه فاحجم ولیس ذلک بمانع ینافی التکلیف کما تصوره بعض المتکلمین فان ذلک
کان تصورا منه وتذکرا لما کان قد حذره منه وعلی هذا قال کذلک لنصرف عنه
السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصین ومن عصمته تعالی ان یکرر الوعید علی من
یرید عصمته لئلا یغفل ساعة من مراعاة نفسه کقوله تعالی للنبی صلی الله علیه وسلم
ولو تقول علینا بعض الاقاویل لاخذنا منه بالیمین ثم لقطعنا منه الوتین واعلم
ان رشده تعالی للعبد وتسدیده ونصرته وعصمته یکون بما یخوله من الفهم
الثاقب والسمع الواعی والقلب الراعی وتقییض المعلم الناصح والرفیق الموافق و
امداده من المال بما لا یقعد به عن مغزاه قلته ولا یشغله عنه کثرته ومن العشیرة
والقرباء ما یصونه عن سفه السفهاء وعن الغض منه من جهة الاغبیاء وان یخوله من
کبر الهمة وقوة العزیمة ما یحفظه عن التسفف للدنیة وتاخره عن بلوغ کل منزلة سنیة
٣٠ فی تلازم الفضایل النفسیة بعضها بعضا العقل والعفة والشجاعة والجود والعدالة
وسائر الفضائل مثلا ثم فان العقل اذا اشرق عقل صاحبه عن الاقدام علی
ما یورثه مذمة ویحمله علی الاقدام علی المخاوف التی تورثه المحمدة وعلی ان یسمح بفضل
ما فی یده لمن یحتاج الیه وان یبذل لکل ذی حق حقه وذلک هو العفة والشجاعة و
الجود والعدالة وکذا اذا کان عدلا یحمله عدله علی ترک تناول ما لا یجوز تناوله وان
لا یحجم عما یلزمه الاقدام وان لا یبخل بفضل ما فی یده واذا کان شجاعا لا تقهره شهوته

بسم الله الرحمن الرحیم قال المعلم الاول امهات الفضایل ستة لانها اما فی النفس واما فی البدن واما ان تکون خارجة عنهما اما النفسیة فثلاثة الحکمة والعفة والشجاعة واما البدنیة فثلاثة ایضا الصحة والجمال والقوة واما الخارجة ... علیه ... عنهما فهی المال والجاه والنسب

على ما يجوز تناوله وعلى ظلم غيره ولا يخاف الفقر فيبخل ولهذا النظر جعل بعض الشعرا الشجاعة
سماحة والسماحة شجاعة وقال **شعر** أيقنتُ انّ من السماح شجاعةً
تُدمي وان من الشجاعة جودا ❊ وجعل النبي صلى الله عليه وسلم دفع الشهوة جهادا فقال
جاهد كل سوال وجعلت العفة جودا فقيل الجود جودان جود بما في يدك وجود عما
في يد غيرك ومواعظها وهذه الفضايل اذا احصلت حصل بها الانسانية والحرية
والكرم وعنها ينال فضل الاسلام والايمان والتقوى والاخلاص **البواعث على فعل**
٣١ **الخير وتحري الفضائل** البواعث على تحري الخيرات الدنيوية ثلاث ادناها الترغيب
والترهيب ممن يرجى نفعه ويخشى ضره والثانية رجا الحمد وخوف الذم ممن يعتد
بحمده وذمه والثالثة تحري الخير وطلب الفضيلة فالاولى من مقتضى الشهوة
وذلك من فعل العامة والثانية من مقتضى الحياة وذلك من فعل السلاطين وكبار
ابنا الدنيا والثالثة من مقتضى العقل وذلك من فعل الحكماء ولهذه المنازل الثلاث
قيل خير ما اعطى للانسان عقل يردعه فان لم يكن فحيا يمنعه فان لم يكن فخوف يقمعه
فان لم يكن فمال يستره فان لم يكن فصاعقة تحرقه تستريح منه العباد والبلاد و
كذا البواعث على الخيرات الاخروية ثلاث الاولى الرغبة في ثواب الله والمخافة
من عقابه وذلك منزلة العامة والثانية رجا حمده ومخافة ذمه وذلك منزلة الصالحين
والثالثة طلب مرضاة الله تعالى في المتحريات وذلك منزلة النبيين والصديقين و
الشهدا وهي اعزها وجودا ولذلك قال بعضهم افضل ما يتقرب به العبد الى الله تعالى
ان يعلم انه لا يريد العبد من الدنيا والاخرة غيره قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقيل لرابعة لم لا تسئلين الله الجنة في دعايك
فقالت الجار ثم الدار ولهذا النظر قال بعضهم من عبد الله بعوض فهو ليئم وقال بعض
العلما هذه المنازل الثلاث منازل الظالم والمقتصد والسابق وانجد بان منازل

من الثلثة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سائل العلما وخالط الحكما وجالس
الكبرا فقد قال بعض العلما مسئلة العلما ترغبك من الله في ثوابه ويخوفك من عقابه و
مخالطة الحكماء تقربك من الحمد ويبعدك من الذم ومجالسة الكبراء تنزهك فيما
عدا فضل البابي **الموانع من تحري الفضائل** وذلك ضربان قصور ٣٢
وتقصير فاما القصور فان لا يكون له المعاني المعتبرة التي قد منا ها ولا التمكن من اكتسابها
او يكون له ذلك ولكن يعوقه عن استعماله عائق من مرض وشغل ضروري تعذره كالحاجة
الى السعي فيما يسد به جوعته ويستر به عورته ومما عدم الوسع المذكور في قوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ودوا الامرين الفزع الى الله والتضرع اليه بان يجبر
نقصه بتمام جوده وسعة رحمته واما التقصير فاربعة اشيا الاول ان يكون انسانا
لا يعرف الحق من الباطل ولا الجميل من القبيح فبقي غفلا فدواه سهل وهو التعليم الصايب
والثاني ان يكون قد عرف ذلك لكن لم يتعود فعل الصالح وزين له سوء عمله فراه حسنا
فتعاطاه وامره اصعب من الاول لكن يمكن ان يقهر على العادة الجميلة حتى يتعودها
وان كان قد قيل نقل العادة شديد والثالث ان يعتقد في الباطل والقبيح انه
حق وجميل فتربى على ذلك مداواة ذلك صعب جدا فقد صار ممن طبع على قلبه
اذ قد نقش بنقش خبيث كالكاغد كتب فيه ما يودي حذفه منه الى خرقه و
افساده والرابع ان يكون مع جهله وتربيته على الاعتقاد الفاسد شريرا في نفسه يرى
الخلاعة وقهر الناس فضيلة وذلك اصعب الوجوه والى نحو هذا قصد من قال من التعذيب
الذئب لحم الذئب تاديب الذيب ليتهذب وغسل المسح ليبيض فالاول من هولا الاربعة يقال له الجاهل
والثاني والثالث يقال له جاهل وضال وفاسق والرابع يقال له جاهل وضال وفاسق وشرير
٣٣ **المرتقا في درجات الفضايل والانحدار الى اقصى الرذايل** للانسان في منازل
الفضايل مرتقى صعب ومنحدر سهل وعلى المرتقا فيها حث ربنا تبارك وتعالى

وجنة عرضها السموات والارض

وسارعوا الى [illegible] مغفرة من ربكم وبقوله فاستبقوا الخيرات ومدح قوما بقوله
اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وعن الارتداد عنها نهى الله تعالى بقوله
ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين وبقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من
بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم وذم قوما لا شانهم ذلك بقوله ان
الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى
لهم وبقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما
تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم وبقوله ومنكم من يرد الى ارذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا فان الاية تقتضي هذا المعنى وان كان ظاهرها يدل
على الجهل الذي يورثه الهرم فالخيرات يترقى فيها فيبلغ الى اشرف المنازل باربع درجات
ويتحدر عنها فيبلغ الى ارذل المنازل باربع درجات ايضا فاما درجات الارتقاء
فاولاها ان ينزع الانسان عن المأثم ويهجرها ويندم عليها ويعزم على ترك معاودتها
وذلك اولى درجة التائبين المطيعين لله ورسوله وثانيتها ان يقوم بالعبادات
المفترضة عليه ويسارع فيها بقدر وسعه وذلك درجة الصالحين والثالثة ان
يتحرى بعلمه الحقيقي تعاطي الحسنات من غير تلفت منه الى المحظورات المجاهدة هواه
واماتة شهواته وذلك منزلة الشهداء ورابعتها ان يكون مع هذه الاحوال المتقدمة يرضى
ظاهرا وباطنا بقضاء الله تعالى فلا ينزع عن تحت حكمه ولا يتسخط شيئا من امره ويعلم ان
الله تعالى اولى به من نفسه وذلك درجة الصديقين وهذه المنازل الاربعة هي المرادة
بقوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا واحد وبان يكون هذه المنازل الاربعة هي المامور
بها في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
واعلم ان منزلة الرضا اشرف المنازل بعد النبوة فمن رضي عن الله فقد رضي الله عنه لقوله

رضي الله عنهم ورضوا عنه فجعل اجل الرضائين مقرونا بالآخر فمن بلغ هذه المنزلة فقد
عرف خساسة الدنيا واطلع على جنة المأوى وخطب مودة الملأ الاعلى وحظي
بتحيتهم المعنية بقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار واما درجات الانحدار ولا ارتداد عنها فاولها الكسل
عن تحري الخيرات ويورثه ذلك الزيغ المعني بقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيتها
الغباوة وهو ترك النظر وبغض العلم فيورثه ذلك رينا على قلبه وهو المعني بقوله
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وثالثتها الوقاحة وهو ان يرتكب الباطل
ويراه صورة الحق ويذب عنه فيورثه ذلك قساوة قلب كما قال ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ورابعتها الانهماك في الباطل وهو ان يستحسنه
فيحبه ويحسنه ويحببه فيورثه ذلك ختما على قلبه واقفالا عليه كما قال الله تعالى
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وكما قال ام على قلوب اقفالها فالكسل سبب الغباوة
والغباوة سبب الوقاحة والوقاحة سبب الانهماك في الباطل كما ان الزيغ يوجب الرين
والرين يوجب القساوة والقساوة توجب الختم ولهذا تقال يجب على الانسان ان يراعي نفسه
في الابتداء ولا يترخص في ارتكاب الصغائر فيؤديه ذلك الى ارتكاب الكبائر كما قيل
ان الامور دقيقها مما يهيج له العظيم وقد قال تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم
فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم
بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين فدل ان قعودهم اول مرة اداهم الى ان
صاروا محكوما عليهم انه لا ينافي عنهم الخروج معه صلى الله عليه وسلم [illegible]
٣٤ [illegible] الذين ترددوا في [illegible] متى توكوا تعاطي
الاحسان والافضال وتحري العدالة فيما بينهم فلا يانون الاخلقا ولا تخلقا ولا رياء
ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة فصاروا في تعاطي الشر سواسية كاسنان الحمار

عدم منهم الفضيلة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا
تساووا هلكوا فحينئذ ان بقي في نفوسهم اثر قبول الخير انشأ الله فيهم من يهديهم باللسان
والسيف المحق كبعثه النبي صلى الله عليه وسلم في العرب لما بقي فيهم من اثر الخير من تعظيم
الشهر الحرام والبيت الحرام والوفاء بالذمام وان قل فيهم اثر قبول الخير سلط الله عليهم
سيفا جائرا كما قال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكما
قال صلى الله عليه وسلم ان الله ينتصف من اوليائه باوليائه ومن اعدائه باعدائه وعاملهم
بما عامل به بني اسرائيل حيث سلط عليهم بخت نصر وقد ذكر ذلك في قوله تعالى فاذا
جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا الآية وان عدم منهم اثر القبول بعث فيهم
عذابا يفنيهم اما طوفانا او جائحة او نارا محرقة او ريحا فيها عذاب اليم فيطهر منهم البلاد
ويريح منهم العباد كصنيع الله بعاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وذلك كالارض اذا استولى
عليها الشوك لا بد من تسليط النار عليها حتى تعود بيضا اصناف الناس الناس ضربان
خاص وعام فالخاص من قد تخصص من المعارف بالحقائق دون التقليدات ومن الاعمال
بما يبلغ به الى جنة المأوى دون ما يقتصر به على الحياة الدنيا والعام اذا اعتبر بذلك
فالذين يرضون من المعارف بالتقليدات ومن اكثر الاعمال بما يؤدي الى منفعة
دنيوية واذا اعتبر بامور الدنيا فالخاص من تخصص من امور البلد بما يحزم بافتقاد
احدى السياسات المدنية والعام من لا يحزم بانتقاده شيء منها وهم من وجه آخر ثلثة
اضرب خاصة وعامة واوساط والاوساط هم المسمون في كلام العرب بالسوقة فالخاص
هو الذي يسوس ولا يساس والعام هو الذي يساس ولا يسوس والوسط الذي
الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه ومن وجه آخر ثلثة اضرب اصحاب
الشهوات وهم بهم الجبن واليسار والاكل والشرب والبعال واصحاب الكرامة والرياسة
وهمهم المدح واستجلاب الصيت والمحمدة واصحاب الحكمة واحد منهم يستعظم من هو من جنسه

ولهذا

٣٠

ولهذا احتاج السلطان ان يتخصص بكل ذلك ويقتنيه ليكون معظما عند كل ضرب من
الناس فيعظمه اصحاب الحكمة لحكمته واصحاب الكرامة والرياسة لرياسته واصحاب
الشهوات لماله وكثرة قنيانه ومن وجه آخر ثلثة اضرب ملكي وشيطاني وانسي
فالملكي هو الذي يستعمل القوة العاقلة بقدر وجهده وهم المؤمنون حقا والشيطاني هو
الذي يستعمل القوة الشهوية من غير تلفت الى مقتضى العقل والانسي الذي خلط عملا
صالحا وآخر سيئا وهم المذكورون في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وهم المؤمن والفاسق والكافر وهم المذكورون
الى قوله وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون ومن وجه آخر ضربان ابرار وفجار
فالابرار ثلثة اضرب ظالم ومقتصد وسابق وهم المذكورون في قوله تعالى ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله وهم ايضا اعني الابرار ثلثة اضرب انبياء للمشاهدة والهداية لقوله تعالى
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
وحكما وهم الاولياء للمراقبة والرعاية لقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وعزلهم للمجاهدة والكفاية وهم المذكورون
في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وهم ايضا ضربان عبد بالطبع
وان كان ملكا وملك بالطبع وان كان عبدا مسترقا والملك من حصل الفضائل النفسية
التي بها يصير الانسان بحيث يصح ان يوصف بانه رباني والهي وملكي ويصح ان يكون
خليفة الله في ارضه والعبد من قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه تعس عبد الدرهم تعس
عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش وقال بعض الحكماء ما من انسان الا

وفيه خلق من اخلاق بعض الحيوانات وبعض النبات ليكون الانسان مشاركا لهما
في الجنسية فمن الناس غشوم كالاسد وغائث كالذيب وخب كالثعلب وشره كالخنزير
وجامع كالنمل ووقح كالذباب وبليد كالحمار والوف كطير الوفا وصنع كالترفه
وانف كالاسد وغيور كالديك وهاد كالحمام ومنهم حسن المنظر والمخبر كالاترج
ومنهم خلاف ذلك كالعفص والبلوط ومنهم قبيح المنظر حسن المخبر كالجوز واللوز ومنهم
حسن المنظر قبيح المخبر كالحنظل والدفلى والمومن الخير هو في الحيوانات كالنحل ياخذ
الطايب من الاشجار فلا يقطف ثمرا ولا يكسر شجرا ولا يوذي بشرا ثم يعطي الناس ما يكثر
نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه وهو في الاشجار كالاترج يطيب حملا ونورا وعودا
وورقا والمنافق الشرير في الحيوانات كالفل والارضة وفي الاشجار كالكشوث فلا
اصل ولا نسيم ولا ظل ولا زهر يفسد الثمار وييبس الاشجار وكالشجرة التي قل ورقها
وكثر شوكها وصعب مرتقاها **الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما**
يضادها **فضيلة العقل** العقل اول جوهر اوجده الله وشرفه بدلالة
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل
ثم قال ادبر فادبر ثم قال بعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك آخذ وبك اعطي
ولو كان ما توهمه قوم انه عرض لما صح ان يكون اول مخلوق لانه محال وجود شيء
من الاعراض قبل وجود جوهر يحمله وقال صلى الله عليه وسلم لا دين لمن لا عقل له وقال
صلى الله عليه وسلم لا يعجبكم اسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله ومن الوجه اشار
النبي صلى الله عليه وسلم اليه بقوله الحكماء من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان
حتفه في اغلب خصال الخير عليه وبالعقل صار خليفة الله تعالى ولو توهم مرتفعا
لارتفعت الفضائل من العالم فضلا عن الانسان وبا عرضه الله تعالى منه في الانسان
اهتدى من وفقه الله الى تزكية نفسه المذكور في قوله قد افلح من زكيها وقد خاب

من

Margin notes (right page):
- كالابل نحو
- ولا ورق ص
- وبك اثيب وبك اعاقب ص

من دسيها وحصل به حرث الآخرة المذكورة في قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد
له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الآخرة من نصيب وحرث
الآخرة على التفصيل سبعة اشياء بقا بلا فنا وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى
بلا حاجة وامن بلا خوف وراحة بلا شغل وعز بلا ذل والى العقل اشار بقوله الله نور السموات
والارض الآية ومعنى نور السموات والارض منورهما وقد تقدم وجه ضرب هذا المثل
والعقل يقال على ضربين احدهما بغير اضافة وهو المذكور بانه اول مخلوق والثاني
بالاضافة الى آحاد الناس فيقال عقل فلان وهو من الاول بمنزلة الضوء من الشمس
انواع العقل العقل عقلان غريزي وهو القوة المتهيئة لقبول العلم ووجوده في الطفل
كوجود النخل في النواة والسنبلة في الحبة ومستفاد وهو الذي يقوى به تلك القوة
وهذا المستفاد ضربان ضرب يحصل للانسان حالا فحالا بلا اختيار منه فلا يعرف كيف
حصل ومن اين حصل وحصوله بعد اجتهاده في تحصيله ولكون العقل غريزيا و
مستفادا قال امير المومنين علي عليه السلام العقل عقلان مطبوع ومسموع فلا يصلح احدهما
الا بالآخر والى الاول اشار بقوله لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب
البر فتقرب اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند
الله في الآخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اكتسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى
ويرده عن ردى ولاختلاف النظرين قال قوم العقل مبدع وقال قوم هو مكتسب
وكلا القولين صحيح من وجه ووجه العقل الغريزي للنفس بمنزلة البصر للجسد و
المستفاد بمنزلة النور فكما ان البدن لو لم يكن له بصر وهو اعمى كذلك النفس متى لم تكن
لها بصيرة اي عقل غريزي فهي عميا وكما ان البصر متى لم يكن له نور من خارج لم يجد له
بصرا كذلك العقل اذا لم يكن له نور من العلم مستفاد لم يجد بصيرته فلذلك قال تعالى ومن لم يجعل

Margin notes (left page):
- ثمرة ص
- مثل نوره كمشكوة ص
- النبي بقوله لعلي كرم الله وجهه اشار الى الثاني صلعم صح
- ضرب باختيار منه فيعرف كيف حصل ومن اين حصل صح
- فلا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع ص

الله له نورا فما له من نور وقد جعل للعقل نظرا وادراكا ورؤية وجعل له اضدادا من العمى
وغيره فقال وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال ما كذب الفؤاد ما راى
وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض ولما كان فقدان البصيرة اشنع
من فقدان البصر لانه بارتفاع البصيرة ارتفاع النفع بالبصر قال الله تعالى فانها لا
تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فذمهم بفقدان البصيرة تنبيها
ان فقدانها اختيارى اذ هو بتركهم استفادة العلم واكثر فقدان البصر ضرورى
وقال الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا فلولا
ان العين اريد بها البصيرة لما قال عن ذكرى لان الذكر لا يدرك بحاسة البصر
وقال ابن عباس لمن عيره بفقدان البصر انما نصاب فى ابصارنا وانتم تصابون
فى بصائركم وكيف لا يكون فقدان البصيرة اعظم ضررا من فقدان البصر وقد علم
ان البدن بمنزلة فرس والنفس راكبة وضرر عمى الراكب اشد عليه من
ضرر عمى فرسه **المكتسب من العقل الدنيوية والاخروية** العقل المكتسب
ضربان احدهما التجارب الدنيوية والمعارف المكتسبة الثانى العلوم الاخروية
والمعارف الالهية وطريقتهما متنافيتان وقد ضرب امير المؤمنين على رضى الله عنه
لذلك ثلثة امثال وقال ان مثل الدنيا والآخرة ككفتى الميزان لا يرجح احدهما
الا بنقصان الاخرى وكالمشرق والمغرب كلما قرب من احدهما بعد من الاخر
وكالضرتين اذا رضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى اقواما اكياسا
فى تدبير الدنيا وسياستها بلها فى امور الآخرة وقوما اكياسا فى امور الآخرة
بلها فى امور الدنيا حتى قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت وقال لمن نسب بعض الصالحين الى البله اكثر اهل الجنة البله

والاختلاف

والاختلاف طريقتهما قال الحسن ادركنا قوما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو
رآوكم لقالوا شياطين ولقلة الاعتداد بالمعارف الدنيوية قال لرجل وصف
نصرانيا بالعقل مه انما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته وقال تعالى حكاية
عن اهل النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير ومن تصور اختلاف
الطريقين اعنى طريق الدنيا وطريق الاخرة لم تتعرض له الشبهة التى اعترضت
لقوم قالوا لو ان ههنا حقا لما جهله الذين لم يلحق مساعيهم فى تدبير الدنيا
ودقائق الصناعات ودقائق الحكم والسياسات وذلك انه من المحال ان
يظفر سالك طريق المشرق بما لا يوجد الا فى المغرب ويظفر سالك طريق المغرب
بما لا يوجد الا فى المشرق كذلك من المحال ان يظفر سالك طريق معارف الدنيا
بطريق معارف الاخرة وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله ان الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وبقوله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم
غافلون ولا يكاد يجمع بين معرفة طريق الدنيا والاخرة معا المحقق والمصدق
الا من رشحهم الله لتدبير الناس فى امر معاشهم ومعادهم جميعا كالانبياء وبعض
الحكماء ولما كان العقل هو الذى يردع الانسان عن الذنب والاكتساب على التمام
والكمال فى الورى عسير لم ينفك احد من ذنب يرتكبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ما منا الا اذنب وهم النبى **منازل العقل واختلاف اساميها بحسبها**
العقل اسم عام لما يكون بالقوة وبالفعل ولما كان غريزيا وما كان مكتسبا وهو
فى اللغة قيد البعير لئلا يند وسمى هذا الجوهر به تشبيها على عادتهم فى استعارة اسماء
المحسوسات للمعقولات وخص بلفظ بناء المصدرية لما كان يستعمل مرة للحدث
ومرة للفاعل نحو عدل وصوم وزور ومرة للمفعول نحو خلق وامر لكن يتصور منه كونه

سببا لتقييد الانسان به وكونه مقيدا له عن تعاطي ما لا يجمل وكونه مقيدا به من سن
الحيوان والنهى في الاصل جمع نهية او اسم مفرد نحو جمل وصرد او وصف نحو
دليل ختع وسائق حطم وجعل اسما للعقل الذي انتهى من المحسوسات الى معرفة
ما فيه من المعقولات ولهذا احيل به على تدبر معاني المحسوسات في نحو قوله افلم يهد لهم
كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى وقال
تعالى وانزل من السماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في
ذلك لآيات لاولي النهى والحجر اصله من الحجر اي المنع وسماه لما يلزمه الانسان من حظر
الشرع والدخول في احكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر وسمي حجى من
حجاه اي قطعه ومنه الاحجيه وكانه سمي بذلك لكون الانسان قاطعا عما يقبح
واما اللب فهو الذي قد خلص من عوارض الشبهة وترشح لاستفادة الحقايق
من دون الفزع الى الحواس ولذلك علق الله تعالى في كل موضع ذكر معاني المعقولات
دون الامور المحسوسة نحو قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل و
النهار لآيات لاولي الالباب فوصفهم الله تعالى بهداية الله تعالى اياهم وقد سمى الله
العلم نورا والجهل ظلمة فقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور الآية وسماه روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسماه حياة
والجهل موتا فقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس كمن مثله في الظلمات الآية وقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا
الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات
ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور وسماه ماء بقوله انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها الآية والايمان وبه العقل والعمل ولذلك قال
الله تعالى في مواضع ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فعلق به ما علق بها وسمى

والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت صح

ليس بخارج منها صح

وما انت الا نذير صح

قلبا

العقل قلبا وذاك انه لما كان القلب مبدا تاثير الروحانيات والفضائل سميت
به ولذلك عظم الله تعالى امره لاختصاصه بما قد اوجد لاجله وقال تعالى يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وقال
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فنبه ان القلب
في الحقيقة يكون قلبا اذا كان مختصا بما قد اوجد لاجله وما اوجد لاجله هو المعارف
الحقيقية وقال صلى الله عليه وسلم ان في البدن مضغة اذا استقامت استقام البدن
واذا اعوجت اعوج البدن ولما كان اشرف المعارف هو ما تخصص به القلب
قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك فخصصه بالذكر جلالة العقل
وشرف العلم العقل حيثما وجد يكون محتشما حتى ان الحيوان اذا راى
انسانا احتشمه بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار ولذلك تنقاد الابل للرعاء
ولذلك تجمع الرعاة اذا راوا منهم من كان اوفر عقلا واغزر فضلا فيما هم
بصدده انقادوا له طوعا فالعلماء اذا لم يعاندوا انقادوا واضطرارا اكثرهم
علما واوفرهم نفسا وافضلهم عقلا ولا ينكر فضله الا كل متدنس بالمعايب متطلب
لرياسة حائط على غرض دنيوي وقد جعل عقله خادما لشهوته فلمحافظته على
رياسته ينكر فضل الفاضل ولفضيلة العقل الوافر كان كثيرا ممن يعاند
النبي صلى الله عليه وسلم قصده ليقتله فما كان الا ان وقع طرفهم عليه فتراءى
لهم نور الله تعالى معربا عنه فالقي في قلوبهم منه روعة فهابوه فمن مذعن
له طائعا وخبيث لا ينكره بعد الا جاحدا ولهذا المعنى قال الشاعر شعر
لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تنبيك عن خبره
وقد تقدم ان الانسان لم يتميز عن البهائم الا بالعقل ولم يشرف الا بالعلم
ومن شرف العلم ان كل حياة انفكت عنه فهو غير معتد بها بل ليست في حكم الوجود

[illegible] صح

فان الحيوة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الاحساس فليلتذ بما يوافقه
فيطلبه ويتألم بما يخالفه فيهرب منه وذلك اخس المعارف فتقتضي الحياة
الانسانية انها اذا تعرت من المعارف المختصة بها ان لا يعتد بها ولهذا سمى
الله تعالى الجاهل ميتا في غير موضع من كتابه فقال او من كان ميتا فاحييناه
ولاجل ان الحياة تقارن العلم سمى الله تعالى العلم روحا في قوله وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ان حاجة الانسان الى العلم اكثر من حاجته الى المال لان العلم
نافع لا محالة ونفعه دائم في الدنيا والآخرة والمال قد ينفع وقد يضر فاذا نفع نفعه
منقطع فمن استفاد علما ثم ضيعه او يمكن من استفادته فاهمله فقد خسر خسرانا
مبينا كما قال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
الى قوله فاقصص القصص لعلهم يتفكرون الفرق بين العلم والعقل والفهم و
المعرفة والدراية والحكمة العلم ادراك الشيء بحقيقته وهو ضربان
احدهما حصول صور المعلومات في النفس والثاني حكم النفس على الشيء بوجود
شيء له هو موجود له او نفي شيء عنه هو غير موجود له نحو الحكم على زيد بانه خارج او ليس
بطاير فالاول هو الذي قد يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد
وفي النحو المعرفة ويتعدى الى مفعول واحد والثاني يسمى العلم دون العقل
ويتعدى الى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على احدهما من حيث ان القصد اذا قيل
علمت زيدا منطلقا اثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد والعلم ان
العقل والعلم يتناسبان الى الامر على ثلثة اوجه احدها عقل ليس بعلم وهو العقل
الغريزي والثاني علم ليس بعقل وهو المتعدي الى المفعولين والثالث عقل
هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذي يقال له المعرفة ولم يصح
ان تعدي العقل الى المفعولين فيقال عقلت زيدا منطلقا كما يقال في علمت لكون

العقل

وقد ذكرناه

يتفكرون نخ

العقل موضوعا للعلم البسيط دون المركب ويسمى عقلا من حيث انه مانع لصاحبه
ان يتبع افعاله على غير نظام ويسمى علما من حيث انه علامة على الشيء وهذا اذا اعتبر
حقيقته مما تبين به شرف اللغة العربية واما الفرق بين العلم البسيط اعني
المتعدي الى مفعول واحد وبين المعرفة هو ان المعرفة قد يقال فيما يدرك آثاره
وان لم يدرك ذاته والعلم لا يكاد يقال الا فيما يدرك ذاته ولهذا يقال فلان
يعرف الله ولا يقال يعلم الله لما كانت معرفته تعالى ليست الا بمعرفة آثاره
دون معرفة ذاته وايضا فالمعرفة تقال فيما لا يعرف الا كونه موجودا فقط
والعلم اصله ان يقال فيما يعرف وجوده وجنسيته وكيفيته وعلته ولهذا
يقال الله تعالى عالم بكذا ولا يقال عارف بكذا لما كان العرفان يستعمل في
العلم القاصر وايضا فالمعرفة تقال فيما يتوصل اليه بتفكر وتدبر والعلم
قد يقال في ذلك وفي غيره ويضاد العرفان الانكار والعلم الجهل واما الدراية
فالمعرفة المدركة بضرب من الحيل وهو تقديم المقدمة واجالة الخاطر واستعمال
الروية واصله من دريت الصيد والدرية يقال لما يتعلم عليه الطعن وللناقة
التي يستتر بها الصائد ليأنس الصيد بها فيرمي من ورائها والمدرى لما يصلح به
الشعر ولقرن الشاة ولا يصح ان يوصف بذلك الباري لان معنى الحيل لا يصح عليه
ولم يرد بذلك سمع فيتبع وقول الشاعر
لاهم لا ادري وانت الداري ∴ من تجرد في الاعراب الاجلاف
واما الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالنظري وفي العمل
اكثر استعمالا منه في العلم وان كان العمل لا يكون محكما من دون العلم به ومنها يقال احكم العمل
احكاما وحكم بكذا احكاما والحكمة من الله اظهار الفضائل المعقولة والمحسوسة ومن العباد

معرفة ذلك بقدر طاقة البشر وقد حدّت الحكمة من ~~الله الى اظهار الفضائل المعقولة~~
بالفاظ مختلفة على نظرات مختلفة وقيل هي معرفة الاشيا الموجودة وعجائبها
ويعني كليات الاشيا فاما جزئياتها فلا سبيل للبشر الى الاحاطة بها وهذا الحد
بحسب اعتبارها بالعلم وقيل اماتة الشهوات على ما يجب وهذا الحد بحسب اعتبارها
بالعمل فيما هو غاية المراد من الانسان وقيل هي الاقتداء بالخالق في السياسة بقدر
طاقة البشر وذلك بان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الظلم وجوده
عن البخل وحلمه عن السفه وبنحو هذا الفعل يقرب [illegible] العبد من خالقه سبحانه
في الدنيا ونسبة العلوم الى الحكمة من وجه كنسبة الاعضاء الى البدن في كونها ابعاضا
لها ومن وجه كنسبة المرؤوسين الى الرئيس في كونها مستولية عليها ومن وجه كنسبة الاولاد
الى الام في كونها مولدة لها وهي في تعارف الشرع اسم للعلوم العقلية اي المدركة بالعقل
وقد افرد ذكرها في عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب اسما لما لا يدرك الا من جهة
النبوات والحكمة لما يدرك من جهة العقل وجعلا منزلين وان كان انما لهما
من الله تعالى لكونهما مختلفين وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد منهما الى الاخر قدم
وقيل لولا الكتاب لاصبح العقل حائرا ولولا العقل لم ننتفع بالكتاب ومثل الكتاب
منزلة اليد والعقل بمنزلة الميزان ولا تعرف المقادير الا بهما ولذلك عبّر بالحكمة
من الميزان في قوله انزل الكتاب بالحق والميزان ولا يبلغ الحكمة الا احد رجلين اما
مهذب في فهمه وموفق في فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر واما الهي يصطفيه موفق له
الله فيفتح عليه ابواب الحكمة بفيض الهي ويلقي اليه مقاليد جوده فيبلغه ذروة
السعادة به ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم منافع العقل
العقل المشرف في الانسان يحصل منه العلم والمعرفة والدراية والحكمة وقد تقدم ذكرها

وحصل

وحصل عنه ايضا الذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل لمعت
والبديهة والكيس والخبر واصابة الظن والفراسة والزكانة والكهانة والعرافة
والالهام ودقة النظر والراي والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكر وجودة
الحفظ والبلاغة والفصاحة فاما الذكاء فالمضاء في الامر وسرعة القطع بالحق
واصله من ذكت النار وذكت الريح وشاة مذكاة مدرك ذبحها بحدة السكين وذكي
الرجل هو تم منه قوة الذكاء لكن لما كان اكثر ما يوجد ذلك فيمن تمت سنه صار يعبر
عنه بتمام السن ومنه قيل جري المذكيات غلاب واما الذهن فقريب من الذكاء
لكن يقال في ادراك ما وقع فيه التنازع واما الفطنة فسرعة ادراك ما يقصد اشكاله
ولهذا يكثر في استنباط الاحاجي والرموز واما الفهم فمقدمة للعقل فمن لا استعماله
يعرف معنى الشي فهما لم يتحققه عقلا وقد يسمى الفهم عقلا وان كانت مرتبته
دون مرتبة العقل فقوة الفهم ان يدرك الاشيا الجزوية والعقل يدرك كلياتها
ومعنى ذلك ان العقل يعرف ان العدالة حسنة والظلم قبيح والفهم تميز وتبين
كل واحد من الفعل هل هو عدل او ظلم وقد يوصف بالفهم من لا يوصف بالعقل كالحاذق
في لعب الشطرنج وكل من يوصف بالعقل فانه يوصف بالفهم واما الخاطر فحركة الفهم
نحو الشي يقال خطر الشي ببالي ولم يقل خطر بالي الشي فيجوز ان يكون ذلك من المقلوب
لقولهم عرضت الناقة على الحوض وقد قيل في قولهم عقلت الشي واحسبها ايضا من المقلوب
فالشي هو المؤثر في الحاسة والعقل لهمامنه واما الوهم فانقياد النفس لقبول
اثر ما يرد عليها من قولهم [illegible] الفهم الحمل الضعيف والوهم الطريق الواسع وهم وطريق وهم
والفرق بينه وبين الخاطر ان الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس والوهم لا يقال الا فيما تقبله
النفس والوهم لا يقال الا فيما يقبله واما الخيال فنحو الوهم لكن يقال اعتبارا بالكون من جهة
الحاسة وفيما الصورة باق منه ويسمى الطيف الوارد من صورة المحبوب خيالا والخيال

قد يقال لتلك الصورة فى المنام فى اليقظة والطيف لا يقال الا لما كان فى حال النوم ولهذا ينسب الطيف الى الخيال لما كان ذلك من جالبه قال الشاعر شعر

ثم فارك الخيال ولكنك زرت طيف الخيال

واما البديهة فمعرفة ثاقبة تجى بلا فكر ولا قصد فالبديهة فى المعرفة كالبديع فى العقل واما الروية فما كان من المعرفة بعد فكر كثير وهو من روى واما الكيس فالقدرة على جودة استنباط ما هو اصلح فى بلوغ الخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت من حيث انه لا خير يصل اليه الانسان افضل مما بعد الموت وقول العرب الكيس من قتة لتصورها بصورة الكيس لانها ذات كيس فى الحقيقة وكاس فى مشيته اى اظهر الكيس فى مشيته برفع احدى رجليه وتسميتهم الغادر الكيسان اما على طريق التهكم او تنبيها ان الغادر يعد ذلك كيسا او لان كيسان فى الاصل اسم للغادر ثم سمى كل غادر باسمه كتسميتهم كل حداد هالكيا واما الخبر فالمعرفة المتوصل اليها من قولهم خبرته اى اصبت خبره وقيل هو من قولهم ناقة خبيرة اى غزيرة وكان الخبر هو غزارة المعرفة ويجوز ان يكون قولهم ناقة خبيرة هى المخبر عن غزارتها كقولهم ناقة ناحرة اى مصابٌ غزرها واما الظن فاصابة المطلوب بضرب من الامارة ولما كانت مترددة بين يقين وشك فيتقرب تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك صار يفسر اهل اللغة فمتى روى الى طرف اليقين اقرب استعمل معه ان المثقلة والمخففة منهما نحو قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقوله فظنوا انه واقع بهم ومتى روى الى طرف الشك اقرب استعمل معه ان التى للمعدومين من الفعل نحو ظننت ان تخرج وان خرجت وانما استعمل الظن بمعنى العلم فى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون لامرين احدهما تنبيه ان علم اكثر الناس فى الدنيا بالاضافة الى علمه فى الآخرة كالظن فى جنب العلم والثانى ان العلم الحقيقى فى الدنيا لا يكاد يحصل الا

اسم سليمان بن قتة مالى امه وكان من كياس واهل الكيسه شرح

كيسان

الامارات

المخففة

للنبيين والصديقين المتقين بقوله الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والظن متى عن كان امارة قوية يمدح به ومتى كان عن تخمين لا يعتمد ذم به كما قال ان بعض الظن اثم واما الفراسة فالاستدلال بهيآت الانسان واشكاله والوانه واحواله واقواله على اخلاقه وفضائله ورذائله وربما قال هى صناعة صيادة لمعرفة اخلاق الانسان واحواله وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعرفهم بسيماهم وقوله ولتعرفنهم فى لحن القول ولفظها من قولهم فرس السبع الشاة وكان الفراسة اختلاف المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر لا يعرف سببه وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحى واياه عنى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهو الذى يسمى صاحبه المروع والمحدث وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان يكن فى هذه الامة محدث فهو عمر وقيل فى قوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب الآية انما كان وحيا هو بالقاية فى الروع وذلك يكون للانبيا كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقد يكون بالالهام فى حال اليقظة وقد يكون فى حال المنام ولاجل فى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والضرب الثانى من الفراسة يكون بصناعة متعلمة وهى معرفة ما بين الالوان والاشكال وبين الامزجة وما بين الامزجة والاخلاق والافعال الطبيعية ومن عرف ذلك وكان ذا فهم ثاقب قوى بالفراسة وقد عمل فى ذلك كتب من تتبع الصحيح منها اطلع على صدق ما ضمنوه والفراسة ضرب من الظن وسئل بعض محصلة الصوفيه عن الفرق بينهما فقال الظن يتقلب القلوب والفراسة بنور الرب وقال ومن قوى فيه نور الروح المذكور فى قوله ونفخت فيه من روحى كان ممن وصفه بقوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وكان ذلك النور شاهد اصاب فيما حكم به دون الفراسة قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المتلاعنين ان امرهما بين لولا حكم الله

بالتخمين

ناحرة

ومن الفراسة علم الرويا وقد عظم الله امرها فى جميع الكتب المنزلة وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم
وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن وقال اذ
يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم وقال فى قصة ابرهيم صلوات الله عليه
يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك وقال حكاية عن يوسف عليه السلام يا ابت انى
رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين والرويا هى فعل النفس الناطقة
ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لايجاد هذه القوة فى الانسان فايدة والله تعالى عن الباطل
وهى ضربان ضرب وهو الاكثر اضغاث احلام واحاديث النفس من الخواطر الردية
لكون النفس فى تلك الحال كالماء المتموج الذى لا يقبل صورة وضرب وهو الاقل صحيح
وذلك قسمان قسم لا يحتاج الى تاويل وقسم يحتاج الى تاويل ولهذا احتاج المعبر الى مهارة
ليفرق بين الاضغاث وبين غيرها وليتميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية وكالاحلام
ويفرق بين طبقات الناس اذا كان منهم من لا يصح له رويا ومنهم من يصح روياه ثم من
يصح له ذلك منهم من يرشح ان يلقى اليه فى المنام الاشيا العظيمة الخطر ومنهم من لا
يرشح لذلك ولهذا قال اليونانيون يجب ان يشتغل المعبر بعبارة رويا الحكما والملوك
دون العظام لان لهم حظا من النبوة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة وهذا العلم يحتاج الى مناسبة سنية ومن يتحرى فرب
حكيم لا يرزق حذقا فيه ورب ناقص الحظ من الحكمة وساير العلوم يوجد له فيه قوة عجيبة
واما الكهانة فضرب من الفراسة وهو معرفة فعل باطن بفعل ظاهر بضرب من التوهم
والقيافة ضرب من الكهانة لكنه ادق وهى ضربان احدهما تتبع اثر الاقدام والاستدلال
به على السالكين والثانى الاستدلال بهيئة الانسان وشكله على نسبه وخص بالقيافة
من العرب بنو مدلج وبنو لهب وقيل ان ذلك بمناسبة طبيعية لا بتعلم وهو معلوم
بما فى الشرع وقال بعض الحكما خص الله بذلك العرب ليكون سببا لارتداع نسائهم

عما يورث شوب نسبهم وخبث حسبهم وفساد بذورهم وزروعهم صيانة للنسبة
النبوية وليكون ذلك شرفا للنبى صلى الله عليه وسلم ولاجل حفظه تعالى نسبهم بذلك
قال وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم اى ليعرف بعضكم
بعضا بمعرفة اصله واما الكهانة فمختصة بالامور المستقبلة والعرافة مختصة بالامور
الماضية وكان ذلك فى العرب كثيرا واخر من وجد وروى عنه الاخبار العجيبة
سطيح وسواد بن قارب الكاهنى وقيل كان وجود ذلك فى العرب احد اسباب معجزات النبى
صلى الله عليه وسلم لما كان يخبر به ويحث على اتباعه ونزع ذلك عنهم بعد النبوة حتى
روى لا كهانة بعد النبوة وقال النبى صلى الله عليه وسلم من اتى كاهنا او عرافا فصدقه
بما اتى به فقد كفر بما انزل على محمد تنبيها على انه قد رفع ومما جرى مجراهما التطير وهو
تشاوم الانسان بشئ يقع بحسب المناظر والمسامع مما ينفر منه النفس مما ليس بطبيعى ولما
فقاربهما مما هو طبيعى فى الانسان لنفاره من صرير الحديد وصوت الحمار فلا يعد من هذا
واشتقاقه من الطير واصله فى زجر الطير وما سواه يلحق به وعلى ذلك قول الشاعر
وما انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض طائر ثم كثر فى كلامهم
غيره حتى قال تعالى حكاية قالوا اطيرنا بك وبمن معك قالوا طائركم عند الله اى السبب
الذى يسعدكم او يشقيكم عند الله وقال وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
الا انما طائرهم عند الله وسمى عمل الانسان الذى يعاقب عليه طائرا فقال تعالى وكل
انسان الزمناه طائره فى عنقه والنظر اجالة الخاطر نحو المرئى لادراك البصيرة
اياه فللقلب عين كما ان للبدن عينا فمن صح عين قلبه واعانه نور الله المطلع على حقائق
الاشيا وادراك العالم العلوى وهو فى الدنيا فيرى ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ولكون الاطلاع عليه قال امير المومنين على رضى الله عنه لو كشف الغطا
ما ازددت يقينا والراى اجالة الخاطر فى روية ما يوثر وقد يقال للقضية التى يثبت

عن الراى والراى للفكرة كالآلة للصانع التى لا يستغنى عنها ولا يكون الا فى
الامور الممكنة دون الواجبة والممتنعة لكون من جملة الممكنات فيما يكون الينا
فالطبيب لا يحيل بالة فى نفس البرء بما يحيله فى كيفية الوصول اليه ويحتاج الراى
الى اربعة اشيا اثنان من جهة الزمان فى التقديم والتاخير احدهما ان يعيد
النظر فيما يرتئيه ولا يعجل امضاءه حتى يغب فقد قيل اياك والراى الفطير
وقيل دع الراى يغب واكثر من يستعمل ذلك ذوو النفوس الشمسية والامزجة
الحادة والثانى ان لا يدافع به بعد احكامه فقد قيل روّ وتحزّم فاذا استوضحت
فاعزم وقيل احزم الناس من اذا وضح له الامر صدع فيه وقال تعالى فاصدع بما تومر فاذا عزمت
فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين واكثر من يدافع بذلك ذوو النفوس المهينة والامزجة
الباردة واثنان من جهة الناس احدهما ترك الاستبداد بالراى فان الاستبداد بالراى
من فعل المعجب بنفسه وقد قيل الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن
الاستخارة والثانى ان يتخير من يجوز مشاورته شعر فما كل ذى لب بموتيك نصحه ❁
وما كل موت نصحه بلبيب ❁ ولكن اذا ما استجمعا عند واحد ❁ فحق له من طاعة بنصيب
ومن دخل فى امر بعد الاحتراز من هذه الاربعة فقد احكم تدبيره وان لم ينجح عمله لم يلحقه
مذمة واما التدبير فنحو الراى لكن يقال اذا استعمل فى النظر فى عواقب الامور واشتقاقه
قد يقتضى ذلك لانه تامل دبر الامر وعليه حث الشاعر شعر ومن ترك العواقب مهملات ❁
فاكثر سعيه ابدا تبار ❁ واما الفكرة فقوة مطرقة للعلم الى المعلوم وهو تخييل
عقلى موضوعه فى الانسان والتفكر جولان تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل
وقد يقال للتفكر الفكر وربما اصل الفكر واخطا فيلا ان الرائين وخطاه والتفكر
لا يكون الا فيما له ماتيه مما يصح ان يجعل له صورة فى القلب مفهومة ولاجل ذلك قال النبى
صلى الله عليه وعلى آله تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله وقال تعالى اولم ينظروا فى ملكوت

السموات

الحكماء

السموات والارض وقال كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون وسئل بعض الحكما
عن التفكر والعبرة فقال التفكر ان تجعل الغايب حاضرا والعبرة ان تجعل الحاضر
غائبا واما الذكر فوجود الشى فى القلب وفى اللسان وذلك ان الشى له اربع وجودات وجود
فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان ووجوده فى لفظه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته
هو سبب لوجوده فى قلبه ووجوده فى قلبه سبب لوجوده فى لسانه ولوجوده فى كتابته ويقال
للوجودين اى الوجود فى القلب والوجود فى اللسان الذكر ولا اعتداد بذكر اللسان
ما لم يكن ذلك عن ذكر فى القلب بل لا يكون ذلك شيئا والذكر بالقلب ضربان احدهما
استعادة ما قد استثبته القلب والمنحى عنه بنسيان او غفلة وهذا هو فى الحقيقة التذكر
والثانى ثبات وجود الشى فى القلب من غير نسيان او غفلة وذكر الله تعالى عز وجل اولى من
مرتضى عند الاولياء وانما يحمد اذا كان على النحو الثانى واعلم ان ذكر الله تعالى تارة يكون
لعظمته فيتولد منه الهيبة والاجلال وتارة لفضله ورحمته فيتولد منه الرجاء وتارة
لنعمته فيتولد منه الشكر ولذلك قيل ذكر النعمة شكرها وتارة لافعاله الباهرة فيتولد
منه العبر فحق المومن ان لا يغفل ابدا عن ذكره على احد هذه الاوجه وعليها دل قوله تعالى
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون
الله قياما وقعودا الآية اى يذكرونه فى كل حال لان الانسان لا يغفل من هذه الاوجه الثلثة
ان قيل حقيقة ذكر الله تعالى عند ابتداء الاعمال حتى قال صلى الله عليه وسلم كل امرئ ذى بال
لم يبدأ فيه بذكر الله تعالى فهو ابتر قيل نبه بذلك ان الامور كلها يجب ان يقصد بها
وجه الله تعالى وان كل امر لا يقصد به ذلك فهو ناقص وشرع ذكره باللسان
ليكون سببا ليذكره فيتحرى فعل وجه الله تعالى ولا يعمل ما ينافى رضاه وعلى ذلك قوله
واذكر ربك اذا نسيت اى اذا عرض لك نسيان لما يلزمك فاذكر ربك تتذكر به انه مطلع
عليك ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ودامت

اذا كانت المرء ذو فكرة ففى كل شى له عبرة

فى قلبه

لقد تدفق منه الخوف والحزن

وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا

بلغت

عنده

واما الحفظ فالمواظبة على مراعاة الشي وقلة الغفلة ومنه محافظة الحزم حتى قيل الغضب المنقص
لذلك حفيظة ويقال لثبات صورة الشي في القلب حفظ ويقال للقوة الحافظة ايضا
حفظ وفلان جيد الحفظ اي القوة الحافظة والحفظ للنفس من وجه جار مجرى
الخزانة للملك يضع فيها الذخاير الى وقت الحاجة ومن وجه جار مجرى الكتاب الذي فيه
يكتب فيه الشي ليرجع اليه فيتذكر به والناس متفاوتون فيه بحسب امزجتهم فمنهم من قوى
الله تعالى ذلك منه كما جعل تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فلذلك كان لكونه اميا فاله اذ كان
له من الحفظ ما يغنيه عن الاستعانة بالكتابة ولهذا قال الله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به
ان علينا جمعه وقرآنه فضمن انه يحفظ عليه بما جعله له من القوة الالهية وروي انه لما نزل
قوله تعالى وتعيها اذن واعية قال لعلي سألت الله ان يجعلها اذنك فلم يسمع بعد ذلك شيا
الا وعاه ومن الناس من يسرع اليه النسيان فما يسمعه يكون كالخط يكتب على بسيط الماء
واما البلاغة فاجادة اختيار الالفاظ والاصابة في تاليفها وتقديرها معناها وتحري
الصدق فيها ولا يكون الكلام تام البلاغة ما لم يجمع هذه المعاني فانه متى قبح اللفظ وقبح
التاليف او كان اكثر مما يجب او اقل مما يجب ولم يطابق اللفظ المعنى اما حقيقة
او استعارة رايقة او كان المعنى محالا او كذبا خرج الكلام بقدر ما اختل منه عن باب البلاغة
وقد وصفت البلاغة باوصاف مختلفة بحسب انظار مختلفة فقال بعضهم البلاغة هي ايجاز
من غير عجز والاطناب من غير خطل وقيل ما فهمته العامة ورضيته الخاصة وقيل
ما اختياره يسند الى غير ذلك من الاوصاف واما الفصاحة فاشتقاقها
من فصح اللبن اي خلص من اللبا وهي الاصابة في اللفظ وفي الايتلاف دون اعتبار
الصدق وصواب المعنى وكل كلام جزل اللفظ حسن التركيب فموصوف بالفصاحة صدقا او كذبا
والبلاغة ترجع الى اللفظ والمعنى والفصاحة الى اللفظ دون المعنى ثمرة العقل معرفة
الله الذهبية والمكتسبة وغاية ما يبلغه الانسان من ذلك

اشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته وعلى ذلك دل قوله صلى
الله عليه وسلم العقل ثلثة اجزاء جزء معرفة الله وجزء طاعة الله وجزء الصبر عن معصية الله
وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحيآء وماله الفقه وثمرته
العلم فمعرفة الله العامية مركوزة في النفس ومعرفة كل احد انه مفعول وان له فاعلا فعله
ونقله في الاحوال المختلفة واشار اليه بقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها
وبقوله صبغة الله وقوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية فهذا القدر من
معرفة الله في نفس كل احد ويتنبه الغافل عنه اذا نبه عليه فيعرفه كما يعرف ان ما هو مساو لغيره
فذلك الغير مساو له ومن هذا الوجه قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وقال في مخاطبة المومنين والكافرين اذا مسكم الضر فاليه تجارون وقال
بعده ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون واما معرفة الله المكتسبة فمعرفة
توحيده وصفاته وما يجب ان يثبت له من الصفات وما يجب ان ينفى عنه وهذه المعرفة
هي التي دعت اليها الانبيآء عليهم السلام وحثوا عليها ولهذا قال كلهم قولوا لا اله الا الله ولم يدع
احد الى معرفة الله بل دعا الى توحيده وهذه المعرفة اعني المكتسبة على ثلثة اضرب ضرب
لا يكاد يدركه الا نبي وصديق وشهيد ومن داناهم وتلك المعرفة بالنور الالهي من حيث
لا يعتري فيه شك بوجه كما قال تعالى انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا و
ضرب يدرك بغلبة الظن اعني الظن الذي يفسره اهل اللغة باليقين كما قال الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون وضرب يدرك بالخيالات وتمثل تقليدات
واياه عني بقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فالاول يجري مجرى ادراك
الشي من قرب ولهذا قال الله تعالى في وصفهم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد والثاني يجري مجرى ادراك الشي من بعيد وقد يعتري فيه شبهة ولكن
تزول بادنى تامل كما قال ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم

ومن احسن من الله صبغة

مبصرون والثالث يجري مجرى من يرى الشيء من وراء الستر من بعيد فلا ينفك من شبهات
كما اخبر تعالى عمن هذه حاله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ولاجل صعوبة معرفة
الله تعالى على الجملة حتى تتخلص الانسان من آفات الشرك قال تعالى وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون وقال قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقال قل الله
اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله
مخلصا دخل الجنة وغاية معرفة الانسان ربه ان يعرف اجناس الموجودات جواهرها
واعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف اثر الصنعة فيها وانها محدثة وان محدثها ليس اياها
ولا مثلا لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه تعالى ولا يصح بقاؤها مع ارتفاعه تعالى فمن
هذا النظر قال ابو بكر رضي الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز
عن معرفته بل لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في
الله ولما كان معرفة العالم كله تصعب على الانسان الواحد لقصور افهام بعضهم عنها
باشتغال بعضهم بالضرورات التي تعوقهم عنها جعل الله لكل انسان من نفسه وبدنه
عالما صغيرا اوجد فيه كل موجود في العالم الكبير ليجري ذلك مجرى مختصر من كتاب — مثال ما هو
بسيط ليكون كل احد نسخة يتأملها في الحضر والسفر وبالليل والنهار فان نشط وتفرغ
للتوسط في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه
ويتسع فهمه والا فله مقنع بالمختصر الذي معه ولهذا قال وفي انفسكم افلا تبصرون
ولشرف متأمل ذلك قال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي
الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية فنبه بدعائهم حيث قال ربنا ما خلقت
هذا باطلا انهم عرفوا الغرض المقصود بخلقه وذلك هو آخر الابحاث لان الابحاث
اربعة بحث عن وجود الشيء هل هو وبحث عن جنسه ما هو وبحث عما يباينه بخصيصه

وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا

٤٠

بأي شيء هو وبحث عن الغرض لم هو وهذه الابحاث يبتني بعضها على بعض لا يصح معرفة الثاني
الا بمعرفة الاول ولا معرفة الثالث الا بمعرفة الثاني ولا معرفة الرابع الا بمعرفة الثالث وقوله ربنا
ما خلقت هذا باطلا يقتضي انهم عرفوا الابحاث الاربعة ولا شهدوا بما لم يتحققوا ومن شهد
بما لم يتحقق كذب وان كان ما شهد به على ما شهد به الا ترى ان الله تعالى كذب المنافقين
حيث قالوا انك لرسول الله وان كان هو رسوله فدلت هذه الآية على ان البحث الذي يؤدي
الى معرفة حقائق الموجودات الذي تتضمن معرفة الباري هو من العلوم الشريفة خلاف
قول الصم البكم العمي الذين لم يجعل الله لهم نورا حيث يدعون ان من اشتغل بمعرفة ذلك

وجوب بعثة الانبياء عليهم السلام وقلة الاستغناء عنهم

بعثة الانبياء عليهم السلام الى الناس من
الضرورات التي لا بد لهم منها وذلك ان جل الناس نقص عن معرفة منافعهم ومضارهم الاخروية
جزوياتها وكلياتها وبعضهم ان كان لهم سبيل الى معرفة كلياتها فذلك على سبيل الجملة فليس لهم
سبيل الى معرفة جزوياتها ولم يمكنهم ان يعرفوا كيف يجب وفي اي وقت يجب وكم يجب فلما كان
كذلك من الله تعالى على كافة عباده خاصهم وعامهم برسل بعث فيهم من انفسهم يتلون عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة لكي اذا امسكوا به صلح لهم معادهم ومعاشهم وسهل عليهم ادراكه
ولهذا ازاح الله تعالى عليهم ببعثة الانبياء فقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

ما يعرف به صحة النبوة

لكل نبي آيتان احدهما عقلية يعرفها اولوا الابصار و
البصائر من الصديقين والشهداء ومن يجري مجراهم والثانية حسية يدركها اولو الابصار
من العامة فالاولى ما لهم من اصولهم الزكية وصورهم المرضية وعلومهم الباهرة ودلائلهم
المتقدمة عليهم والمستصحبة لهم وانوارهم الساطعة التي لا تخفى على اولي البصائر كما قال الشاعر
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم **شعر**
لو لم يكن فيه آيات مبينة :: كانت بداهته تنبيك عن خبره
وذلك ان حق النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون من اكرم تربة في العالم وحيث يكون اعقل اربابها او في
ولهذا لم يبعث نبي من الاطراف التي تضعف عقول اصحابها ويجب ان يكون من عنصر كريم من عظيم

من الفضل ولهذا قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحًا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين
ذرية بعضها من بعض ونبه بقوله بعضها من بعض انه جعلت النبوة في اهل بيت واحد
ولا تخرج عنهم لكونهم اشرف ويجب ان يكون عليهم انوار تدرك من آثارهم واخلاق تملك
من ابتلاها كما قال والقيت عليك محبة مني وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
ويجب ان يكون كلامه ذا حجة وسلطان يشفي سامعه اذا كان متخصصا بنور العقل ولذلك
قال الله تعالى اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان و
لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله وهذه
الاحوال اذا حصلت لا يحتاج ذو البصيرة معها الى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الانبياء
من الملائكة فيما يخبرونهم به حجة ولهذا لما عرض النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه
الاسلام يلقاه بالقبول حتى قال ما احد عرضت عليه الاسلام الا كانت له كبوة غير
ابي بكر فانه لم يتلعثم فيه واما الاية الثانية فهي المعجزة التي تدركها الحواس من الانبيا
وذلك يطلبه احد رجلين اما ناقص عن العرف بين الكلام الالهي وبين الكلام البشري
وعن ادراك سائر ما تقدم ذكره فيحتاج الى ما يدركه حسه لقصوره عن ادراك
ذلك واما ناقص مع نقصه هو معاند فيقصد بما يطلبه العناد كما قال تعالى
حكاية عن الكفار وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعًا او يكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء ~~كما زعمت~~ الى قوله بشرا رسولا

كون العقل والدين متلازمين للخلق ... لله عز وجل رسولان الى الخلائق

احدهما من الباطن وهو العقل والثاني من الظاهر وهو الرسول ولا سبيل لاحد الى الانتفاع
بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر
ولولاه لما كان يلزم الحجة بقوله ولهذا احال الله تعالى من يشكك في وحدانيته وصحة
نبوة انبيائه على العقل وامره ان يفزع اليه في معرفة صحتها فالعقل قابل والدين

كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا

مسدد ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين لاصبح العقل حائرا حائرا
واجتماعهما كما قال نور على نور تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتصف ... ٤١
المعقولات تجري مجرى الادوية الجالبة للصحة والشرعيات تجري مجرى الاغذية الحافظة
للصحة وكما ان الجسم متى كان مريضا لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات بل
صار ذلك ضارا كالمضرة الغذاء للمريض وعلى هذا قال الله تعالى واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الى قوله وماتوا وهم كافرون وايضا القلب بمنزلة
مزرعة للمعتقدات والاعتقادات بمنزلة البذر ان خيرا وان شرا وكلام الله تعالى بمنزلة
الماء الذي يسقيه ولذلك سماه ماء على ما تقدم ذكره فكما ان الماء اذا سقي الارض يختلف
نباته بحسب اختلاف بذوره كذلك القرآن اذا ورد على الاعتقادات الراسخة في القلوب
يختلف تاثيراته والى ذلك اشار تعالى بقوله وفي الارض قطع متجاورات وجنات
من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون وايضا فالجهل
بالمعقولات يجري مجرى ستر مرخى على البصر وغشاوة على القلب ووقر في الاذن والقرآن
لا يدرك حقايقه الا من كشف غطاؤه ورفع غشاوه وازيل وقره ولهذا قال الله تعالى
واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا الآية وايضا فالمعقولات كالحياة التي بها
الابصار والسماع والقرآن كالمدرك بالبصر والسمع فكما انه من المحال ان يسمع الميت قبل ان
يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر كذلك من المحال ان يدرك من لم يحصل المعقولات
حقايق الشرعيات ولهذا قال تعالى فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون يعني آيات السموات

فلا عذر لكن من كان مريض النفس كما قال الله في قلوبهم مرض لم ينتفع

فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم

والارض وغيرهما **الايمان والاسلام والتقوى والبر** الايمان هو الاذعان للحق على سبيل
التصديق له باليقين ولهذا وصف الله تعالى اهل الايمان بوصف واحد فقال انما يخشى الله
من عباده العلماء وقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ووجل القلب
هو الخشية للحق على سبيل التصديق باليقين هذا اصل الايمان لكن صار اسما للشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم كالاسلام وصح ان يطلق على من يظهر ذلك وان لم يختص به باعتقاد
عن يقين وثلج صدر كاليهودي في ان اصله للمنسوب الى يهود والنصراني في ان
اصله للمنسوب الى نصران وهي قرية ثم صار اسمين للمتخصصين بالشريعتين على ان
استحقاق الايمان لا يمنع من ان يطلق على من يظهره فان معنى المومن هو من صار ذا امن
وباظهار الشهادتين يامن الانسان من ان يراق دمه او يباح ماله في الحكم ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله فقد عصم مني دمه وماله الا بحق ودعوى شهادة ان — امرت ان اقاتل
لا اله الا الله كلمة جعلها الله بيننا فمن قالها من قلبه فهو مومن ومن قالها بلسانه ولم يكن — الناس حتى يقولوا
في قلبه كان له ما لنا وعليه ما علينا وحسابه على الله وذلك انه لا يطلع على القلوب الا الخالق — لا اله الا الله
تعالى والشريعة واردة ان يطلق اسم الايمان على من يظهر من ذلك من نفسه من غير — وفي ص
فحص عن قائله ولا يتحاشى من اطلاق ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي الايمان بخلاف
ادعاء بعض المعتزلة بانه لا يصح اطلاق اسم المومن على الانسان ما لم يختبر في الاصول
الخمسة ويوقف على حقيقة ما عنده والاسلام هو الاستسلام لما يدعوا اليه الشرع من فعل
ما يقتضي فعله والملة القود الى الطاعة والدين الانقياد له وهما بالذات واحد
لكن الدين هو الطاعة فيقال اعتبارا بالفعل المدعو في انقياده الى الطاعة والملة
من امللت فيقال اعتبارا بفعل الداعي اليها والشارع لها ولكونهما بالذات — الكتاب ص
واحدا قال الله تعالى دينا قيما ملة ابرهيم فابدل الملة من الدين والدين اعم من الاسلام
اذ هو يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في الحق ولهذا قال الله تعالى

ان الدين

٤٣

ان الدين عند الله الاسلام وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والاحسان تحري
الحسنى في الايمان والاسلام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له ما الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه والتقوى جعل النفس في وقاية من سخط الله وذلك بقمع الهوى والبر السعة — قال ص
في علم الحق وجعل الخير مشتقا من البر اي السعة من الارض وهو المعبر عنه بانشراح الصدر
واطمينان القلب وقال صلى الله عليه وسلم البر ما سكنت اليه نفسك واطمان اليه قلبك والاثم
ما جال في نفسك وتردد في صدرك وقال البر طمانينة والشر ريبة ومن البر الجود و
لاجله جعل الجود من الايمان قال تعالى ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والاخلاص ان يقصد الانسان بافعاله
وجه الله تعالى متعريا عن الالتفات الى غيره ولذلك قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين ولقلة وجود ذلك قال الله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ولما كان الايمان
يقال باعتبار العلم وهو متعلق بالقلب والاسلام بفعل الجوارح والتقوى بقمع الهوى قال صلى الله عليه وسلم
الاسلام علانية والايمان في القلب ههنا واشار الى صدره لما كان الصدر مقر قوى الانسان من الفكرة
والشهوة والغضب ثم قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه — والتقوى
وقال الايمان قايد والعمل سايق والنفس حرون فان ابى قايدها ما لم يستقم لسايقها وان ابى
سايقها لم يطع قايدها ولما كان الاسلام والتقوى متلازمة قال في الجنة اعدت للمتقين
وقال في بعض موضع اخر وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا وقال بلى — بلغت
من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره الآية **في الايمان** اختلف في الايمان هل هو الاعتقاد المجرد
ام الاعتقاد والعمل معا واختلافهم بحسب اختلاف نظرهم فمن قال هو الاعتقاد المجرد فنظر
منه الى استحقاق اللفظ والى انه قد فصل بينهما في عامة القرآن فعطف بالعمل عليه كقوله الذين امنوا
وعملوا الصالحات والى ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بينهما في خبر جبريل عليه السلام حين سأله عن الاسلام وعن
الايمان ففسر الاول بالاعمال والثاني بالاعتقاد ومن قال هو الاعتقاد والعمل فلقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان

معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ولذلك اختلفوا هل يكون في الايمان زيادة
ونقصان فقال قوم يكون ذلك فيه لقوله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
وقوله اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومن خالفهم
قال الشي انما يزيد بغلبته على ضده وينقص بغلبة ضده عليه قالوا والايمان لا يحصل
الا بعد ان يكون غالبا على الكفر فلا يضامه حتى يقال انه يغلب عليه ولذلك اختلفوا
في جواز اطلاق اسم الايمان على من اقر بالشهادتين فقال بعضهم يجوز ذلك نظرا منه
الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية التي سالها عن الله فاشارت نحو السما وعن النبوة فاشارت
اليه صلى الله عليه وسلم فقال اعتقها فانها مومنة ولان الايمان ليس بذي منزلة واحدة
ومن قال لا يجوز فنظر منه الى قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
ولما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال انا مومن فهو فاسق ومن قال انا عالم
فهو جاهل ان قيل ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن
ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن قيل الايمان ذو منازل كما وصفه صلى الله
عليه وسلم وانما يكون الانسان مومنا بلا مثنوية اذا استوعب منازله فتعرى من جميع
الشرور وتخصص بجميع الخيرات على قدر طاقة البشر ومتى انخرم بعض ذلك خرج
هو عما هو كقولهم عشرة كقولنا في كون هذا اسما للعدد مخصوص اذا اسقط بعضه سقط
ذلك الاسم عنه ومن شرط الايمان الكامل ان لا يكون زانيا ولا سارقا في حين قوله ذي ص
صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا ... ثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق وهذه لفظة من تاملها عرف حقيقتها علم ان
الايمان بالواجب هو اثنان وسبعون درجة لا يصح ان يكون اكثر منها ولا اقل ولا يوجد
من الايمان ما هو خارج عنها بوجه وانه عليه وآله السلام فيما يورده كما وصفه عز وجل بقوله

وما نطق

وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى وبيان ذلك ان الايمان شيآن
اعتقاد وعمل والاعتقاد على ثلث منازل يقيني لا يعتريه شبهة بوجه كما قال تعالى انما
المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وظني وذلك ما كان عن امارة قوية
واعني بالظن ههنا ما يفسره اهل اللغة باليقين نحو قوله الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون وتقليدي وذلك ما يعتقد عن راي اهل البصائر كما
وصفه الله تعالى بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم والاعمال ثلثة عمارة الارض المعنية بقوله واستعمركم فيها وعبادة
الله المعنية بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وخلافة المعنية بقوله و
استخلفكم في الارض وقوله اني جاعل في الارض خليفة وذلك بتحري مكارم الشريعة
فهذه ستة وكل واحدة من هذه اما ان يتحراه الانسان عن رغبة او رهبة كما قال تعالى اختصاص
ويدعوننا رغبا ورهبا او يتحراه عن اخلاص وطوع واهتزاز نفس كما قال واخلصوا
دينهم لله فهذه اثنتا عشرة منزلة وكل واحدة من هذه اما ان يكون الانسان في مبدايها او
في وسطها او في منتهاها لان كل فضيلة ورذيلة يتنقل الانسان فيها من هذه الاحوال
الثلث ولهذا قال الله في الفضيلة ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح اذا ما
اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين وقال
في الرذيلة ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا الآية فجعل منازل الايمان
ومنازل التقوى ثلثة كما ترى فهذه اثنا عشرة في ثلثة تكون ستة وثلثين وكل واحد من هذه
الستة والثلثين اما ان يتوصل اليه الانسان من طريق الاجتبا او من طريق الهداية فالاجتبا
للانبيا ومن يليهم من الاوليا وهو ايثار الله تعالى بعض عباده بفيض الهي يؤتيهم الحكمة
بلا سعي منهم وعلى هذا قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث وقوله ولكن
الله يجتبي من رسله من يشاء والاهتداء للحكماء والعلماء وهو توفيق الله تعالى للعبد بتطلب

بسعيه وجهده الحكمة فتحصل له منها بقدر ما يتحمل من المشقة واياها عنى بقوله تعالى
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقوله وممن هدينا واجتبينا فهذه
اثنتان وسبعون درجة لا يمكن الزيادة عليها ولا النقصان منها وكل ما ورد
من الاخبار فليس بخارج منها ومما هو من جملة العبادة قوله صلى الله عليه وسلم الوضوء
شطر الايمان وقوله الايمان صلوة من فرغ لها قلبه واقامها بحدودها وقتها وسننها
ومما هو من مكارم الشريعة قوله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان وقوله خصلتان لا يجتمعان
في مومن البخل وسوء الخلق وقوله لا يجتمع ايمان وشح في قلب عبد وقوله ثلث من جمعهن
جمع الايمان الانفاق من الاقتار وانصاف المومن من نفسه وبذل السلام وقوله اكمل
المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقوله صلى الله عليه وسلم لاناس من اصحابه
ما ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر في الرخاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله
عليه وسلم مومنون ورب الكعبة **في انواع الجهل** الانسان في الجهل على اربع منازل الاول
من لا يعتقد اعتقادا لا صالحا ولا طالحا وامره في ارشاده سهل اذا كان له طبع فانه
كلوح ابيض لم يشغله نقش وكارض بيضاء لم يلق فيها بذر ويقال له باعتبار العلم النظري
غفل وباعتبار العلم العملي غمر ويقال له سليم القلب الصدر والثاني معتقد لراي
فاسد لكنه لم ينشأ عليه ولم يتشرب به فاستنزاله عنه سهل وان كان اصعب من الاول
فانه كلوح يحتاج الى حذف وكتابة وكارض يحتاج الى قلع وزراعة ويقال له غاو
وضال والثالث معتقد لراي فاسد قد راى ان لا ثبات له صحته فوكن اليه بجهله
وضعف بخبريه فهو ممن وصفه الله تعالى بقوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون وهذا ذو داء اعيا الاطباء فقال كل داء له دواء الا سبيل الى تهذيبه
وتنبيهه كما قيل لحكيم نعظ شيخا جاهلا ما تصنع فقال اغسل حبشيا لعله يبيض والرابع معتقدا
اعتقادا فاسدا عرف فساده وتمكن من معرفة لكنه اكتسب دنية لرامه وكرسيا لرياسته

ذلك حق تقدم

اعيا الاطباء

فهو

فهو يحامي عليها فيجادل بالباطل ليدحض به الحق ويذم اهل العلم ليجر الى نفسه
الخلق ويقال له فاسق ومنافق وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله
تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون
وهم مستكبرون وقوله فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
فنبه تعالى انهم ينكرون ما يقولونه ويفعلونه لمعرفتهم ببطلانه لكن يستكبرون
عن التزام الحق وذلك حال ابليس فيما دعي اليه من السجود لادم **علم الجنون**
هو عارض يغير العقل والحمق قلة التنبه على طريق الحق وكلاهما يكونان تارة خلقة
وتارة عارضا وقد يبغض الحق ما لم يعظم الكبرى وقد صدق الشاعر في قوله [illegible]
لكل داء دواء يستطب به   الا الحماقة اعيت من يداويها   وقد حكي حكاية
وان لم تصح فنافع ذكرها وهي ان عيسى عليه السلم اتي باحمق ليداويه فقال اعياني
مداواة الاحمق ولم يعيني مداواة الاكمه والابرص ومما يفرق بينهما ان المجنون
يكون غرضه الذي يريده ويؤمه فاسدا وسلوكه الى غرضه صوابا والاحمق يكون غرضه
الذي يريده صحيحا وسلوكه اليه خطأ ولهذا اعرف المجنون اذا اراد اي ارادته قبل
سلوكه الى مراده والاحمق لا يعرف مراده بل يعرف سلوكه ولهذا متى صح ارادة المجنون
صح فعله حتى تعجب كثيرا من فلتات صوابه والاحمق لا يكاد يصيب في شي من مسالكه
واما البله فقلة التنبيه على الامور ويضاده الكيس وقد تقدم ان البله والكيس
يقالان تارة باعتبار الامور الاخروية وتارة باعتبار الامور الدنيوية فمن كان
في احديهما كيسا كان في الاخرى ابله وقال ابو بكر رضي الله عنه الكيس الكيس التقي والاحمق
الاحمق الفجور واما الرقيع فالذي يلصق بقلبه كل محال كانه رقع بذلك والارعن
الذي ياتي بما يخرج عن الصواب تشبيها برعن الجبل وهو الحيد منه والاحمق الناقص
العقل من قولهم انحمقت السوق اي نقصت والغمارة قلة التجربة في الامور العملية

للجنون لم

بلوغ المعاني

مع تخيّل سليم وقد يكون الانسان غمرًا في شي غير غمر في آخر والخرق يقال في الجاهل
بالامور العمليه وذلك بان يفعل الشي مما يجب ان يفعل او على غير النظام المحمود
ويضاده كل عمل لا يعد من الوجوه الثلثه ويضاده الحذق والغيّ اتباع الهوى
وترك ما يقتضيه العقل والضلال ان يقصد لاعتقاد الحق او قول الصدق او فعل
الجميل فيظن لسوء تصوره فيما كان باطلا انه حق فاعتقده او فيما كان كذبا انه
صدق فقاله او فيما كان قبيحا انه جميل ففعله والجهل عام في كل ذلك والخبث
استعمال الدهاء في الدنيوية صغيرها وكبيرها والجربزة مثله لكن يقال فيما
تقتضي الارباح الدنيوية والدهاء مثله لكن يقال في الامور العظام اذا ادرك غاياتها
ولهذا قالوا الدهاة في الاسلام قد ذكروا المتوجهين في الاحتيالات الدنيوية الذين
بلغوا امورا كبارا ومن الجهل الكفر وهو عناد الانسان الحق على سبيل التكذيب له
لا سيما واصله ستر ما جعل الله للانسان بفطرته وصيغته من المعارف بان يستعمله
ويتحراه من عناد الحق ومن ترك النظر والاخلال بتزكية النفس المعني بقوله قد
افلح من زكاها وقد خاب من دسيها

في كون العلم مركوزا في نفس [illegible]

نفس الانسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها بالفطرة مجعولة فيها بالقوة
كالنار في الحجر والنخل في النواة والذهب في الحجارة وكالماء تحت الارض لكن كان
من الماء ما جرى من غير فعل بشري ومنه ما يبان تحت الارض لكن لا يوصل
اليه الابد لو وجد شاء ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه الى الحفر وتعب شديد
فان عني به ادرك والا بقي غير منتفع به كذا العلم في نفس البشر منه ما يوجد
من غير تعلم بشري وذلك كحال الانبيا فانه يفيض عليهم المعارف من جهة
الملأ الاعلى ومنه ما يوجد بادنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده كحال عوام الناس
ولكون العلوم مركوزة في النفوس قال تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم

ذريتهم

وتعيصره

او العقده

ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا انما اشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون فنبه انهم
اقروا ان الله هو الذي يربيهم ويغذيهم ويرزقهم وينقلهم من الطفولية فهذا
اقرار نفوسهم كلهم بما ركز في عقولهم فاما الاقرار باللسان فلم يحصل من كلهم
ولذي المعنى بقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله اي لئن اعتبرت احوالهم
لكانت نفوسهم وجوارحهم تنطق بذلك وعلى ذلك قوله فاقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فنبه ان الدين الحنيف وهو المستقيم قد فطر الناس عليه اي خلقهم عالمين
به فان المعاندين وان قصدوا تبديله فان الناس عنه لم يتبدلوا وعليه وعلى
ذلك قوله صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وقال تعالى [illegible] منه الفطرة
والصبغة اوليك كتب في قلوبهم الايمان فسمى ذلك كتابا وقول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة وهذه الشهادة الماخوذة عليهم فالناس فيها ضربان ضرب لما اخواطرهم
في ادركوا حقائقها فصاروا والكن حملوا شهادة فنسوها ثم تذكروها ولذلك قال
في غير موضع لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب وضرب اهملوا انفسهم ولم يشغلوا
بتذكرها فعلوا كما قال واذا ذكروا لا يذكرون فهم في الجهالة يتسكعون وعلى هذا حثنا
الله تعالى على التذكرة بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به قال ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل اي يسرنا القرآن ليكون سببا اي يتوصلوا به الى تذكر ما سبق من عهدكم
والتذكر على اضرب الاول ان يكون باللسان على صورة ما حصل في القلب الثاني ان يكون
في القلب كصورة حصلت عن شي معهود اما بالبصر او بالبصيرة او غيرهما من المشاعر والثالث
ان يكون عن صورة متضمنة بالفطرة في الانسان وهو المشار اليه بهذه الآيات ومن هذا الوجه قال
الحكماء التعلم ليس جلبا الى الانسان شيئا من خارج في الحقيقة وانما يكشف الغطاء عما حصل في النفس

فيبرزه بجلائه فمثله كمثل الحافر المستنبط الماء من تحت الارض وكالصيقل الذي
يبرز الجلاء في المرآة وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله **حصر انواع المعلومات**
انواع العلوم ثلثة نوع يتعلق باللفظ ونوع يتعلق باللفظ والمعنى ونوع يتعلق بالمعنى
دون اللفظ فاما المتعلق باللفظ فهو ما يقصد به تحصيل الالفاظ
بواسطة المعاني وذلك ضربان احدهما احكام ذوات الالفاظ وهو علم اللغة والثاني
احكام لواحق الالفاظ وذلك شيئان شي يشترك فيه النظم والنثر وهو علم الاشتقاق
وهو علم النحو وعلم التصريف وشي يختص بالنظم وهو علم العروض وعلم القوافي واما
النوع المتعلق باللفظ والمعنى فخمسة اضرب علم البراهين وعلم الجدل وعلم الخطابة
وعلم البلاغة وعلم الشعر واما النوع المتعلق بالمعنى فضربان علمي وعملي فالعلمي ما يقصد به
ان يعلم فقط وذلك معرفة العقل ومعرفة النفس ومعرفة مبادي الامور ومعرفة الاركان *(وهو معرفة الباري تعالى ومعرفة النبوة ومعرفة الملائكة ويوم القيامة صح)*
ومعرفة الاثار العلوية من الفلك والنيرين والنجوم ومعرفة طبايع النبات ويقال
له علم الفلاحة ومعرفة طبايع الحيوانات ومعرفة طبايع الانسان ويقال علم الطب واما
العملي فهو ما يجب ان يعلم ثم يعمل به ويسمى تارة السنن والسياسات وتارة الشريعة
وتارة احكام الشرع ومكارمه وذلك حكم العبادات وحكم المعاملات وحكم المطاعم
وحكم المناكح وحكم المزاجر والطرق التي يستفاد منها العلوم اضرب الاول المستفاد من *(اربعة صح)*
بديهة العقل ومصادفة الحس وذلك يحصل لكل من لم يكن مؤوف الالة وان اختلف
احوالهم في ذلك الثاني من جهة النظر اما بمقدمات عقلية او بمقدمات محسوسة *(المستفاد صح)*
والثالث المستفاد بخبر الناس اما بسماع من افواههم او بالقراة من كتبهم ولا يكون
للخبر علم الا ما كانت الظنة عن مخبريه مرتفعة الرابع ما كان عن الوحي اما بلسان
ملك مرئي كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك واما بسماع الكلام من غير معاينة
كحال موسى عليه السلام واما بالقا في الروع في حال اليقظة كما قال صلى الله عليه وسلم ان يكن في هذه

الامة محدث فهو عمر واما بالمنام وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة وينطوي على ذلك قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء **ما يعرف به فضيلة**
العلوم فضيلة العلوم تعرف بشيئين احدهما بشرف ثمرته والاخر بوثاقة دلالته
وذلك كشرف علم الدين على علم الطب فان ثمرة علم الدين الوصول الى الحياة الابدية
وثمرة علم الطب الوصول الى الحياة الدنيوية وعلم الدين اصوله ماخوذة عن الوحي وعلم الطب
اصول اكثرها ماخوذة عن التجارب ورب علم يوفي على غيره باحد الوجهين وذلك الغير
يوفي عليه بالوجه الاخر كالطب مع الحساب فللطب شرف الثمرة اذ هو سبيل صحة البدن
وللحساب وثاقة الدلالة اذ كان العلم به ضروريا غير مفتقر الى التجربة وليس يجب
ان نحكم بفساد علم غلط فيه من اربابه كصنيع العامة اذا وجدوا من اخطا في مسئلة *(وانما الرجال يعرفون بالحق صح)*
حكموا على صناعته بالفساد واذا راوا من اصاب في مسئلة حكموا على صناعته بالصحة
وذلك عادتهم في الطب والتنجيم فيعتبرون الصناعة بالصانع خلاف ما قال *(يا حار ملبوس عليك صح)*
امير المومنين رضي الله عنه الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله وليس يدل دون ان
الصناعة مبنية على شي روحاني والمتعاطي لها يباشرها بجسم وطبع يضامها العجز فهو خليق
بوقوع الخطا منه ثم الانسان قد ينتحل ما لا يحسنه ويتبدع بدعوى ما لم يجز اليه ثم كثير
ممن يتخصص بصناعة يدعي لصناعته ما ليس في طبعها ككثير من المنجمين المدعين
بما لا يوجد في التنجيم فاذا الاعتبار بدعاوى الناس **استحسان معرفة انواع العلوم**
حق الانسان ان لا يترك شيئا من العلوم امكنه النظر فيه واتسع العمر له ويخبر بشيء عرفه بقدر
طبعه ثم ان ساعده القدر على التغلي والتبحر فيه فبها ونعمت والا لم يضره الجهل بجملة
وعاداته عن منفعته معاداة له بطبعه **شعر** ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا ومن جهل شيئا عاداه فالناس اعداء ما جهلوا بل قال الله تعالى

وانهم سندوا به مستغربون هذا انكل قديم وحكى عن بعض فضلاء القضاة انه روى بعد ما طعن
في السن وهو يتعلم من استاذه اشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال وجدته علما نافعا فكرهت
ان اكون لجهلي به معاديا له ولا ينبغي للعاقل ان يستهين بشيء من العلوم بل يجب ان يجعل
لكل واحد حظه الذي يستحقه ومنزلته الذي يستوجبه ويشكر من هداه لفهمه وصار
سببا لعلمه فقد حكى عن بعض الحكماء انه قال يجب ان نشكر اباءنا الذين ولدونا الشكور
اذ كانوا اسبابا لمن حرك خواطرنا للنظر في العلم فضلا عن شكر من افادنا طرفا من العلم
ولولا مكان فكر من تقدمنا لاصبح المتاخرون حيارى قاصرين عن معرفة دنياهم
فضلا عن مصالح اخراهم فمن تامل حكمة الله تعالى في اقل ما يستعمله الناس كالمقراض
حيث جمع سكينين مركبا على وجه يتوافى حدهما على نمط واحد للغرض الكثر تعظيم الله وشكره
ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين **معاداة الناس لبعض العلوم**
العلم طريق الى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله بكل منزل منها حفظة كحفظة الرباطات
والثغور في طريق الحج والغزو فمن منازله معرفة اللغة التي عليها مبنى الشرع ثم حفظ
كلام رب العزة ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بين
ذلك من الوسائط من معرفة اصول البراهين والمجادلة ولهذا قال هم درجات عند الله
وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وكل واحد من هؤلاء الحفظة
اذا عرف مقدار نفسه ومنزلته ووفى حق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله حفظ
مكانه ثوابا على قدر عمله لكن قل ما ينفك بكل منزل منها من شره في ذاته وشرف
مكسبه وطالب لرياسته وجاهل معجب بنفسه يصير لاجل تنفق سلعته صارفا
عن المنزل الذي فوق منزلته من العلم وعائبا له فلهذا ترى كثيرا ممن حصل في منزل
من منازل العلوم دون الغاية عائبا لما فوقه وصارفا عنه من رامه فان قدر ان يصرف عنه
الناس بشبهة مزخرفة فعل والا نفر الناس عنه فعل من قال الله فيهم وقال الذين كفروا

لا تسمعوا

لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وما ادى من هذا صنيعه الا من الذي وصفهم
الله بقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا اولئك في ضلال بعيد وذكر الترمذي في هذه المسئلة وقال اذا كان من يقطع على
الناس طريق مكاسبهم الدنيوية يستحقون ما ذكره الله تعالى في قوله انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف او ينفوا من الارض فما الظن بما يستحقه من العقوبة من يقطع الطريق على
المسافر الى الله وحكى عن عيسى عليه السلام انه قال يا علماء السوء قعدتم على باب الجنة فلم تدخلوها
ولم تدعوا غيركم تدخلها مثلكم كمثل الدفلى زهره حسن وثمره يقتل من اكله **فصل**
في ان البلغة من كل علم والاقتصار عليه من كان قصده الوصول الى جوار الله و
فتوجه نحوه كما قال الله تعالى ففروا الى الله وكما اشار النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا فحقه
ان يجعل انواع العلوم كزاد موضوع في منازل السفر فيتناول منه في كل منزل قدر البلغة
فلا يعرج على تقصيه واستفراغ ما فيه فيقصر الانسان نوعا واحدا من العلوم على الاستقصاء
يستفرغ عمره بل اعمارا ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره وقد نبهنا البارئ على ان نفعل
ذلك بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك
هم اولوا الالباب وقال امير المؤمنين رضي الله عنه العلم كثير فخذوا من كل شيء احسنه
وقال الشاعر شعر قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين
وقيل حل طبعك بالعيون والفقر فالشجرة لا يشينها قلة الحمل اذا كانت ثمرتها نافعة ويجب
ان لا يخوض الانسان في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضي منه
حاجته فان ازدحام العلم في السمع مضلة للفهم وعلى هذا قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته اي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا ويجب ان يقدم الاهم فالاهم من غير
اخلال بالترتيب وكثير من الناس ثكلوا الوصول بتركهم الاصول وحقه ان يكون قصده من كل علم

ثكلوا الوصول بتركهم الاصول

يتحرى التبلغ الى ما فوقه حتى يبلغ النهاية والنهاية من العلوم النظر به معرفة الله تعالى على الحقيقة
والمقصود فالعلوم كلها خدم لها وهي حرة وروي انه رؤي صورة حكيمين من الحكماء
المتألهين في بعض مساجدهم وفي يد احدهما رقعة فيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك
احسنت شيئا حتى تعرف الله وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل
ان اعرف الله تعالى اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب بل قد قال الله تعالى ما قد اشار
به الى ما هو ابلغ من حكمة كل حكيم قل الله ثم ذرهم اي اعرفه حق المعرفة ولم يقصد بذلك ان يقول ذلك
قولا باللسان المحض فذلك قليل الغناء ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقية وعلى
ذلك قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ويجب ان لا يتعرى علمه عن
مراعاة العمل فيه يتبلغ الا ترى انه ما خلى ذكر الايمان في عامة القرآن من ذكر العمل
الصالح نحو قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات والى ذلك اشار تعالى بقوله اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل كثرة العلم من غير العمل مادة للذنوب وقيل العلم
اس والعمل بناء ولا اس بلا بناء باطل وقال حكيم لرجل يستكثر من العلم ولا يعمل به يا هذا اذا
افنيت عمرك في جمع السلاح فمتى تقاتل وقال الشاعر ما يصلح ان يكون اشارة الى
هذا المعنى شعر فلا م ان لم اشف نفسا حرة ... يا صاحبي اجيد عمل سلاح

احوال الانسان في استفادة العلم وافادته كما ان للانسان في مقتنياته اربعة
احوال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا
عن المسئلة وحال انفاق على نفسه فيصير به منتفعا وحال افادته غيره فيصير به
سخيا كذا ايضا له في العلم اربعة احوال حال استفادة وحال تحصيل وحال استبصار
وحال تبصير وتعليم ومن اصاب علما فانتفع به ونفع به غيره من مستحقيه كان كالشمس
يضيء لغيرها وهي مضيئة والمسك الذي يطيب وهو طيب وهو اشرف المنازل
ثم بعده من استفاد علما فاستبصر به فاما من افاد علمه غيره ولم ينتفع هو فكالدفتر

يفيد

يفيد غيره الحكمة وهو عادمها وكالمسن يشحذ ولا يقطع وكالمغزل يكسو ولا يكتسي وكذبالة المصباح
تحرق نفسها وتضيء لغيرها ومن استفاد علما ولم ينتفع به ولا نفع غيره فانه كالنخل يشرع شوكا
لا يذود به عن حمله كف جان وهو منتهب ما يجب على المتعلم ان يتحراه حق المترشح لتعلم
الحقائق ان يراعي ثلثة من الامور الاول ان يطهر نفسه من رديء الاخلاق تطهير الارض
للبذر من خبائث النبات فقد علم ان الطاهر لا يسكن الا بيتا طاهرا وان الملائكة
لا تدخل بيتا فيه كلب والثاني ان يقلل من الاشغال الدنيوية ليتوفر فراغه على العلوم
الحقيقية شعر فما صاحب الاطواف يعمر منهلا ... فكيف اذا لم يحل ربا ومنهلا
وقد قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والفكرة متى توزعت تكون
كجدول تفرق ماؤه فينشفه الجو وينشر به الارض فلا يقع به نفع واذا جمع بلغ المزارع
فانتفع به والثالث ان لا يتكبر على معلمه ولا على العلم فالعلم حرب للمتعالي كالسيل
حرب للمكان العالي ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك
فانك من اعطائه اياك بعضه على خطر وكأنما اياه عنى من قال شعر خدم العلى فخدمته وهي التي
لا تخدم الاقوام ما لم تخدم ... ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كارض دمثة نالت مطرا
غزيرا فتلقاه بالقبول لم ينتفع به فحقه ان يضرع له كما قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
او القى السمع وهو شهيد اي لمن له نفسه علم يستغني به او تدلل للاستماع الحق واقتباسه
ممن عنده العلم وقال بعض العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى اشارة
الى فضل المعلم على المتعلم وفي تبيين فضل المعلم حث للمتعلم على الانقياد له وكما ان من حق المريض
ان يكل الطبيب الناصح الذي وقف على طبه ايطلب الطبيب دواءه وغذاه فانه لا يشتهي ما لم ينشه
الا ما فيه داؤه ولم يجتو الا ما فيه شفاؤه شعر فمن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
كذلك من حق المتعلم اذا وجد معلما ناصحا ان يأتمر له ولا يتأمر عليه ولا يراده فيما ليس بصدد
تعلمه وكفى على ذلك تنبيها ما حكى الله تعالى عن العبد الصالح انه قال لموسى عليه السلام حيث قال هل اتبعك

ان تعلمني مما علمت رشدا فقال لا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فنهاه عن
مراجعته وليس ذلك نهيا عما حث الله تعالى عليه في قوله فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وذلك لان النهي انما هو نهي عن نوع العلم الذي لم يبلغ منزلته بعد والحث انما هو عن سؤال
تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه وحق من هو بصدد تعلم العلوم
ان لا يصيخ الى الاختلافات المشككة والشبه الملبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده
لئلا يتولد له شبهة يصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك به الى الارتداد ولذلك نهى
الله تعالى من لم يكن قد تقوى في الاسلام عن مخالطة الكفار يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم اولياء لا يالونكم خبالا وقال ــــ اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا ومن
اجل ذلك كره للعامة ان يجالسوا اهل الاهواء والبدع لئلا يغووهم فالعامي اذا
خلا بذي بدعة كالشاة اذا خلت بالسبع وقال بعض الحكماء انما حرم الله تعالى في الابتداء لحم
الخنزير لانه اراد ان يقطع العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشكونهم باجتماعهم
من اليهود والنصارى فحرم على المسلمين ذلك اذ هو معظم ماكولاتهم وعظم الامر في تناوله
ومسه لينتزه المسلمون عن الاجتماع معهم في المواكلة والمشرب وقال صلى الله عليه وسلم في المؤمن
والكافر لا تتراءى ناراهما ولذلك فاما الحكيم فانه لا بأس بمجالسته اياهم فانه جار
مجرى سلطان ذي اجناد وعدة وعتاد لا يخاف عليه العدو وحيثما توجه ولهذا
جوز له الاستماع الى الشبه بل اوجب تتبع بعد جهله كلامهم وتتبع شبههم ليجادلهم
ويدافعهم فالعالم افضل المجاهدين الذابين عن الدين والجهاد جهادان جهاد بالبنان
وجهاد بالبيان ولما قدمنا سمى الله تعالى الحجة سلطانا في غير موضع من كتابه كقوله حكاية
عن موسى عليه السلام اني اتيكم بسلطان مبين **ما يجب على المعلم ان يتحراه مع المتعلمين**
حق المعلم ان يجري متعلميه مجرى بنيه فانه في الحقيقة لهم اشرف الابوين كما قال
الاسكندر وقد سئل امعلمك اكرم عليك ام ابوك فقال بل معلمي لانه سبب حيوتي الباقية

يصغي
نخ البدع

ووالدي

ووالدي سبب الحيوة الفانية وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله انما انا لكم مثل الوالد اعلمكم
وحق معلم الفضيلة ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في ارشاد الناس خليفته فيشفق
عليهم اشفاقه ويتحنن عليهم تحننه كما قال الله تعالى في وصفه عليهم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم واي عالم لم يكن له من يقتبس العلم منه صار كعاقر لا نسل له فيموت ذكره بموته
ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجودا وان فقد شخصه كما قال صلى الله عليه وسلم العلماء باقون
ما بقي الدهر واعيانهم مفقودة واثارهم في القلوب موجودة وقال بعض الحكماء فهب لي
من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب انه سأله نسلا يورثه علمه لا من يورثه ماله
فاعراض الدنيا دون عند الانبياء ان يشفقوا عليها وكذلك قوله واني خفت الموالي من ورائي
وكانت امراتي عاقرا اي خفت ان لا يرعوا العلم وعلى هذا قال صلى الله عليه وسلم والعلماء ورثة
الانبياء وكان من حق اولاد الاب الواحد ان يتحابوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا كذلك
حق بني العلم بل بني الدين الواحد ان يكونوا كذلك فاخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة
ولذلك قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين وحق العالم ان يصرف من يريد ارشاده عن الرذيلة الى الفضيلة بلطف
في المقال وتعريض في الخطاب فالتعريض ابلغ من التصريح لوجوه احدها ان النفس
الفاضلة لميلها الى استنباط المعاني تميل الى التعريض شغفا باستخراج معناه
بالفكر ولذلك قيل رب تعريض ابلغ من تصريح والثاني ان التعريض لا يهتك به سجوف
الهيبة ولا يرتفع به ستر الحشمة والثالث انه ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعريض
وجوه فمن هذا الوجه يكون ابلغ ومن هذا الوجه حذف الاجوبة كثيرة من الشروط المقتضية
للثواب او العقاب نحو قول الله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والرابع ان للتعريض عبارات مختلفة والتصريح
ليس له الا عبارة واحدة فلا يمكن ايراده الا على وجه واحد والخامس ان تصريح النهي داع الى

امر المؤمنين
نخ قول تعالى

لا عزّ ولذلك قيل اللوم اعزّ وقال شعر دع اللوم ان اللوم يغري وانما اباد صلاحا من يلوم فافسدا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو نهى الناس عن فتّ البعرة لفتّوه وقالوا ما نهينا الا وفيه شيء وكفى بذلك شهادة ما كان من امر آدم عليه السلم وحواء في نهي الله تعالى اياهما عن اكل الشجرة ومن حق المعلم بعد العلم ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما علّمه الله تعالى حيث قال قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فلا يطمع في فايدة من جهة من يفيده علما اقتداء بالماثور وليعلم ان من باع علما بغرض دنيوي فقد ضادّ الله في حكمه وذاك ان الله تعالى جعل المال خادما للمطاعم والملابس وجعل المطاعم والملابس خادما للبدن وجعل البدن خادما للنفس وجعل النفس خادما للعلم فالعلم مخدوم غير خادم والمال خادم غير مخدوم فمن جعل العلم ذريعة الى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم غير خادم خادما لما هو خادم غير مخدوم

وجوب منع الجهلة عن حقائق العلوم والاقتصار بهم على قدر افهامهم

واجب على الحكيم والعالم النحرير ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما قال انا معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم فنكلم الناس على قدر عقولهم وان يتصور ما قال امير المؤمنين رضي الله عنه حيث قال لكميل بن زياد واومى بيده الى صدره فقال ان ههنا علوما جمّة لو وجدت لها حملة بل اصيب لقنا غير مامون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر بنعم الله على عباده وبحجته على كتابه او منقادا لاهل الحق لا بصيرة له ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذّب الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ما احد يحدّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان ذلك فتنة على بعضهم وقال عيسى عليه السلم لا تضعوا الحكمة في غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكن كالطبيب الحاذق يضع دواءه

[illegible]

حيث يعلم انه ينفع وقيل تضيّع طلاب جهل كما تضيّع خطّاب حرّ ولهذا المعنى قال ابو تمام فقال

شعر وما انا بالغيران من دون جارتي   اذا انا لم اصبح غيورا على العلم

وقيل لبعض الحكماء ما بالكم لا تطلعون كل احد على حكمة يطلبها منكم فقال اقتداء بالباري عز وجل حيث قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فبيّن انه منعهم لما لم يكن فيهم خير وبيّن ان في اسماعهم ذلك مفسدة لهم وسأل جاهل حكيما عن مسئلة من الحقايق فاعرض عنه ولم يجبه فقال اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال نعم سمعته فاترك اللجام واذهب فاذا جاء من ينفعه ذلك وكتمته فليلجمني به وقال بعض الحكماء في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما انه نبّه به على هذا المعنى وذلك انه لما منعنا من تمكين السفيه من المال الذي هو عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر تفاديا انه ربما يؤديه الى هلاك دنيوي فلان يمنع من تمكينه من حقائق العلوم التي اذا تناولها السفيه اداه الى ضلال واضلال وهلاك واهلاك احق واولى فانه اذا ما اقتنى العلم ذو شرّة يتضاعف ما ذمّ من مخبره وصادف منه قوة يصول بها الشرير جوهره وكما انه واجب على الحكام اذا وجدوا من السفهاء رشدا ان يدفعوا عنهم الحجر ويدفعوا اليهم اموالهم لقوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فواجب على الحكماء اذا وجدوا من المسترشدين قبولا ان يدفعوا العلوم اليهم بقدر استحقاقهم فالعلم قنية يتوصل بها الى الحيوة الاخروية كما ان المال قنية يتوصل بها الى المعاونة الى الحياة الدنيوية وباذل العلم لمن لا يستحقه مستوجب عقوبة ومانعه عن اهله مستوجب عقوبات ولذلك قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية وقال ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار الآية وقال تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة فاذا ثبت ذلك فواجب ان يكون من يفيد

بعيدهم

من العامة بعيد الشرع فحسنت حاله ان لا يعرف عما هو بصدده، فيؤدى ذلك الى اخلاله
عن فيلة ثم لا يمكن ان يعيد بعيد الخواص فيرتفع السد الذى بين الشرور وبينه من اشتغاله
بعمارة الارض من تجارة او مهنة فحقه ان يقتصر به من العلم على مقدار ما يحتاج
اليه من هو فى مرتبته فى عبادة الله العامية وان تملا نفسه من الرغبة والرهبة الوارد
بهما القران ولا يولد له الشبهة والشكوك فان اتفق اضطراب نفس بعضهم اما بانبعاث
شبهة تولدت له او ولد بها ذو بدعة دفع اليه فتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها فحقه
ان يختبر فان وجد ذا طبع موافق العلم وفهم ثاقب وتصور صائب خلى بينه وبين التعلم
وبتوعد عليه لما يوجد من السبيل اليه وان وجد شريرا فى طبعه او ناقصا فى فهمه منع
اشد منع ففى اشتغاله بما لا سبيل له الى ادراكه مفسدتان تعطله عما يعود بنفع العباد
والبلاد واشتغاله بما يكثر منه شبهة فليس فيه منفعة وكان بعض ائمة المتقدمة
اذا اتى شيخ ادلهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقائق العلوم والخروج من جملة العامة الى
الخاصة اختبر فان لم يوجد خيرا فى الخلق او غير متهيئ للعلم منع اشد المنع وان وجد
خيرا ومتهيئا للتعلم شورط على ان يقيد فى دار الحكمة ومنع ان يخرج حتى يحصل
له العلم او يأتى عليه الموت ويزعمون ان من شرع فى حقائق العلوم ثم لم يبرع فيها تولدت
له الشبهة وكثرت فيصير ضالا مضلا فيعظم على الناس ضرره وبهذا النظر قيل نعوذ
بالله من نصف متكلم وجب ضبط المتصدين للعلم ومنعهم الاهمال ذلك
لا شى اوجب على السلطان من مراعاة احوال المتصدين للرياسة بالعلم فمن الاخلال
بها ينتشر الشر ويكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر وذلك ان
السواس اربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والولاة وحكمهم
على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والحكماء وحكمهم على بواطن الخاصة والوعظة وحكمهم
على بواطن العامة وصلاح العالم بمراعاة امر هذه السياسات ليخدم العامة الخاصة ويسوس الخاصة

العامه وفساده فى عكس ذلك ولما ترك مراعاة المتصدين للحكمة والوعظ وترشح قوم للزعامة
للعلم من غير استحقاق منهم لها فاحدثوا بجهلهم بدعا استغووا بها عامة واستجلبوا بها
منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم لهم وقرب جوهرهم منهم
شعر وكل قرين الى شكله ❊ كانس الخنافس بالعقرب ❊ وفتحوا بذلك طرقا منسدة
ورفعوا بها ستورا مسبلة وطلبوا منزلة الخاصة فيتوصلوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من
الشره فبدعوا العلماء وكفروهم اغتصابا لسلطانهم ومنازعة لمكانهم فاغروا بهم
اتباعهم حتى وطئوهم باخفافهم واظلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام ذكر
من يصلح لوعظ العامة
لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص الحكيم بل لنقص فى العامى
شعر فلن ترى الشمس ابصار الخفافيش ❊ والصقر يخفو عن طراد الدخل وايضا
فبين الحكيم والعامى تنافى طبعيهما وتنافر مسلكيهما من التنافر قريب مما بين الماء
والنار والليل والنهار وقد قيل لسلمة بن كهيل ما للعلى كرم الله وجهه رفضته العامة
خبر وله فى كل خير ضرس قاطع فقال لان ضوء عيونهم قصر عن نوره والناس الى اشكالهم
اميل ولهذا النظر لما قال جاهل لحكيم انى احبك فقال الله نعيت الى نفسى فقيل ولم قال
لانه ان صدق فليس ميله الا الى النقيصة بدت من نفسى لنفسه وانست به وعلى هذا قال الشاعر
شعر لقد زادنى حبا لنفسى اننى ❊ بغيض الى كل امرئ غير طائل ❊ نحو الواعظ
ان يكون له مناسبة الى الحكماء يقدر على الاقتباس عنهم والاستفادة منهم ومناسبة الى
الذين ما يقدرون على الاخذ منه كالوزير للسلطان الذى يجب ان يكون فيه اخلاق الملوك
وتواضع السوقة ليصلح ان يكون واسطة بينه وبينهم وكالنبى الذى جعله الله من البشر
واعطاه قوة الملك ليمكنه ان ياخذ من الملك ويمكن للبشر ان ياخذوا منه والى هذا اشار الله تعالى
بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا تنبيها انه ليس وسع الثقلين عن الملك ما لم يتجسم فيصير
فى صورة رجل فاذا حق الواعظ ان يكون له نسبة الى الحكيم والى العامة يأخذ منه ويعطيهم كنسبة

الغضاريف الى اللحم والعظم جميعاً ولولا ما لما امكن للعظم ان يكتسب الغذاء من اللحم وهذا
مما اذا توّمل اطّلع منه على حكمة عجيبة وصنعة غريبة **الحالة التي يجب ان يكون**
عليها الواعظ حق الواعظ ان يتعظ ثم يعظ ويبصر ثم يبصّر ويهتدي ثم يهدي ولا
يكون دفتراً يفيد ولا يستفيد ومسنّاً يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد
القمر ضوءها ولها افضل مما تفيد، وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمي اكثر مما
ينتقل ويجب ان لا يخرج مقاله بفعاله ولا يكذب لسانه حاله فيكون ممن وصفهم الله
تعالى بقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو
الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا
يحب الفساد ونحو ما قال امير المومنين كرم الله وجهه قصم ظهري رجلان من الدنيا
جاهل متنسك وعالم متهتك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه والواعظ
ما لم يكن مع مقاله فعاله لم ينتفع به وذلك ان عمله مدرك بالبصر وعلمه مدرك بالبصيرة
فاكثر الناس اصحاب الابصار دون البصائر فيجب ان يكون عنايته باظهار عمله الذي
يدركه جماعتهم اكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك الا بالبصيرة ومنزلة الواعظ
من الموعوظ منزلة المداوي من المداوى فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تاكلوا كذا
فانه سم ثم راؤه اكلا له عدّ سخرة ومزوّا كذلك الواعظ اذا امرهم بما لا يعمله وبهذا النظر
قيل يا طبيب طب لنفسك بل قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون الى
غير ذلك من الآيات وايضا فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع
فكما انه محال ان ينطبع الطين على الطابع بما ليس منتقشا به كذلك محال ان حصل في
نفس الموعوظ ما ليس بموجود في الواعظ واذا لم يكن للواعظ الا قول مجرد من الفعل
لم يتلق عنه الا القول دون الفعل وايضا فان الواعظ يجري من الناس مجرى الظل
من ذي الظل فكما انه محال ان يعوج ذو الظل والظل مستقيم كذلك محال ان يعوج الواعظ

والموعوظ مستقيم وايضا فكل شيء له حالة يختص بها فانه يجر غيره الى نفسه بقدر
وسعه بارادة منه او غير ارادة كالماء الذي يحيل ما يلقاه من العناصر الى نفسه
بقدر وسعه وكذلك النار والارض والهواء فالواعظ اذا كان غاويا اجتر بغيره الى نفسه
ولهذا حكى الله تعالى عن الكفار ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا
وقال ايضا فاغويناكم انا كنا غاوين فمن ترشح للوعظ ثم فعل فعلا قبيحا اقتدى
به غيره فقد جمع وزره ووزرهم كما قال عليه السلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ولقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقال عز وجل وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم **صعوبة المعيار الذي تعرف به حقائق المعلومات**
كما ان للدراهم والدنانير ميزانا قد عرف اهلها صحته فلكل علم ميزان نحو الحساب للمعدودات
والهندسة للمحسوسات والعروض للشعر والنحو لالفاظ العرب والى هذا اشار تعالى
بقوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان واوحى الذين
اعطاهم الموازين فقال وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكل شاك ومنازع غيره في مقدار شيء ان يعتمد ميزانا قد عرفه
ويقلد اربابه ان لم يعرفه فان من ترك ذلك واخذ يخرص ويحزر ويظن ويخمن لم يزل
شعثه ولم يسقط خلافه فالخرص قلما يصدق والظن قلما يحقق ولذلك عبر بالخرص
عن الكذب فقال تعالى انهم الا يخرصون وقال قتل الخراصون وقال في الظن ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ومعلوم ان ميزان الدين الذي صوابه يوصل
الى الثواب العظيم وخطاؤه يفضي الى العذاب الاليم اصعب الموازين واشرفها واولاها
بالمعرفة وكثير في زماننا من تحلى بعلم الكلام وترشح فيه للجدال والخصام ورام الزعامة
فيه او انتهاد طلب تحقيق موزوناته بغير ميزان انما اخذ كل واحد منهم يخرص خرصا ويظن ظنا

فصل

ويسلك طريقا غير نهج فاذا وقع بينهم خلاف جعل كل واحد منهم ميزانه خرصه واتبع فيما اعتقده ظنه فاذا احتكموا الى ما اتخذوه ميزانا صار خلافهم في الميزان اكثر من خلافهم في الموزون فهم في ذلك كمن غص بطعام فاستغاث بالماء فشرق به شعر

كمتق لفح نار يستعد لها　　بالجهل درعين من قار وكبريت

لاجرم ان كثيرا من مناظراتهم لا يولد الا شبهة ولا يثمر الا حيرة ولا يقوم عنها شأن الا شناعة مدت بما بل بظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

كراهية الجدال للعوام وذم الجدال على كل حال

اباحة تعاطي الجدال للعامة الذين لم يتدربوا في تحصيل القوانين ولم يتهذبوا في سبيل البراهين يجري مجرى حل قيد الشياطين ورفع سد ياجوج وماجوج فانها يثور سلطان قوتهم السبعية خالعة من يد قايد العقل وقيد الشرع فالجدال مكروه للعلماء الاولياء فكيف للجهال والاغبياء الا ترى ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي احسن فلم يطلق له جدال مخالفيه حتى قيده بالاحسن هذا مع وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله انك لعلى خلق عظيم وقال في ذم الجدل ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وللجدال مع كونه مكروها شرائط وقوانين من تعاطاه ولم يكن متدربا بها كان خصاما جدلا والخصومة عديمة الفائدة قليلة العائدة فان الجدال مع ما فيه قد يوقظ الفهم وتثير الانفة لاقتباس العلم والخصومة لا يثمر الا العداوة وانكار الحق ولهذا جعل الله الخصومة شرا من الجدال فقال بل هم قوم خصمون وقال فاذا هو خصيم مبين ولم يذكر الخصام في موضع الاعانة وايضا فالمتجادلان يجريان مجرى فحلين وكبشين تناطحا وريشين ~~سامط~~ تجاذبا كل واحد منهما يجتهد ان يكون هو الفاعل وصاحبه المنفعل وان يكون هو الطابع ويكون صاحبه المنطبع والقائل

كالمؤثر والسامع كالمتأثر ومتى لم يخضع المتأثر لقبول اثر المؤثر لم يتولد منهما خير بوجه وقال حكيم المجادل المدافع يضع في نفسه عند الخوض في الجدال ان لا يقنع بشيء ومن لا يقنعه الا ان يقنع فما الى اقناعه سبيل ولو اصفق الحكماء بكل بينة بل لو اجتمع عليه الانبياء بكل معجزة كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون **فاجتنب منازعة الجاهل الممارى** اذا ابتليت بمجادل مهارش ومساجل مناوش قصده اللجاج لا الحجاج ومراده مباهاة العلماء ومماراة السفهاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء لم يرح رائحة الجنة قال الشاعر في مثل شعر فان معدة الخلاف كانه

برد على اهل الصواب موكل　　تحتفل ان تغترمنه فراركل من الاسد ولا ساودفان

لم تجد من مزاولته بدا فعا بل انكاره الحق بانكار كل الباطل ودفاعه الصدق بدفاع الكذب معتبرا في ذلك قول الله تعالى ومكروا ومكر الله ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم وقوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقوله حكاية عن المنافقين انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم وقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتتبلغ معه بذلك واياك وان تعرج معه الى بث الحكمة وان تذكر شيئا من الحقائق مع من لم يتحقق ان له قلبا طاهرا لا تمانه الحكمة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب فان لكل قرية غرسا ولكل بناء اساسا وما كل راس يستحق التيجان ولا كل طبيعة يستحق افادة البيان وان كان لا بد فاقتصر معه على اقناع يبلغه فهمه فقد قيل ان لب الثمار معد للانام والتبن للانعام فلب الحكمة معد لذوي الالباب وقشورها مجعولة للانعام وكما انه من المحال ان يشم الاخشم ريحانا فمحال ان يفيد الحمار بيانا واعلم ان سبيل انكار الحجة في افسادها اسهل من سبيل المعارضة لمثلها والمقابلة لها ولهذا يجري الجدل ابدا الدفاع لا المعارضة لمثلها وذاكر انه الفسار يندم ومسهل

ولا تيان بمثله بنا و هو صعب فان الانسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات و
احراق النبات ولا يقدر على ايجاد شي منها يمكنه افساد حجة قوية بضرب من الشبه المزخرفة
ولا يمكنه الاتيان بمثلها ولاجل ما قلنا دعى الله الناس في الحج الى الاتيان بمثلها لا السعي في
افسادها فقال قل فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فرضي بان ياتوا بما
فيه مشابهة له وان كان ذلك مفترى وقال ابرهيم عليه السلم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب الوجوه الذي يقع من اجلها الشبه والخلاف السبب الموقع للشبه والمولد
للخلاف على القول المجمل سببان المعنى واللفظ فاما ما كان من جهة المعنى فاما ان يكون من
جهة الناظر او من جهة المنظور فيه وهو الحجة او من جهة الآلة التي تستعمل في النظر فان الناظر
في الشي المعتبر له جار مجرى وزان وحجته كالميزان والمنظور فيه كالموزون فمتى كان الناظر
غير تام العقل كان اعمى البصيرة فيجري مجرى وزان اعمى البصيرة فلا سبيل له الى الوزن
ومتى لم يكن اعمى لكن هو غبي مالك القوانين والبراهين والحجج والادلة كان جاريا مجرى وزان عدم
الميزان فاخذ بالتخمين والحدس فقلما ينفك من غلط بل ما وقع منه من الصواب فغير معتد به
اذ لا اصل له تسكن اليه النفس ومتى لم يكن عمي البصيرة لكن لا يعرف وجه يستعمل فيما هو بصدده
فيطلب المعقول من جهة المحسوس والمحسوس من جهة المعقول كان جاريا مجرى وزان بصير لكن
يزن الدراهم بسنج الدنانير والدنانير بسنج الدراهم واما ما كان من جهة اللفظ فاما ان يكون
ذلك واقعا من جهة مفردات اللفظ او من جهة مركباته فان كان من مفردات اللفظ فاما ان
يكون من حيث ان اللفظ مشترك بين معنيين كالعين واليد ونحوهما او يكون اللفظ عاما موضوعا
بموضع خاص وخاصا موضوعا بموضع عام او يكون اللفظ مستعملا على سبيل المثل والاشارة والرمز
او يكون لفظا مستعملا لشي لم يتقرر صورة ذلك الشي في نفس السامع فيتخيل له وهم فاسد كاعتقاد
كثير من الناس اعتقادات فاسدة في الملائكة والجن والشياطين والجنة والنار والميزان والصراط والكرسي
فاما ما كان من جهة التركيب فاما ان يكون من جهة الكمية بان يكون اللفظ اكثر مما يجب ان يكون او اقل مما يجب

وذلكم

ان يكون واما من جهة الكيفية وذلك بان يتقدم ما حقه ان يوخر او يوخر ما حقه ان يقدم كقول الشاعر
شعر وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه ومن اجل ما وقع في الالفاظ
من الشبه قال الحكما يجب ان يكون نظر الانسان من المعنى الى اللفظ اكثر من نظره من الالفاظ الى
المعنى فان اللفظ في الحقيقة لا يدل على المعنى الا بوساطة صورة ذلك المعنى في القلب
فمتى لم تثبت صورة المعنى في القلب لم يفهم من اللفظ المعنى بتة بيان جميع الخلاف بين الناس
في الاديان والمذاهب جميع الاختلافات بين اهل الاديان والمذاهب على اربع مراتب
الاولى الخلاف بين اهل الاديان النبوية وبين الخارجين عنها من الثنوية والدهرية ونحو ذلك
في حدوث العالم او في الصانع تعالى وفي التوحيد والثانية الخلاف بين اهل الاديان النبوية
بعضهم مع بعض وذلك في الانبياء كاختلاف المسلمين واليهود والنصارى والثالثة
الاختلاف المختص من اهل الدين الواحد بعضهم مع بعض في الاصول التي لا يقع فيها التبديع و
التفسيق كالاختلاف في كثير من صفات الله تعالى وفي القدر كاختلاف المجسمة والرابعة
الاختلاف المختص باهل المقالات في فروع المسايل كاختلاف الشافعية والحنفية والاختلاف
الاول يجري مجرى متنافيين في مسلكيهما كاخذ طريق المشرق واخذ طريق المغرب والاخذ
ناحية الشمال او اخذ ناحية الجنوب والثاني يجري مجرى اخذ نحو المشرق واخذ يمينه وشماله
فهو وان كان اقرب من الاول فليس يخرج احدهما عن ان يكون ضالا اضلالا بعيدا و
ايهما افضل يعبق له ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا والثالث جار مجرى اخذين
من جهة واحدة لكن احدهما سالك المنهج والثاني تارك المنهج وهذا التارك ربما يبلغ وان
يطول عليه الطريق والرابع جار مجرى جماعة ركبوا منهجا واحدا لكن اخذ كل واحد شعبة
غير شعبة الآخر وهذا الاختلاف المحمود يشق له علم الاختلاف في هذه الامة ونحو نظر من قال
كل مجتهد في الفروع مصيب ولاجل الطرق الثالث امرنا ان نستعيذ بالله ونتضرع اليه بقوله اهدنا
الصراط المستقيم وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وجميع

كلها في النار الا واحدة

الخبر
الخلاف الواقع في هذه الامة اثنان وسبعون على ما ورد في الخبر زايدا او ناقصا وقد روي
في ذلك على وجهين احدهما ستفترق امتي على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة
وفي الخبر الثاني الا الزنادقة وهذان الخبران لا يمتنع ان يكونا صحيحين ولكن على نظرين
ومعنيين وقد ذكرته في رسالة مفردة النطق والصمت النطق اشرف ما يختص به
الانسان فانه صورته المعقولة التي بطل تباين بها سائر الحيوانات ولهذا قال الله تعالى خلق الانسان
علمه البيان ولم يقل وعلمه اذ جعل قوله علمه تفسيرا لقوله خلق الانسان تنبيها ان خلقه
تعالى اياه هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهم مرتفعا لكانت الانسانية ولذلك قيل ما الانسان لولا
اللسان الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة وقيل المرء مخبوء تحت لسانه وقال الشاعر شعر
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم : اي اذا توهم رفع النطق
الذي هو باللسان والقوة الناطقة التي هي بالفؤاد اذا لم يبق الا صورة اللحم والدم فاذا كان الانسان
الانسانية
هو بذلك فلا شك ان من كان اكثر منه حظا كان اكثر انسانية والصمت من حيث هو صمت مذموم
لذلك من صفة الجمادات فضلا عن الحيوان وقد جعل بعض الحيوانات بلا صوت وجعل لبعضها اصواتا
بلا تركيب ومن مدح الصمت فاعتبارا لما يؤدي الكلام فيقع منه جنايات عظيمة في امور الدين والدنيا
كما روي ان الانسان اذا اصبح كفرت اعضاؤه للسانه فتقول اتق الله فانك اذا استقمت
استقمنا وان اعوججت اعوججنا فاما اذا اعتبرنا نفسهما فمحال ان يقال في الصمت
فضل فضلا ان يخاير بينه وبين النطق وسئل حكيم عن فضلهما فقال الصمت افضل
حتى يحتاج الى النطق وسئل آخر فقال الصمت عن الخطا افضل من الكلام بالخطا ومنه
اخذ الشاعر فقال شعر الصمت احسن بالفتى ... من منطق في غير حينه والفرق
بين الصمت والسكوت والانصات والاصاخة ان الصمت ابلغ لانه قد يستعمل فيما لا قوة
فيه للنطق ولما له قوة في النطق ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت
يقال لما له نطق فترك استعماله والانصات سكوت مع استماع ومتى انفك احدهما عن الآخر لا يقال
لمن

له في الحقيقة انصات وعلى ذلك قال اذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا فقوله وانصتوا بعد
قوله فاستمعوا دل ان الانصات بعد الاستماع ذكر خاص بعد عام والاصاخة الاستماع الى ما يصعب
ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد الصدق ومدحه والكذب وذمه
اصلهما في القول ولا يكون بالقصد الاول من القول الا في الخبر دون غيره من اصناف
الكلام فاما بالعرض فقد يدخل في انواع الكلام من الاستفهام والامر والدعاء وذلك
ان قول القائل ازيد في الدار في ضمنه اخبار بكونه جاهلا بحال زيد وكذلك اذا قال
آسني في ضمنه انه محتاج الى المواساة واذا قال لا تؤذني في ضمنه انه يؤذيه وكلاهما
اعني الصدق والكذب مستعملان في الاعتقاد ايضا كقولهم صدق ظنه واعتقاده
وكذبا ويستعملان ايضا في افعال الجوارح كقولهم صدقوهم القتال وكذبوهم وحد الصدق
التام هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا
تاما بل اما ان لا يوصف بالصدق والكذب او يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على
نظرين مختلفين كقول الكافر اذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا
يصح ان يقال فيه انه صدق لكون المخبر عنه كذلك ويصح ان يقال فيه انه كذب لمخالفة قوله ضميره
ولهذا اكذبهم الله حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وكذلك اذا قال من لم يعلم كون زيد في الدار
انه في الدار او يصح ان يقال صدق وان يقال كذب بنظرين مختلفين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا ومن اخبر فقد كذب على الله والمخبر ثم لا فضل له
فاذا قال زيد في الدار لا يقال له انه صدق ولا كذب والصدق احد اركان بقاء العالم حتى
لو توهم مرتفعا لما صح نظامه وبقاؤه وهو اصل المحمودات وركن النبوات ونتيجة التقوى
ولولاه لبطل احكام الشرائع ولذلك قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
والاختصاص بالكذب انسلاخ من الانسانية لخصوصية الانسان بالنطق ومن عرف الكذب

لم يُستهد نطقه واذا لم يستعمل نطقه لم ينتفع واذا لم ينتفع نطقه صار هو والبهيمة سوا بل
يكون شرا من البهيمة فان البهيمة وان لم تنتفع بلسانها فانها لا تضر والكاذب يضر ولا ينفع
ولهذا قال الله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل واعلم ان كل كلام يخرج على وجه المثل
للاعتبار دون الاخبار فليس بكذب في الحقيقة ولهذا لا يتحاشى المتحرزون من التحدث
به كقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطف في خدمة الملوك ان سبعا وذيبا وثعلبا
اجتمعت فقالت نشترك فيما نصيد فظفرن ببعير وظبي وارنب فقال السبع للذيب
اقسم فقال هو مقسوم البعير لك والظبي لي والارنب للثعلب فوثب السبع عليه فادماه
ثم قال للثعلب اقسم فقال هو مقسوم البعير لغدائك والظبي لقيلك والارنب لعشائك
فقال السبع من علمك هذه القسمة فقال علمني الثوب الارجواني الذي على
الذيب وعلى المثل حمل قوم قوله عز وجل ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب وقوله تعالى كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة فقال يصح هذا المثال مثلا وان لم يجر العادة في وجود حبة هكذا

ما يحسن ويقبح من الصدق والكذب

ذهب كثير من المتكلمين الى ان الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه وقال كثير من العلما والمتصوفة ان الكذب يقبح
لما يتعلق به من المضار الخاصة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الخاصة
وذكروا ان الاقوال من جملة الافعال وشي من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته بل انما
يحسن ما يحسن لما يتعلق به من النفع ويقبح ما يقبح لما يتعلق به من الضر الموفي
على ما فيه من النفع الا ترى ان اعظم ما يجري في العالم القتل والغصب وقد يقع كل واحد
منهما على وجه حسن وعلى قبح وكذا المقال من الصدق والكذب ولذلك ما قال صلى الله عليه وسلم
لا يصلح الكذب الا في ثلث اصلاح بين الناس وكذب الرجل لامراته ليرضيها
وكذب الرجل في الحرب فانها خدعة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه اذا اتاكم مني

حديث يدل على هدى او يرد عن ردى فاقبلوه قلته او لم اقله وان اتاكم عني حديث
يدل على ردى او يرد عن هدى فلا تقبلوه فاني لا اقول الا حقا قالوا والكذب
يكون قبيحا بثلث شرائط ان يكون الخبر خلاف المخبر عنه وان يكون المخبر قد اختلقه
قبل الاخبار به وان يقصد ايراد ما في نفسه لا نفعا اعظم من ضرر ذلك الكذب
مع شرط ان لا يمكن الوصول الى ذلك النفع بغيره وبشرط انه اذا ظهر كان للكاذب
عذر واضح عاجلا وآجلا قالوا ولا يلزم على هذا ان يقال جوزوا الكذب فيما يرجى
منه نفع دنيوي فالمنفعة الدنيوية ولو كان ملك الدنيا بحذافيرها لا توفي على
ضرر ادنى كذب وانما هذا الذي قلناه يتصور في نفع اخروي يكون الانسان
فيه معذورا عاجلا وآجلا كمن سالك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله
فيقول هل فلان في دارك فتقول لا فهذا يجوز لمصلح فان نفع هذا الكذب موفٍ على
ضرره وهو فيه معذور ولا خلاف ان المعاريض حيث يضطر اليها يجوز ولذلك قيل
ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولم يزل الانبيا والاوليا يفزعون اليه كقول
النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله من اين انت فقال من الماء وقول ابراهيم اني سقيم وقوله
هذه اختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا واما الصدق فانما يحسن حيث يتعلق به نفع ولا يلحق
ضررا باحد بتعلقه قبح قول من يقول السماء فوقي والارض تحتي من غير ان
يريد ان يجعل هذا مقدمة دليل او افادة معنى تعلقه به ولذلك يقبح النميمة والغيبة
والسعاية وان كانت صدقا ولذلك قيل كفى بالسعاية ذما انه يقبح فيه الصدق واقبح
الكذب مع قبح كله او جله ما لا يتعلق به رجا نفع عاجل واجل ويجلب الى المقول له ضررا
كرجل يأتيك عن بلد بعيد فيقول ان ملك ذلك البلد يرغب فيك ويتشوق اليك وسألك
ان تاتيه ليفيلك مالا وجاها فاذا وردت لم تجد لذلك صدقا بل وجدت ذلك الملك حنقا
عليك

علة الكذب والسبب الداعي اليه

الكذب اما ان يكون اختراع قصة لاجل

لما او زيادة في القصة او نقصا فإن غير المعنى او حرفه بتغيير عبارة فإن كان اختراعا
يقال له الافتراء والاختلاق وما كان من زيادة او نقصان فمين وكل من زاد الكذب
كذبا في غيره فاما ان يقوله بحضرة المقول فيه او بغير حضرته واعظم الكذب ما كان
اختراعا بحضرة المقول فيه وهو المعبر عنه بالبهتان وكل من اراد حديثا فاما
ان يقوله عن علم او عن غلبة ظن او تخمين وظن واه فما يقال عن علم محمود بلا شك
وما كان عن غلبة ظن او عن تخمين فقد يحسن ويقبح وما كان عن تخمين وظن واه
فمذموم ولذلك قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن
اثم واعلم ان الداعي الى الكذب محبة النفع الدنيوي وحب الترأس وذلك ان المخبر
يرى ان له فضلا على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم الفاضل في ذلك فيظن انه يجلب
بما يقوله فضيلة ومسرة وهو يجلب به نقيصة وفضيحة فنصيحة كذبة واحدة لا يوازي
مسرات دهره فالكذب عار لازم وذل دائم وحق الانسان ان يعود الصدق فلا
يترخص في ادنى كذب فمن استحلاه عسر عنه فطامه وقد قال بعض الحكماء
كل ذنب يرجى تركه بتوبة او انابة ما خلا الكذب فان صاحبه يزداد على
الكبر فقد راينا شارب خمر اقلع ولصا نزع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه
فقال لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه **الفصل الحادي عشر في الثناء والمدح** محبة الذكر الحسن اشرف مقاصد ابناء الدنيا وهي
في جبلة الناس ومن خصائصهم ولا يوجد في غيرهم من الحيوان كما قال الشاعر
شعر حب الثنا طبيعة الانسان ولولا الكلف به لما ظهرت العدالة من اكثر الناس
الانسان ومن لا يخوفه الهجاء ولا يسره الثنا لا يردعه عن سوء الفعال الا شرط
او سيف وقيل الذي ينزع عن القبيح ويحث على الجميل خمسة اشيا العقل ثم الحيا
ثم المدح والهجا ثم الترغيب والترهيب وقيل من لم يردعه الذم عن سيئه ولم ينتدب بالمدح الى حسنه فهو جماد او بهيمة ولاجله تنازع الناس في الرياسة والمنازل الرفيعة
وليس الثنا في نفسه محمودا ولا مذموما وانما يمدح ويذم بحسب المقاصد فمن قصد طلب
ما يستحق فذلك محمود وهو طريق ابراهيم عليه السلم حيث قال واجعل لي لسان صدق في
الآخرين اي اجعلني بحيث افعل ما اذا امتدحت بشيء يكون مادحي صادقا ومن هذا
الوجه ندب الانسان الى ان يقول اذا مدح اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما
لا يعلمون والمذموم منه ان يميل اليه من غير تحريه لفعل ما يقتضيه وذلك من
اعظم الآفات لمن تحراه فانه ينتج الحسد والحسد ينتج الكذب والكذب راس كل مذموم
وقد توعد الله تعالى المحمدة من غير حسنة تقتضيها فقال لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وبالنظر
الى ما تقدم قال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال المؤمن
اذا مدح في وجهه ربا الايمان في قلبه وبالنظر الى ما تاخر سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا اثنى
على آخر فقال قطعت مطاه لو سمع ما افلح والفاضل يكره الثنا عليه في وجهه سيما
اذا كان من مادح متطر وجليس مغتر وممن يهرب قبل ان يعرف وممن اذا وجد مادحا
تمدح واذا وجد مادحا مدح واما ثنا الانسان على نفسه شناعة وفظاعة وقد
قيل لحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه وقال معوية لرجل
من سيد قومك قال انا فقال لو كنته لما قلت وانما لم يستقبح ما كان من يوسف عليه السلم
حيث قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم لانه قصد بذلك التنبيه على استقلاله
لما سال ان يفوض اليه وقد احسن ابن الرومي حيث اعتذر من مدح نفسه قصدا
الى الدلالة على مكانه **شعر** وعزيز علي مدحي لنفسي ۞ غير اني جشمته للدلالة ۞
وهو عيب يكاد يسقط فيه ۞ كل حر يريد اظهار آله ۞ **الشكر**
الشكر تصور المنعم عليه النعمة واظهارها قيل وهو مقلوب عن الكشر اي الكشف و

ويضاده الكفر وهو من كفر الشيء اي تغطيه ومنه دابة شكور اي مظهر بسمنها اسدا صاحبها
اليها وقيل اصله من عين شكرى اي ممتلية فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه ومن
هذا الوجه قيل هو ابلغ من الحمد لان الحمد ذكر الشيء بصفاته المحمودة والشكر ذكره بصفاته
ونعمه والشكر ثلثة اضرب شكر بالقلب وهو تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على
المنعم وشكر بساير الجوارح وهو مكافاته بقدر استحقاقه وهو ايضا باعتبار الشاكر والمشكور
ثلثة اضرب شكر الانسان لمن فوقه وهو بالخدمة والثنا والدعاء وشكر لنظيره وهو
بالمكافاة وشكر لمن هو دونه وهو بالثواب وقد وصف الله تعالى نفسه بالشكر لطاعة
عباده وشكر العبد لربه هو معرفة نعمته وتحفظ جوارحه عن استعمالها فيما لا ينبغي ومعناه بالفارسية
بالفارسية سپاس دارم خدايرا اي انا حارس له على جوارحي وشكر على الجملة واجب بالعقل
كما هو واجب بالشرع واوجبها شكر الباري تعالى ثم شكر من جعله عز وجل سببا لوصول
خيره اليك على يده ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اشكر لمن انعم عليك وانعم لمن شكر لك فانه لا زوال
للنعمة اذا شكرت ولا ثبات لها اذا كفرت وقال بعض الحكما كل نعمة يمكن شكرها الا
نعمة الله فان شكر نعمته نعمة منه فيحتاج العبد ان يشكر الثاني كشكره الاول وكذلك الحال
في الثالث والرابع وهذا يؤدي الى ما لا انتهى ولهذا قال موسى عليه السلام الهي امرتني بالشكر على نعمك وشكري
اياك نعمة من نعمك ومن هذا اخذ الشاعر فقال شعر اذا كان شكري نعمة الله نعمة
علي له في مثلها يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر
ولهذا قيل غاية شكر الله الاعتراف بالعجز عنه مثل قال الله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وايضا فكل ما يفعل الله بعبده فهو منه نعمة وان كان قد يعد بعض ذلك بلية ولذلك
قال بعض الحكما الصالحين يا من منعه عطاء وبلاؤه نعماء اجل صعوبة شكره قال الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور ولم يثن بالشكر على اوليائه الا على اثنين منهم قال في ابرهيم عليه السلام شاكرا لانعمه
محض لمغط المنعم الدالة على ازدياد العدد وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا واعلم ان الصبر والشكر

المنعم صح

من لم يشكر الله لم يشكر الناس وقال عليه السلام

جماع الايمان كما روي في الخبر وقد روي الصبر نصف الايمان لكن قلت قال بعض المتصوفة
الشكر افضل فان الصبر حبس النفس على مسالمة البلاء والشكر ان لا يلتفت الى
البلاء بل تراه من النعماء فمن صبر فقد ترك اظهار الجزع ومن شكر فقد جاوز الى اظهار
السرور بما جزع له الصابر وايضا الصبر ترك العمل السيء والشكر اظهار الفعل
الحسن وليس من ترك قبيحا كمن فعل جميلا وقابل تعالى الشكر بالمجازاة فعل الحسيب فقال وسيجزي
الله الشاكرين وقابل الصبر بالاجر فعل المستاجر باجيره فقال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب واين الاجر وان كان كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء ثم قال
في الصبر يوفى فلم يسم فاعلا وقال في الشكر سنجزي فانظر الى هذا اللفظ في المقال
وقبل لانها الى الفعال ولم يذكر من انبيائه بالشكر الا اثنين كما تقدم ووصف جماعتهم
بالصبر فقال كل من الصابرين وقال ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور فجعل الصبر
مبدا والشكر منتهى ولان الصبر محمول عليه قهرا والشكر مؤدى طبعا الغيبة
والنميمة الغيبة ان يذكر الانسان غيره بما فيه من عيب من غير ان تحوج الى ذكره وقد
عظم الله عز وجل امرها فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه وقال هماز مشاء بنميم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وروي ان
النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء وقيل من وجد غائبا الامر كان معيبا وقال
قتيبة لرجل رآه يغتاب آخر لقد تلمظت بما يعافه الكرام وحق الانسان ان لا يتعودها
فان لها ضراوة ولذلك عير الانسان بالغيبة فقال لو تلمظت بها ما صبرت عنها
ثم ان من اغتاب اغتيب ومن عاب عيب ومن بحث عن عيوب الناس حمل الناس على
البحث عن عيوبه وكما يجب ان لا يتعاطاه بقوله يجب ان يتجنب من سماعها وسماع كل قبيح
من الكذب ليلا يعلق وضره ووسخه بنكرته فوضر كلمة عوراء لا يمكن تطهير القلب
عنه الا بزمان مديد وعلاج شديد وسماع القبيح قد يصير سببا لفساد الكبير المحتنك

بجيبه صح

طوعا صح

تلمظت صح

احتنك الجراد الارض اكل ما عليها من النبات

وغواية العالم المستبصر فضلا عن فساد الحدث الغر والناشئ الغمر ولذلك قال الله تعالى
في مدح قوم وإذا مروا باللغو مروا كراما وقد أجاد من قال شعر
وسمعك صن عن سماع القبيح   كصون اللسان عن النطق به   والقبيح الغيبة
والنميمة والمثابة قال أمير المؤمنين رضي الله عنه ما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما
ولا غلط الأعلى إلى رتبة الأسفل منهما وقيل إذا سمعت كلمة ترذيل فتطامن لها
تخطاك **الكلام المستقبح** البذاء الكلام القبيح ويكون من القوة الشهوية طورا
كالرفث والسخف ويكون من القوة الغضبية طورا فمتى كان مع استعانة بالقوة
المفكرة يكون منه السباب ومتى كان بمجرد الغضب كان صوتا مجردا لا يفيد نطقا
كما يرى كثيرا ممن فار غضبه وهاج هائجه والرفث فواحش الكلام في باب النكاح
وأوصاف النساء وموقعه وقال بعضهم إني لأستقبح من الرجل أن يكون وصافا
لبطنه وفرجه ومن حق الإنسان أن يصون عن ذلك سمعه كما يصون عن التفوه به
ولذلك قال تعالى في مدح قوم وإذا مروا باللغو مروا كراما وقال وإذا سمعوا اللغو أعرضوا
عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين والسباب ثلاثة قدح في نسب
المنسوب والثاني في نفسه أو بدنه لعاهة به وأنه والثالث في شيء فعله أو فعل به
والسنة التسرع إلى القول القبيح والفعل القبيح **المزاح والضحك** المزاح إذا
كان على الاقتصاد محمود فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كلمات مازح بها وقال إني لأمزح
ولا أقول إلا حقا وقال سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب
البهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين لكن الاقتصار
فيه صعب جدا لا يكاد يوقف عليه ولذلك تحرج عنه أكثر الحكماء حتى قيل المزاح
مسلبة للبهاء مقطعة للإخاء وقيل لا ينتج إلا الشر وأما الضحك فمن خصائص الإنسان
وذلك أنه يكون من التعجب والتعجب لا يكون إلا عن فكرة وبالفكرة تميز الإنسان عن البهائم

ولا اقتصا

ولا اقتصاد فيه ومعرفة ما يحسن منه عسر كما هو في المزاح وقيل إياك وكثرة الضحك فإنه
تميت القلب وتورث النسيان وقال وكثرة الضحك من الرعونة وحكي عن عيسى عليه السلام
إن الله يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء إلى غير أرب وأما إيراد المضحكات
على سبيل السخف فنهاية القباحة وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب
ليضحك القوم ويل له ويل له **الحلف** أقبح من الكذب اليمين الفاجرة فإنه مع الكذب
استهانة بالمقسم به وحق المسلم أن يتحاشى من الاستعانة باليمين في الحق فكيف بالباطل
وأن يتحقق تقدير القسم وما يراد به ليعلم أن الأعراض الدنيوية أوضع أمرا وأخس
قدرا من أن يتذرع بها إلى الحلف بالله وتقدير ذلك هو أن القائل إذا قال والله إن
لي عليك كذا أي كون ذلك حق كما أن وجود الله تعالى حق وهذا الكلام يتحاشى منه من في
قلبه حبة خردل من تعظيم الله تعالى وقد قال الله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا
قليلا وقال ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه
الحلف ينفق السلعة ويمحق البركة ولم يخص يمينا من يمين وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يحلف على ما له فلا مال له وإن كان بنظر الفقهاء يتصور منه أنه فسحة في الحلف صادقا
فإنه بنظر الحكماء حث على إيثار تعظيم الله تعالى وتقديمه على إيثار المال وهو تعريض بأن الذي فاته
من عرض حاضر لا الدين والمروءة وحق العاقل إذا اضطر إليه أن يسلك سبيل التعريض لا
التصريح وما لم يضطر إليه يتركه تعريضا وتصريحا وإن بدر سهوا حلف شفعه بالاستثناء
كما قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليقل إن شاء الله فإنه يرفع الحنث ويذهب الخبث
وينجز الحاجة ويدفع اللجاج وقيل العاقل إذا تكلم أتبع كلامه مثلا والأحمق إذا تكلم
أتبع كلامه حلفا وعلامة الكاذب جوده بيمينه لغير مستحلف وقال الشاعر شعر
وفي اليمين على ما أنت واعده   ما دل أنك في الميعاد متهم   وقال بعض الحكماء اللهم
الحلاف تدل على كذب إذ ربما فإن ذلك لعلة الركون إلى كلامهم وكما جرت عادة الكذب

حيث يضطر اليه جوز الحنث فى اليمين فقال اذا حلف احدكم على شئ فراى غيره خيرا منه
فليات الذى هو خير وليكفر عن يمينه الفصل الثالث فيما يتعلق بالقوة
الشهوية الحيا انقباض النفس عن القبائح وهو من خصائص الانسان واول ما
يظهر من قوة الفهم فى الصبيان وجعله الله تعالى فى الانسان ليرتدع به عما يتنزع اليه الشهوة
من القبائح فلا يكون كالبهيمة وهو مركب من جبن وعفة ولذلك لا يكون المستحيى فاسقا
ولا الفاسق مستحييا لتنافى اجتماع العفة والفسق وقل ما يكون الشجاع مستحييا والمستحيى
شجاعا لتنافى الجبن والشجاعة ولعزة وجود ذلك يجمع الشعرا بين المدح بالشجاعة
والمدح بالحيا نحو شعر يجرى الحيا الغض من قسماتهم • فى حين يجرى من اكفهم الدم •
وقال الاخر كريم يغض الطرف فضل حيائه • ويدنو اطراف الرماح وهو ابى
ومتى قصد به الانقباض فمدح للصبيان دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح فمدح
لكل احد وبالاعتبار الاول قيل الحياء بالافاضل قبيح ومن هذا الوجه قيل حزى هزمانى القران
وحزى خراية فى الاستحيا انجلا من منبع واحد وبالاعتبار الثانى قيل ان الله يستحيى
من ذى الشيبة فى الاسلام ان يعذبه اى يترك تعذيبه واما الخجل فحيرة النفس لفرط الحيا
ويحمد فى النسا والصبيان ويذم باتفاق من الرجال والوقاحة مذمومة بكل انسان اذ هى
انسلاخ من الانسانية وحقيقتها لجاج النفس فى تعاطى القبيح واشتقاقها من حافر
وقاح اى صلب ولهذا المناسبة قال الشاعر شعر يا ليت لى من جلد وجهك رقعة
فاقد منها حافرا للاشهب • ما اصلب من الشئ صلابة الوجه لم تغلب على احد
الا تكامل فيه الشر فاجتمعا فاما مداراة الاكتساب الحيا فحق الانسان اذا هم بقبيح
ان يتصور احل من فى نفسه حتى كانه يراه والانسان يستحيى ممن تكبر فى نفسه ولذلك
لا يستحيى من الحيوان ولا من الاطفال الذين لا يميزون ويستحيى من العالم اكثر ما يستحيى
من الجاهل ومن الجماعة اكثر ما يستحيى من الواحد والذى يستحيى منهم الانسان ثلثة البشر وهو اكثر

اجتماعه

من يستحيى

٦٠

لم نفه
من يستحيى منه ثم الله عز وجل ومن يستحيى من الناس ولم يستحيى من نفسه فنفسه اخس عنده
من غيره ومن استحيى منهما ولم يستحيى من الله تعالى فلعدم معرفته فان الانسان يستحيى ممن يستعظمه
ويعلم انه يراه او يسمع خبره فيبكته ومن لم يعرف الله فكيف يستعظمه وكيف يعلم انه يطلع عليه
وقول النبى صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحيا ففى ضمنه حث على معرفته وقال تعالى
الم يعلم بان الله يرى منبيها ان العبد اذا علم ان ربه يراه استحيا من ارتكاب الذنب و
سئل الجنيد عما يتولد منه الحيا من الله تعالى فقال رؤية العبد الاء الله عليه ورؤية تقصيره
فى شكره ان قيل كيف قال النبى صلى الله عليه وسلم من لا حيا له فلا ايمان له قيل الحيا اول ما يظهر
فى الانسان من امارات العقل والايمان اخر مرتبة العقل ومحال حصول المرتبة الاخيرة لمن لم يحصل
له الاولى فالواجب اذا ان من لا حيا له فلا ايمان له وقال صلى الله عليه وسلم الحيا شعبة من الايمان
وقال الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا كبر الهمة واما كبر الهمة فيختص
بالانسان من بين الحيوانات فكل جنس يتحرى الفعل بقدر ما فى طبعه وهو حال بين التفتح
وصغر الهمة والتفتح تاهل الانسان لمن لا يستحقه وهو البذخ وصغر الهمة تركه
لما يستحقه وهو الدناءة وكلاهما مذموم لكن المتفتح جاهل احمق وصغير الهمة جاهل
غير احمق وليس لكبر الهمة افراط مذموم فى الحقيقة واما الافراط يدخل فى كل فعل يتصوره
بعض الناس بصورة علو الهمة وليس كذلك واعلم انه قد يقال فلان كبير الهمة وفلان
صغير الهمة اذا كان احدهما يطلب مقتنى اكثر واشرف مما يطلب صاحبه وكبير الهمة
على الاطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد غاديه بطنه وفرجه
بل يجتهد ان يتخصص بمكارم الشريعة فيصير من خلفا الله واوليائه فى الدنيا ومن مجاوريه
فى الاخرة والصغير الهمة من كان على الضد من ذلك وقال اعرابى فلان عظمته صغر الدنيا
فى عينيه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يوجد ولا يكثر اذا وجد وخارجا من سلطان
فرجه فلا يستخف له رايا ولا بدنا فانه وان كان بعنصره حيوانا فبعقله وفكره يصير ملكا واذ ضيع

وحق الانسان ان يتطلف عن ذلك لم

استحيى

نفسه صار شرا من بهيمة وذلك هو الخسران المبين وقيل من عظمت همته لم يرض بقنية
مستردة وحياة مستعارة فان امكنه ان تقتني قنية مؤبدة وحياة مخلدة فليفعل
والا فلا اعتداد بماله قنية فالكبير الهمة على الاطلاق من يتحرى الفضائل لا للجاه ولا للثروة ولا للذة
ولا للاستشعار نخوة واستعلاء على البرية بل يتحرى مصالح العباد شاكرا بذلك نعمة الله
ومتوخيا به مرضاته غير مكترث بقلة مساعديه ومصاحبيه فانه اذا عظم المطلوب
قل المساعد وطرق العلاء قليلة الايناس **الوفاء والغدر** الوفاء اخو الصدق
والعدل والغدر اخو الكذب والجور وذلك ان الوفاء صدق باللسان والفعل معا
والغدر كذب باللسان والفعل معا فان فيه مع الكذب نقض العهد والوفاء يختص بالانسان
فمن فقد فيه فقد انسلخ من الانسانية كالصدق وجعل الله العهد من الايمان وصيره قواما
لامور الناس فالناس مضطرون الى التعاون ولا يتم تعاونهم الا بمراعاة العهد والوفاء
ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش ولذلك عظم الله امره فقال اوفوا بعهدي
اوف بعهدكم وقال اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقيل في قوله وثيابك فطهر اي نزه نفسك
عن الغدر وقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
وعظم حال السموأل فيما التزم من الوفاء بدروع امرئ القيس ولقلة وجوده يكثر في الناس
وما ركنوا وما وجدنا لاكثرهم من عهد وضرب به المثل في العزة فقيل اعز من الوفاء قال الشاعر شعر
ابى الناس الا ذميم الفعال ... اذا جربوا وقبيح الكذب **المشاورة** المشاورة اشتقاقها
من شرت العسل اذا استخرجته وهي استنباط المرء الراي من غيره فيما يعرض من
مشكلات الامور ويكون ذلك في الامور الجزئية التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها
ونعم العون هي قال امير المؤمنين رضي الله عنه المشاورة حصن من الندامة وامن من
الملامة وقيل الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة فالراي
الواحد كالسحيل والرايان كالخيطين والثلاثة مرار لا يتنقض ولذلك قال الله عز وجل

بلغت

61

لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر وقد استحسن قول بشار اذا بلغ الراي المشورة فاستعن
بحزم نصيح او نصاحة حازم ... ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافي تابع للقوادم
لكن اعتبار من يجوز ان يعتمد مشاورته صعب جدا فانه يحتاج ان يكون صديقا امينا مجربا
جازما ناصحا رابط الجاش غير معجب بنفسه ولا متلون في رايه ولا كاذب في مقاله فمن كذب
بلسانه كذب رايه ويجب ان يكون فارغ القلب في وقت ما يستشار وقد احسن بشار حيث قال
شعر وما كل ذي لب بموتيك نصحه ... وما كل موت نصحه بلبيب **النصح** اصله من
نصحت الثوب اذا خطته وهو اخلاص المحبة لغيره في اظهار ما فيه صلاحه وهو دون المودة
المختصة بالفضيلة ودون محبة النفع واللذة وقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم امره فقال الدين النصيحة
فقيل لمن يا رسول الله فقال لله ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فبين صلى الله عليه وسلم ان
النصح واجب لكافة الناس وذلك بان يتحرى مصلحتهم في جميع امورهم بقدر وسعه واول
النصح ان ينصح الانسان نفسه فمن غشها فقلما ينصح غيره وحق من استنصح ان يبذل غاية
النصح وان كان ذلك في شيء يضره ويتحرى فيه قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم وقال واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال ابن عباس رضي الله عنه
لا يزال الرجل يزداد في صحة رايه ما نصح لمستشيره فاذا غشه سلبه الله صحة رايه ولا يلتفتن
الى من قال اذا نصحت الرجل فلم يقبل منك فتقرب الى الله بغشه فذلك قول القائل الشيطان
على لسانه اللهم الا ان يريد بغشه السكوت عنه فقد قيل كثرة النصيحة تورث الظنة ومعرفة
الناصح من الغاش المتنصح صعب جدا فان الانسان لمكره يصعب الاطلاع على سره اذ هو يبدي
خلاف ما يخفي وليس كالحيوانات التي يمكن ان يطلع على طبائعها **كتمان السر** السر
ضربان احدهما ما يلقى الى الانسان من حديث يستكتم وذلك اما لفظا كقولك لغيرك اكتم
ما اقول لك واما حالا وهو ان يتحرى القائل حال انفراده فيما يورده او يخفض صوته او يخفيه
عن مجالسيه ولهذا قيل اذا حدثك انسان بحديث فالتفت فهو امانة والثاني ان يكون حديثا

في نفسك مما يستقبح اشاعته او شيئا تريد فعله والى الاول من ذلك اشار النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله من اتى منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله والى الثاني اشار من قال
من وهن الامر اعلانه قبل احكامه وكتمان النوع الاول من الوفاء وهو من خواص عامة الناس وهي له
والثاني من الحزم والاحتياط وهو من خواص الملوك واصحاب السياسات واذاعة السر
من قلة الصبر وضيق الصدر ويوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان والسبب
في انه يصعب كتمان السر هو ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوق الى
الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار ما عندها لما اتاك بالاخبار من لم تزوده
فصارت هذه القوة متشوقة الى فعلها الخاص بها فعلى الانسان ان يمسكها ولا يطلقها الا
حيث ما يجب اطلاقها ولا يخدعنك عن سرك قول من قال شعر والكتم السر فيه ضربة العنق
وقول من ينشد كل شعر ويكاتم الاسرار حتى انه ليصونها عن ان تمر بباله
فذلك قول من يستفز كل ما في قلبك فاذا استفرغ ما عندك لم يرع فيه حقك فقد قيل
الصبر على القبض على الجمر ايسر من الصبر على كتمان السر وما احسن من انبأ عن حقيقة
حاله حيث قال لصديق له ما اريد ان ارى قلبي بنجواك واجعل صدري خزانة شكواك
فيثقلني ما اثقلك ويؤرقني ما ارقك فتبيت بانفاسك مستريحا وابيت بقلبي بحره
جريحا وقيل اكثر ما يستنزل الانسان عن سره في ثلاثة مواضع عند اضطجاعه على فراشه
وعند خلوته بعرسه وفي حال سكره ومن حق من يسار غيره ان يجتنب المحافل لامرين
احدهما ان يسابه الظن فيه ايقول قد اغتابني وذا يستريب وذا يتهم والثاني ربما يتبع
بالفحص على مراده ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان
دون الاول

التواضع والكبر

التواضع اشتقاقه من الضعة وهو رضا الانسان
بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته وفضيلته لا تكاد يظهر في افناء الناس
لاختلاط درجتهم وانما ذلك يتبين في الملوك واجلة الناس وعلمائهم وهو من باب

افشي اليك سر الحفظه على وهلك لا اريد ان صح

فيطلع

الثالث صح

المتفضل
لانه ترك بعض حقه وهو من الكبر والضعة والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري
به لتضييع حقه والكبر رفع نفسه فوق قدره والفرق بين التواضع والخشوع ان التواضع
يقال فيما بين رفيع ووضيع وايضا فالتواضع يعتبر بالاخلاق والافعال الظاهرة والبا طنة
والخشوع يقال باعتبار افعال الجوارح ولذلك قيل اذا تواضع القلب خشعت الجوارح
وقال الله تعالى خاشعة ابصارهم وقال خشعت الاصوات للرحمن وقد عظم النبي صلى الله عليه وسلم
التواضع فقال طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وقيل
لبزرجمهر هل تعرف نعمة لا يحسد عليها صاحبها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه فقال نعم اما النعمة
فالتواضع واما البلاء فالكبر وقال بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل احمد عند
الحكماء من الكبر مع الادب والسخاء فانبل بحسنة غطت على سيئتين واقبح بسيئة
غطت على حسنتين والكبر ظن الانسان بنفسه انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره لذلك
وهذه صفة لا يستحقها الا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين فهو فيها كاذب ولذلك
صار مدحا في الباري عز وجل وذما في البشر وانما شرف المخلوقين في اظهار العبودية
كما قال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون تنبيها ان ذلك لهم
رفعة لا ضعة والمتكبر والضرع كلاهما جاهلان لكن الضرع غبي والمتكبر غبي احمق و
شتان ما بينهما فالغبي قد يتأدب والاحمق لا سبيل الى تاديبه ولان الضرع قد ترك ماله
والمتكبر ادعى ما ليس له وشتان ما بين المنزلتين ولان الكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب
من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل رأس الانسلاخ من الانسانية ومن الكبر الامتناع من قبول الحق
ولذلك عظم الله امره فقال ان الله لا يحب المتكبرين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وقال
اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله على
كل قلب متكبر جبار وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن
نازعني واحدا منهما قذفته في نار جهنم ونبه تعالى على مبلغ فعله احسن تنبيه فقال ولا تمش في الارض

طنة

قليل الفطن

مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك الاية واقبح كبر من الناس ما كان عن
بخل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل والكبر وليستحسن قول الشاعر

شعر
جمعت امرين ضاع الحزم بينهما ... تيه الملوك وافعال المماليك

ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره ومن تفكر في تركيب ذاته تعرف مبداه
ومنتهاه واوساطه عرف نقصه ورفض كبره وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر وقوله
قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره وقوله انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه والى هذا المعنى نظر مطرف بن عبد الله بن الشخير
لما قال ليزيد بن المهلب اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك
متحمل العذرة واخذ من ذلك الشاعر شعر كيف يزهو من رجيعه ... ابد الدهر ضجيعه
وقال الاخر يا مزهوا بالمهد بالمخرج لم لا تتواضع فمن كان تكبره لغنية فليعلم ان ذلك ظل زائل
وعارية مستردة والاستطالة اظهار الطول فمن اظهر ذلك من غير طول فيتسلخ عن الانسانية
ومن اظهر مع الطول فقد ضيع طوله والصلف يقال اعتبارا بالميل في عنقه والصعر للميل في خده
ولذلك استعمل في الراس نحو قوله تعالى لووا رؤوسهم والبأو استعصاء النفس بالترفع عن الانقياد
للواجب والخيلاء ان يظن بنفسه ما ليس فيها من قولهم خيلت ولتصور هذا المعنى قال حكيم العجاب
المرء بنفسه ان يظن بها ما ليس فيها من ضعف قوة ينظر ويدر بها والزهو الاستخفاف من الفرح
بنفسه فاما العزة فالترفع بالنفس عما يلحقه غضاضة واصلها من العزاز وهو الارض الصلبة
فالمتعزز حصل في عزاز لا يلحقه فيه غضاضة كالمتظلف في ظلف من الارض لا يلحقه فيها
مذلة والعزة منزلة شريفة وهي نتيجة معرفة الانسان بنفسه واكرامها عن الضراعة للاغراض
الدنيوية كما ان الكبر نتيجة جهل الانسان بنفسه وانزالها فوق منزلتها وكثيرا ما يتصور
احدهما بصورة الاخر كتصور التواضع والضرع والتذلل بصورة واحدة وتصور الاسراف

بصورة الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن لمن قال ما اعظمك في نفسك قال لست بعظيم
ولكني عزيز وقد قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمومن
ان يذل نفسه ولما قالوا التكبر على الاغنياء تواضع تنبيها ان هذا التكبر في الحقيقة عزة نفس
ولاجل ان هذا التكبر غير مذموم قال الله تعالى يتكبرون في الارض بغير الحق فشرط غير الحق وقال
ابن مسعود من خضع لغني ووضع نفسه عنده طمعا فيه ذهب ثلثا مروته وشطر دينه الفخر
المباهاة بالاشياء الخارجة عن الانسان وذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله وانحسر عنه
قناع جهله فاعراض الدنيا عارية مستردة لا يؤمن في كل ساعة ان تسترجع والمباهي بها
مباه بغير ثراه متبجح بما في بطن سواه كالفاخر بحدج دابته بل هو دون ذلك فقد قال
بعض الحكماء للمفتخر بشارته ان افتخرت بفرس فالحسن والفراهة له دونك وان افتخرت بثياب
وآلة فالجمال لها دونك وان افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الاشياء
لقالت هذه محاسننا فما لك من الحسن وايضا فالاعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع
وظل زائل عن قليل يضمحل كما قال الشاعر شعر انما الدنيا كرؤيا افرحت
من رآها ساعة ثم انقضت بل كما قال الله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس
فان افتخرت فافتخر بمعنى فيك غير خارج عنك واذا اعجبك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه
او بقاءك وزواله او فناءكما جميعا واذا راقك ما هو لك فانظر الى قرب خروجه من يدك وبعد
رجوعه اليك وطول حسابك عليه ان كنت تومن بالله واليوم الاخر وقد ذم الله الفخر فقال ان
الله لا يحب كل مختال فخور العجب ظن الانسان بنفسه منزلة هو غير مستحق لها ولهذا قال
اعرابي لرجل راه معجبا بنفسه يسرني ان اكون عند الناس مثلك في نفسك واكون في نفسي مثلك
عند الناس وتمنى حقيقة ما يقدره المخاطب ورأى ان ذلك لا يتم حسنه متى عرف بعيوب نفسه

وقيل للحسن من شر الناس قال من يرى انه خيرهم وقال بعضهم الكاذب في نهاية البعد
من الفضل والمرائي اسوأ حالا من الكاذب لانه يكذب بفعله وقوله والمعجب اسوأ حالا منهما
فانهما يريان نقص نفسهما ويريدان اخفاءه والمعجب عمي عن مساوي نفسه فيراها محاسن
ويبديها ولان المرائي والكاذب قد ينتفع بهما كملاح خاف ركابه الغرق من مكان في
البحر فبشرهم بمجاوزته قبل ان جاوزه لئلا يضطربوا خوف الغرق فيؤدي ذلك بهم
الى العطب وقد يحمد ريا الرئيس اذا قصد ان يقتدى به في فعل الخير والمعجب لا حظ له في
ذلك بوجه ولانك اذا وعظت المرائي والكاذب فنفسهما تصدقك وتبكتهما لمعرفتهما بنقصهما
والمعجب لجهله بنقيصته يظنك في وعظه ملغيا فلا ينتفع بمقالك واياه قصد تعالى بقوله
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ثم قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات تنبيها انهم لا يعقلون
لاعجابهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال
ابليس اذا ظفرت بابن آدم بثلث لا اطالبه واستكثر عمله ونسي ذنوبه وكما ان المعجب
بفرسه وان كان رديا لا يروم ان يستبدل بغيره كذلك المعجب لا يريد بحاله وان كانت ردية
بدلا واصل الاعجاب من حب الانسان نفسه وقال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ومن عمي
وصم تعذر عليه رؤية عيوبه وسماعها فيجب علينا ان نجعل على انفسنا عيونا تعرفنا
عيوبنا فيحق ما قال عمر رضي الله عنه رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي ويجب للانسان اذا
رأى من غيره سيئة ان يرجع الى نفسه فان رأى ذلك منها نزعها ولا يغفل عنها فمن جهلت
نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى والتيه قريب من العجب لكن المعجب يصدق نفسه
فيما يظن بها وهما والتياه يصدقها قطعا كانه متحير في تيه

انواع اللذات وتفاضيلها

اللذة ادراك المشتهى والشهوة انبعاث النفس لنيل ما تشتاقه وهي ثلث بحسب القوى الثلث
وبحسب المقتنيات الثلث لذة عقلية وهي التي يختص الانسان بها كلذة العلم والحكمة
ولذة بدنية يشارك فيها الانسان جميع الحيوان كلذة المأكل والمشرب والمنكح ولذة مشتركة

بغيرها اذا أعجب بنفسه صح

بين الانسان وبعض الحيوان كلذة الرياسة والغلبة واشرفها واقلها وجودا اللذة العقلية
فشرفها انها لا تمل ولا يتبدل لكن لا يعرفها الا من يختص بها فالحكمة لا يستلذها الا الحكيم وادون
وادون اللذات منزلة واكثرها وجودا اللذة البدنية وكل حيوان يتشوقها لكنها
تقل تارة وتزداد تارة وهي من وجه مداواة من الالم ومن وجه هي آلام وعلى هذا قال الحسن في
وصف الانسان صريع جوع وقتيل شبع وجميع اللذات تنقسم عشرة اقسام مأكل ومشرب ومنكح
وملبس ومشم ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الالات وما يشبهها
وقد يجعل ذلك سبعة فادخل المركب والخادم والمرفق وما يجري مجراه داخلا في جملة المبصرات
وعلى ذلك ما روي عن امير المؤمنين رضي الله عنه حيث قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس فقال يا عمار
علام تتنفس ان كان على الاخرة فقد ربحت تجارتك وان كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك فاني وجدت
لذاتها سبعة المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمشمومات والمسموعات والمبصرات
فاما المأكولات فافضلها العسل وهو مضغة ذباب واما المشروبات فافضلها الماء وهو مباح
اهون موجود واعز مفقود واما المنكوحات فمبال في مبال وحسبك ان المرأة تزين
احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها واما الملبوسات فافضلها الديباج وهو نسج دودة واما
المشمومات فافضلها المسك وهو دم ظبية واما المسموعات فترجع مائية في الهواء واما
المبصرات فخيالات صائرة الى الفناء وقد ذكر الله تعالى اصل ذلك في قوله زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب والمشار اليه بحرث الدنيا هذه الاشياء
السبعة على ما ذكره امير المؤمنين كرم الله وجهه والعشرة على ما ذكر غيره وكلا القولين في التحصيل
واحد والمراد بالنساء اقتناؤهن والاستكثار منهن وبالبنين الذكور من الاولاد والحفدة
والخدم وبالانعام الازواج الثمانية وبالخيل المسومة السائمة منها والمستعدة واعلم ان التي هي
ضرورية للانسان من هذه اللذات لا تلم في هذه الدنيا الا بما هو مشترك بينه وبين جنسه
التي

بالنكاح بقآ

من الحيوانات الماكل والمشرب وجمعهما اسم الغذاء والمنكح فبالغذاء بقآء الاشخاص
الانواع ولذلك صارت الحاجة اليهما ضرورية وصار تناولها لابد للناس منه وساير اللذات
مخصوص بها الانسان وليس بضرورية لذويتناوله بتكره ويانفها الملوك من هذه الملاذ
الا اثنين السماع لكونه من وجه لذة روحانية والبنآ لكونه دالا على الهمة الرفيعة
ومتى كانت الشهوة متناهية عقلية كانت لم بدنيه يقال لها الحرص فالحرص قد يكون
محمودا ولذلك قال الله تعالى حريص عليكم بالمومنين روف رحيم ومتى كانت الشهوة للعقنيات
قيل لها الشره سوآ كان مالا او طعاما او نكاحا ومتى كانت للطعام قيل لها النهم واذا كانت
للنكاح قيل لها الشبق وثلاثتها اعني الشره والنهم والشبق مذمومة ومارُوي من قوله
منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم فالنهم في العلم استعارة وهو ان يحمل على نفسه
ما يقصر قوا عنه فينبت وقال صلى الله عليه وسلم ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى قال صلى
الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فالمراد من المنبت المنقطع في السفر عن اصحابه والمراد من الظهر
الدابة وانما قال لرجل اجتهد في الدين حتى غرق عيناه **فما يحسن تناوله من**
المطعم وما يقبح منه الغذاء نوعان احدهما ما لا يستغنى عنه في قوام البدن كالطعام
الذي به يتغذى والمآ الذي به يروى والانسان اذا تناول من ذلك بقدر ما لا يمكن التبلغ
باقل منه على ما يجب وكما يجب فهو معذور ومأجور وعلى هذا ما روي عند اكل الصالحين تنزل
الرحمة وحقه ان يتناول تناول مضطر عالم بقذارة ما له وان يرى ادخاله في نفسه كادخال
المستراح ويتحقق ان نسبة الانسان الى الفواكه والثمار نسبة الجعل الى الروث فلو
نطق الشجر لقال لك انك تاكل فضلاتي كما تاكل الجعل فضلاتك فالخنزير اذا استطاب
لفاظة الانسان فما هو الا كاستطابتنا لفاظة الشجر وبهذا تعلم ان شرف المطعم
والمشرب بالاضافة لا بالاطلاق فالتوقي بالانسان من تناكيل الدنيا وجل البصيرة واستعمل

الاعتبار

بل منكور

الاعتبار تجد صدق ما قلت ومن تناول من الطعام والشراب اكثر من ذلك كره طبا وشرعا
اما طبا فان الدآء الكثير ما تراه يكون من الطعام والشراب وقال صلى الله عليه وسلم البطنة
اصل الدآء والحمية اصل الدوآء وعود كل بدن ما اعتاد وقال ابن زكريا المتطبب
ما ترك صلى الله عليه وسلم في الطب شيئا الا اتى به في هذه الكلمات واما شرعا فقد قال
صلى الله عليه وسلم ما من وعآ ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال وذاك ان امتلاء البطن
مقو للشهوة ويتقوى بها الشهوة داعية الهوى والهوى اعظم جند الشيطان ومن اشربوا
في بدنه حل كل عضو منه جزوا بقدر وسعه امكن جنود الشيطان والشيطان
اذا تسلط على الانسان سلبه عن دينه وصرفه عن بابه وقيل لحكيم ما بالك مع كبرك لا
تنتقل بدنك وقد انهكته فقال انه سريع المرح فاخشى ان يشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني
ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش والضرب الثاني من المطعم ما
يستغنى عنه ولو توهمناه مفتقدا لم يختل بافتقاده البدن واعظمها ضررا المسكر فتنعه
ليس بضروري وتناوله تسهيل الطريق للشيطان الى تهييج القوة الشعبية واثارة سلطان
الهوى كما قال الله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء قيل حبب الشراب في الخمر والميسر
واللهو لا يسكن الحكمة والعفة فان قيل قد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق فلم يخص من الحلال قدرا دون قدر وجنسا دون
جنس قيل الطيب التام الطيب هو الذي جمع اللذة والنفع والفضلة وذلك هو قدر
التبلغ به على ما يجب وكما يجب الا ترى انه كيف ذم من لم يكن ذلك فصله فقال ذرهم ياكلوا و
يتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام
والنار مثوى لهم ومن الدليل على خسته كثرة الاكل ادعا عامة الناس الاستغنا بالقليل وقلة
وجود المفتخر بكثرة الاكل وقيل من همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه وقد
استحسن قول الشاعر **شعر** وانك مهما تعط بطنك سوله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

لان صح
تنتشر
هوادى
شباه

وقال صلى الله عليه وسلم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس

وقال المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا فنبه بهذين الخبرين انه

لا يستحب للانسان ان ياكل الى شبع بطنه وهو ما ذكره من اللقيمات وذلك دون عشر لقم

لان الجمع بالالف والتاء لما دون العشرة ثم رخص لمن غلب عليه النهم ان يبلغ الى ثلث بطنه فيحصل

من ذلك ان اكل المومن في اليوم يجب ان يكون شبع بطنه او ثلثه ما يحسن تعاطيه من

النكاح وما يقبح منه قد تقدم ان النكاح ضروري في حفظ النسل وبقا النوع كما ان

الغذا ضروري في حفظ الشخص ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا وقال خير

النسا الودود الولود وشرها العقيم وقال تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم

الامم وقال سودا ولود خير من حسنا عقيم ولقصد النسل حظرا اتيان المراة في محاشها

وعلى هذا نبه قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم فنبه انه لا يجوز الاتيان الا من حيث

المحرث وكره العزل تاكيدا للمقصود من الولد وذلك قوله وابتغوا ما كتب الله لكم وتحري النكاح

على ضربين احدهما على الوجه الذي سنه الشرع وذلك اما محمود وهو ان يتعاطاه فاصدا به

النسل او مزيلا به ما يجب ان يزيله ومسكنا لنفسه فان الما اذا اجتمع في مقره يجري مجرى

مدة في قيح جم يعظم ضرر حبسه ويدعو صاحبه الى ما هو في الشرع محرم واما مكروه طبا

وان لم يكن مكروه شرعا وذلك ان يتعاطاه المرء فضلا عما تقدم ذكره فانه ينقص العمر

ويستنفد القوى ويوسع اوعية المني ويجلب اليه دما كثيرا ويزيده شهوة واعظم فايدة فيه

ان يلحق صاحبه بانقص البهايم من التيوس والثيران وغيرهما مما يوصف بالشبق والقرب

الثاني هو ان يكون على غير الوجه المشروع وذلك ضربان احدهما تعاطيه في المحرث لكن لا على

الوجه الذي يجب وذلك كالزنا وقد عظم الله امره فقرنه مرة بالشرك فقال الزاني لا

ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ومرة قرنه بالشرك وقتل

النفس المحرمة فقال والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا

بالحق ولا يزنون لانه ونسمي ذلك سفاحا من حيث ان المجتمعين عليه ليس لا غرض لهما

سوى سفح الما للشهوة كمن ضيع ما في غير محرثه والثاني تعاطيه في غير المحرث كاللواطة

وهي اعظم من الزنا لان الزنا وضع البذر في المحرث على غير الوجه المامور به كمن يزرع

في ارض غيره او على غير الوجه الذي يجوز ان يزرع فيه ويهلك الحرث والنسل ولهذا وصف

قوم لوط بالاسراف فقال ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النسا بل انتم قوم مسرفون

واما العشق الشهوي فحماقة وجهل بما وضع لاجله الجماع وتجاوز لحد البهايم في عدم ملكة

النفس وخدم الهوى لان المتعشق لم يرض بارادة لذة الباه التي هي من اسمج الشهوات

حتى ارادها من موضع واحد فازداد بذلك عبودية على عبودية وذلا على ذلة والبهيمة

احسن حالا منه لانها اذا اسقطت الاذى عن نفسها بالسفاد سكنت وصارت الى

الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستعمل بها وانما اعطاه الله

العقل ليقمع به الشهوة القبيحة لا ليجعله خادما وساعيا في جمعها وتعاطي العشق حال كل

جاهل فارغ سيما اذا نظر في اخبار العشاق وجالسهم وربما يودي الحال بالعاشق الى الدق

والذبول الى الموت قال الشاعر شعر لو يكن العاشق في منتهى معشوقه قصر عن عشقه

ومن اثار شهوته فهو كمن اثار بهايم عادية وسباعا ضارية ثم يلتمس دفاعها والخلاص

منها وكفى بما يحتاج من دفع الطبيعة عن اثارته بالفكر والروية فنزاعا في الطبيعة

على ذلك فهو كما قيل كلما انت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا وقال حكيم

لتلميذ له يهوى جارية هل تشك في ان لا بد ان يفارقها يوما ما فقال لا قال فاجعل تلك

المرارة المتجرعة في ذلك اليوم في يومك هذا واربح ما بينهما من الخوف المنتظر وصعوبة

معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الالف اليه وقيل لبعض الحكما ما العشق فقال جنون

لا يوجر صاحبه عليه وسئل آخر عنه فقال مرض نفس فارغة لا همة لها وقال آخر سو اختيار

صادف نفسا فارغة فاشار كلهم الى معنى واحد العشق لا يعلق الا بالهوى الشهوية

ولا تعلق من القوى الشهوية الا بالملاذ الحيوانية وهي المتعلقة بالغاذين البطن
والفرج دون الالوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة فان قيل فاستطابة
الرائحة قد يكون للبهائم الا ترى ان الذئب يستطيب ريح الغنم والكلب يستطيب
ريح الارنب قيل ان استطابتهما لذلك انما هو استطابة للاكل والذي قلناه من الرائحة
هو ما يستطاب لذاته لا لاجل غيره وما هو لاجل احد الغاذين فحكمه حكمهما كاستطابة الانسان
ريح السكباج فثبت ان العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية وهي حالة متوسطة
بين افراط هو الشره وتفريط هو جمود الشهوة وهي اس الفضائل من القناعة والزهد جمود له
وغنى النفس والسخاء وعدمها يعفي على جميع المحاسن ويعري عن لبوس المحامد ومن
اتسم بسمة العفة فاسر العفة له بحجته ما سواها من الفضائل وسهلت له سبيل الوصول الى
المحاسن واسها يتعلق بضبط القلب عن تطلع الشهوات البدنية وعن اعتقاد ما يكون
جالبا للبغي والعدوان وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح فمن لا عفة القلب يكون منه التمني عدم
وسوء الظن اللذان هما اس كل رذيلة لان من تمنى ما في يد غيره حسده واذا حسده
عاداه واذا عاداه نازعه واذا نازعه ربما قتله ومن اساء الظن عادى وبغى وتعدى
ولذلك نهى الله عنهما جميعا فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال يا ايها
الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فالسر فيهما يقطع اصل شجرتين تقلع لم
تتفرع عنهما جل الرذائل والمآثم ولا يكون تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان الانسان
والسمع والبصر فمن عدمها في اللسان السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة
والتنابز بالالقاب ومن عدمها في البصر مد العين في المحارم وزينة الحياة الدنيا والتحسس له
المولدة للشهوات الردية ومن عدمها في السمع الاصغاء الى المسموعات القبيحة وعماد عفة
الجوارح كلها ان لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها الا فيما سوغه
العقل والشرع دون الشهوة والهوى واعلم انه لا يكون تعفف عن الشيء انتظارا لاكثر منه او انه

المتعفف عفيفا الا
لفرط زهوان لا
يكونم

لا يوافقه

لا يوافقه او لجمود شهوته او لاستشعار خوف عاقبته او لانه ممنوع من تناوله او لانه
غير عارف به لقصوره فان ذلك كله ليس بعفة بل انما هو اصطبار او تطبب او مرض
او خرم او عجز او جهل وترك ضبط النفس عن الشهوة اذم من تركها عن الغضب فالشهوة مغتالة النفس
مخادعة والغضب مغالب مكابر والمتحرز عن قتال المخادع اردى حالا من المتحرز عن قتال المغالب
ولهذا قيل عبد الشهوة اذل من عبد الرق وايضا فالشره قد يجهل عيبه فهو شبيه بمدينة
له سنة ردية واهلها يدعون صحتها ومن لا يضبط نفسه لا يكاد يجهل عيبه فهو شبيه بمدينة للغضب
لهم سنة ردية يتعاطونها وهم يعرفون قبحها وليس من تعاطى قبيحا يعرفه كمن تعاطاه وهو يظنه
حسنا **القناعة والزهد** القناعة الرضى بما دون الكفاية والزهد الاقتصار على
الزهيد اي القليل وهما يتقاربان لكن القناعة يقال اعتبارا برضى النفس والزهد يقال
اعتبارا بالمتناول لحظ النفس وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد لا زهد ولذلك قال
بعض الصوفية القناعة اول الزهد تنبيها ان الانسان يحتاج اولا الى قدع نفسه والتخصص
بالقناعة ليسهل عليه تعاطي الزهد فالقناعة هي الغنى في الحقيقة فالناس كلهم فقراء من وجهين
احدهما لافتقارهم الى الله عز وجل كما قال يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله الاية والثاني لكثرة
حاجتهم فاغناهم اقلهم حاجة ومن سد مفاقره بالمقتنيات فما لها انسداد لها طمع
فانه كمن يرقع الخرق بالخرق ويسد الفقر بالفقر ومن سدها بالاستغناء عنها بقدر وسعه
والاقتصار على قدر ضروراته فهو الغني والمقرب الى الله كما اشار اليه تعالى فيما حكى عن طالوت
ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده
فشربوا منه الا قليلا منهم ولان الغنى هو عدم الحاجة فاغناهم اقلهم حاجة ولذلك كان الله
عز وجل اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شيء وعلى هذا دل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ليس الغنى بكثرة العرض الغنى
وانما الغنى غنى النفس ومن ابيات الحكمة غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة
فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا والمتحير بين ان يستغني عن الدنيا وبين ان يستغني بها

كالمخيّرين ان يكون مالكاً او مملوكاً وقوياً او ضعيفاً ومعافىً او مبتلىً وحياً او ميتاً
فمن اختار الاستغناء بها فقد اختار ان يكون مملوكاً وضعيفاً ومبتلىً وميتاً ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار وقيل لحكيم لم لا تغتمّ قال لاني لم اتخذ
ما يغمّني واعلم انه ليس الزهد من ترك المكاسب في شيء كما توهّم قوم افرطوا حتى خرجوا من
مذهب المانوية والبراهمة والرهابنة فان ذلك يؤدي الى خراب العالم ومضادة
الله فيما قدّره ودبّره وقد تقدم ذلك فالزهد من وجه صبر ومن وجه جود فالجود ضربان
جود بما في يدك متبرعاً وجود عما في يد غيرك متورعاً وذلك اشرفهما ولا يحصل الزهد
في الحقيقة الا لمن يعرف الدنيا ما هي ويعرف عيوبها وآفاتها ويتحقق ما يستغنى عنها
ويعرف الآخرة وافتقاره اليها ولاجل ان لا بد في ذلك من العلم قال الله تعالى قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقّيها الا الصابرون ولان
الزاهد في الدنيا راغب في الآخرة وهو يبيعها بها كما قال الله تعالى ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وما كان ان يبيع كيّس عيناً باثر الا اذا عرف فضل
المبتاع على المبيع وقيل لبعض الزهاد ما ازهدك واصبرك فقال اما زهدي فرغبة فيما
هو اعظم مما انت فيه واما صبري فلجزعي من النار الورع اصله جبن وضعف وقد يستعمل
في كل واحد منهما لكن جعل في عرف الشرع للتكلف التورع الى تناول اعراض الدنيا وذلك
على ثلاثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف عن
الشبهات وذلك للاوساط وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل
الضروريات وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد
من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به الباس وقال باعتبار الترك الثاني في الدعا
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما اشد الورع فقال صلى الله عليه وسلم ما ايسر الورع اذا ارابك شيء فدعه

الفصل الرابع فيما يتعلق بالغضب مما ينبع من القوى الغضبية الحمية
وهي قوة الغضب متى تحركت تحرك دم القلب فيتولد منه ثلاثة احوال وذلك انها اما ان
يتحرك على من فوقه او على من دونه او على نظيره فان كان ذلك على من فوقه ممن يظن انه
لا سبيل له الى الانتقام منه تولد منه انقباض دم الجزع عن ظاهر الجلد واجتماعه
في القلب وذلك هو الحزن وان كان على من دونه تولد منه ثوران دم القلب ارادة للانتقام
وذلك هو الغضب وان كان على نظيره ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد منه
تردد الدم من انقباض وانبساط وذلك هو الوتر والحقد ويكون الغم والغضب بالذات
واحدا واختلافهما بالاضافة ولما سئل ابن عباس عنهما قال مخرجهما واحد واللفظ مختلف
فمن نازع من يقوى عليه اظهره غضباً ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً ومن هذا قال الشاعر
شعر
فحزن كل اخي حزن اخو الغضب
ولانبساط دم الحقد تحمرّ تارة وجهه وتنتفخ اوداجه كنار تلتهب ويسود تارة وجهه وذلك اذا اكثر واشتد غضبه كنار في غار فيسود وجوه
ولانقباض دم الجزع عن ظاهر الجلد واجتماعه في القلب يصفر وجهه حتى ربما يهلك من ذلك
ولتردد دم الحقد بين هذه الاحوال تحمر ويصفر ويسود والحرد هو الغضب ولكن يستعمل اذا
كان معه قصد المغضوب عليه ولذلك يقال حرد حرداً اسد انواع الصبر
الصبر ضربان جسمي ونفسي فالجسمي هو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية ونهايته معلومة
والاكثر ما للذي الجسوم الخشنة وليس بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر شعر
والصبر بالارواح يعرف فضله
صبر الملوك وليس بالاجسام
وذلك بالفعل كالمشي ورفع الحجر وفي الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع والثاني نفسي وبه يتعلق
الفضيلة وذلك ضربان صبر عن تناول مشتهى ويقال له العفة وصبر على تحمل مكروه او محبوب فوته
وذلك تختلف اسماؤه بحسب اختلاف مواقعه فان كان ذلك في نزول مصيبة فانه
لم يتعد به اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع والحزن وان كان في احتمال الغنى فقد سمي ضبط

النفس ويضاده الذعر والبطر وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان
في امساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة مضجرة سمي سعة
الصدر ويضاده ضيق الصدر والضجر والتبرم وان كان في امساك كلام في الضمير سمي
كتمان السر ويضاده الافشاء وان كان عن فضولات العيش سمي قناعة وزهدا ويضاده
الحرص والشره ولكون الصبر عاما قال الله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فذكر انهم يصبرون في البأساء اي في الفقر
والضراء اي في المصيبة وحين البأس اي المحاربة وقال بعضهم ضبط النفس عن الاشياء
الملذة والصبر عن الاشياء المحزنة وقال بعضهم بل هما من الاسماء المترادفة على معنى
واحد ان قيل ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان قيل لما كان جميع المحامد
ضربين ترك الشر ويعبر عنه بالصبر وفعل الخير ويعبر عنه بالشكر صار الصبر الذي هو ترك
الشر نصف الايمان

الشجاعة

الشجاعة ان اعتبرت وهي في النفس فصرامة القلب
على الاهوال وربط الجاش في المخاوف وان اعتبرت بالفعل فالاقدام على موضع الفرصة
وهي فضيلة بين التهور والجبن وتولدها من الغضب والفزع اذا كانا متوسطين فان
الغضب قد يكون مفرطا كمن يحتدم سريعا من اشياء صغيرة وقد يكون مفرطا كمن لا يغضب
من الافتراء على حرمه وشتم ابيه وامه وقد يكون متوسطا على ما يجب وكذلك الفزع يكون
مفرطا فيتولد منه الجبن الهالع ومفرطا فيتولد منه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من
شتم آبائه وتضييع حرمه واضداد فائه وقد يكون متوسطا كما يجب وقدر ما يجب ولكونهما اي
الغضب والفزع على حالين محمود ومذموم صار الجهال تارة يذمانهما تارة وتارة اخرى فان الغضب في
نحو قوله تعالى وغضب الله عليهم والفزع في نحو قول الشاعر افزعت لظلمة بما محمودان
والتهور هو الثبات المذموم في الامور المعطبة والجبن هو الفزع المذموم من الامور المعطبة
وانواع الشجاعة خمسة سبعية كمن اقدم لثوران غضب وتطلب غلبة وبهيمية كمن حارب توصلا

عن قضاء ص

اى ص

في وقت ما يجب ص

اذا ظلم المولى

الى مغنم ومأكل وتجربية كمن حارب مرارا فظفر فجعل ذلك اصلا يبني عليه وجهادية كمن حارب
ذبا عن الدين وحكمية وهي ما يكون في كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة بقدر
ما يجب وعلى ما يجب الا ترى انه يحمد من اقدم على كافر غضبا للدين لله او طمعا في ثوابه او خوفا
من عقابه واعتمادا على ما راى من انجاز الله وعده في نصرة اوليائه فان كل ذلك محمود وان
كان محض الشجاعة ان لا يقصد بالاقدام حوز ثواب ودفع عقاب فقد قيل من عبد الله بعوض حرزي
فهو لئيم والفرق بين المقدم في الحرب لمحض الحكمة واخلاص الدين وبين المقدم لغير
ذلك ان المقدم لغير الحكمة ولا اخلاص يخاف الموت اكثر مما يخاف المذمة الصادقة والمقدم
للحكمة والاخلاص بالضد من ذلك فانه يختار الموت الحميد على الحياة الذميمة ولذلك قال
امير المؤمنين كرم الله وجهه ايها الناس ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة
بالسيف اهون من ميتة على فراش ومن الشجاعة المحمودة مجاهدة الانسان نفسه او غيره وكل واحد
منهما ضربان مجاهدة النفس بالقول وذلك بالتعلم وبالفعل وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية
ومجاهدة الغير بالقول وذلك تزيين الحق وتعليمه وبالفعل وذلك بدفع الباطل ومتعاطيه
بالحرب

الفزع والجزع والفرق وما يقرب منها

الفزع والجزع اخوان لكن
الفزع ما يعتري من الشيء المخيف والجزع ما يعتري من الشيء المؤلم والفزع لفظ عام سواء كان عارضا
عن امارة او دلالة او حاصلا لا عن ذلك ومتى كان ذلك من عار فهو الحياء والخجل ومتى كان عن شيء
يضر فهو الفرق والذعر ومتى كان ذلك لفقد محبوب فهو الاشفاق ولهذا قال تعالى حكاية عن اهل
الجنة انا كنا قبل في اهلنا مشفقين والخوف توقع مكروه عن امارة والخشية خوف يشوبه تعظيم
المخشي مع المعرفة به ولذلك قال تعالى من خشي الرحمن بالغيب والوجل استشعار عن خاطر غير ظاهر
ليس له امارة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة والرهبة خوف مع تحرز واضطراب
والتضمن للاحتراز قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون والهيبة رهبة جالبة للخضوع
عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل في كل محتشم قال الشاعر اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها

وهذه الاشيا قد تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد باعتبار الامور الاخروية قال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال واياي فارهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلما والخوف من الله ليس يشار به الى ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الانسان الرعب من الاسد وانما يشار به الى ما يقتضيه الخوف وهو الكف عن المعاصي ولذلك قيل لا تعدن خائفا من لا يترك الذنوب وقال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مومنين اي لا تفعلوا ما يقتضيه الخوف منه وافعلوا ما يقتضيه خوفي فان قيل كيف مدح المومن بالحزن والخوف مع قوله الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل اما الممدوح به فهو مقتضاهما وذلك باقامة العبادات واما المنفيان عنهم فهما اللذان يكونان من الاشرار

مداواة الغم والحزن ان الذي يخفف عن الانسان ان يعلم ان الدنيا جمة المصائب رنقة المشارب تثمر للبرية انواع البلية فهامع كل لقمة غصة ومع كل جرعة شرقة فهي عدوة محبوبة كما قال ابو نواس **شعر** اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق وكما روي عن الحسن عليه السلام انه قال ما مثلنا مع الدنيا الا كما قال الشاعر **شعر** اسيئي بنا او احسني لا ملولة لدينا ولا مقلية ان تقلت فما احد فيها الا وهو في كل حال غرض لاسهم ثلثة سهم بلية وسهم رزية وسهم منية **شعر** تناضله الآفات من كل جانب فتخطيه يوما ويوما تصيبه وقال بعض الحكما اسباب الحزن فقد محبوب او فوت مطلوب ولا يسلم منهما انسان لان الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد فمن احب ان يعيش هو واهله واحبابه فهو غير عاقل لانه يريد ان يملك ما لا يملك ويجد ما لا يوجد فحق المرء ان لا يخلي قلبه من اعتبار فيما يرى من ادبار الدنيا وادبارها من دبابها وحلول قوارعها باصحابها وما احسن ما قال ابن الرومي **شعر**

الم تر ان الدهر من قبل كونه ... مكافاحا اذا انكرت في الخلوات
فانك كالمرمي من مائن له ... بنبل اتته غير مرتقبات

فان

فان قلت مكروه اتانا فجاءة ... فما فجئت نفس مع الخطرات
وما عوفيت نفس ببلوى وقدرات ... عظات من الايام بعد عظات
اذا بغتت اشيا فقد كان مثلها ... قديما فلا تعتد بما بغتات

ثم من حقه ان يقلل من اقتنا ما تورثه الحزن فقد قيل لحكيم لم لا تغتم فقال اني لا اقتني ما يغمني فقده واخذ ذلك الشاعر **شعر** ومن سره ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيا يبالي له فقدا وقيل لحكيم هل يمكن للانسان ان يعيش آمنا قال نعم اذا احترس من الخطيئة وقنع بما هو له ولم يحزن لما وقع به لا محالة واعلم ان الجزع على ما فات لا يلم ما تشعث ولا يبرم ما انتكث كما قال **شعر** وهل جزع مجد علي فاجزعا واما غمه على المستقبل فلا يخلو من ثلثة اوجه اما من شي ممتنع كونه او واجب كونه او ممكن كونه فان كان على ما هو ممتنع كونه فليس ذلك من شان العاقل وكذلك ان كان من قبيل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب العباد وان كان ممكنا كونه فان كان من الممكن الذي لا سبيل الى دفاعه كامكان الموت قبل الهرم فالحزن له جهل واستجلاب غم الى غم وان كان من الممكن الذي يصح دفاعه فالوجه ان يتحرى لدفاعه بعقل غير مشوب بحزن فان دفعه والا يلقاه بصبر وليتحقق معنى قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكي لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم والله لا يحب كل مختال فخور فمن علم ان ما جرى في حكم وسبق في علمه لا سبيل الى ان يكون ما نت علم النوب واعلم ان الذي يغش الناس حسن ظنهم باغتسال الآفات واغترارهم حالة بعد حالة بصفا الاوقات فلو تاملوها بالبصيرة لتحققوا انها كما قال امير المومنين كرم الله وجهه ما قال الناس لقوم طوبى لكم الا وقد خبا لهم الدهر يوم سوء

ان الليالي لم تحسن الى احد ... الا اسات اليه بعد احسان

واما سبب الاغتمام بالموت فلا ينفك من اربعة اوجه اما الفوت شهوات بطنه وفرجه ولما على ما يخلفه من ماله ولما جهله بماله واما لما قدمه من عصيانه فان كان ذلك لشهوة بطنه وفرجه فليعلم ان ذلك كمشتهي داء ليتابل بداء مثله فان الانسان لا يستلذ الطعام حتى يجوع والجوع داء مهروب منه وشبعه داء مهروب منه فمثل من يحب

الجوع ليستطيب بعده الاكل كمن يستطيب القعود في الشمس لينال الحر ثم يستطيب القعود
في الظل ومحبة ذلك رقاعة لا تحمد ولا تعد وان كان غمه على ما يخلفه من ماله فذلك لجهله بخساسة
الحقيقة صح — الاغراض الدنيوية وكونها مجمع كل بلية وبنفاسة الاملاك التي وعد المتقون بها وان كان غمه
لجهله بما له عند الله العلم والمعرفة الحقيقية التي تريه حال مآل الانسان بعد الموت كما قال حارثة
للنبي صلى الله عليه وسلم كأني انظر الى عرش ربي بارزا وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون
فيها والى اهل النار يتعادون فيها وان كان خوفا لما كان من عصيانه فدواه المبادرة
بالتوبة وكفاه ان كان ذا بصيرة ما جعل الله اليه سبيلا من تلافي ما فرط منه
ووعد به التائبين احوال الناس عند الموت والاحتيال [illegible]
الناس في ذلك على ثلاثة اضرب الاول حكيم يعلم ان الحياة تسترقه والموت يعتقه وان
لمعت صح — الانسان في هذا العالم وان طال لبثه وهو كخطفة برق في اكناف السماء ثم عارض
للاختفاء وانه في دنياه كمبعوث الى ثغر يحوطه وبلد يسوسه يراعي ما استرعى
ويستزيد غاية اذا دعي ولا يتكاده خروجه منها الا بقدر ما يفوته من خدمة ربه
تعالى والازدياد من تقربه والاشفاق مما يقول ويقال له كما بعض الصالحين
وروي منه جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال جزعي ان اسلك طريقا
اره وكلام — لم اعهده واقدم على رب لم اره وما ادري ما اقول وما يقال لي والثاني رجل انس بهذا
العالم فالفه وان كرهه فسبيله سبيل من الف بيتا مظلما قذرا ولم ير غيره فهو
دخوله صح — يكره الخروج منه وان كان قد كرهه كما قال الشاعر دخلنا كارهين لها فلما
الفناها خرجنا مكرهينا وحب ما قيل وما حب البلاد بنا ولكن
امر العيش فرقة من هوينا ونحو ما قيل لو رضي الناس بارزاقهم رضاهم
باوطانهم لما شكا احد فهذا ان خرج عن دنياه واطلع على ما اعد للصالحين
مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر سر بخلاصه كما حكى الله عمن استقر به

القرار

القرار في جنات النعيم حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها لغوب والثالث رجل عمي — نصب ولا يمسنا فيها
البصيرة متلطخ السريرة بما ارتكبه من انواع الجرائر رضي بالحيوة الدنيا واطمان
اليها ويئس من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور فاذا اخرج منها الى دار الخلود
اضر به كما يضر رياح الورد بالجعل فاذا اخرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه
عالم العلى ومصاحبة الملأ الاعلى ومنادمة اولي العلى فيعمى كما قال الله تعالى ومن كان في
هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر واجدر بمن تربى في هذا العالم بغذائه من العلم والعمل الصالح ان لا يشتاق اليه بعد
خروجه منه وان خرج كارها كما لا يشتاق الى الرجوع الى بطن امه بعد الخروج منه ويدلك
على انه خرج من بطن امه كارها بكاؤه فقد قال بعض القدماء اول ما ينال الصبي
غمه عند سقوطه لما يضغطه من مضيق خروجه ويصيبه من الم الهواء فيتوجع والوجع
يورثه الغم والغم يحمله على البكاء وذكر ان للصبي كل ما يكون للحيوان غير النطق من اللذة
والالم والجوع والعطش ومن هذا اخذ ابن الرومي شعر لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد ... والا فما يبكيه منها وانه لافسح مما كان فيه وارغد
قال ابن عباس ما احد الا والموت خير له من الحيوة لان الله تعالى قال في الابرار وما عند
الله خير للابرار وقال في الاشرار انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل الصالح الصالح
اذا مات استراح من الدنيا والطالح اذا مات استراحت منه الدنيا وقال بعض الحكماء من قال
لغير مسائل الله من تقلب الايام وصروف الزمان فانه يدعو عليه بالموت فان الانسان لا
ينفك من ذلك الا بخروجه من دار الدنيا وقال بعض الصوفية حق ملك الموت ان يحبه
المسلم من بين الملائكة فضل محبة من حيث انه احد اسباب تعويضه الحياة السنية
الابدية من الحيوة الدنية ولهذا امرنا ان نقول في دعائنا اللهم صل على جبرئيل وميكائيل

الذي يقدم

وملك الموت فان جبرئيل وميكائيل مما سببان لانبائنا من ذلك العلم بانه خلاصنا من
دار الدنيا وملك الموت سبب اخراجنا من دار الدنيا فاذاً حقه عظيم وشكره لازم
وقد حكي ان قوما من الاوائل كانوا يعظمون اجلا بالتقديس والتسبيح له وقالوا
انه لا نغني على الحياة المرضية بل هو سبب انقاذنا من الدنيا الدنية وقال بعض
الاوائل في مناجاته الهي ان سالتك الحيوة في دار الممات فقد رغبت في البعد عنك لقاءه
وزهدت في القرب منك فقد قال نبيك وصفيك من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والموت دون لقاء الله وقال بعضهم ان كان في قلة
الحاجة الدنيوية غنى ففي انقطاع الحاجة كلها عنها الغنى الاكبر ولا انقطاع لها
الا بفناء الدنيا فالدنيا سبب ما فنناء العبودية لغير الله وقبيح بالعاقل
صحبة الفاقة والتخصص بعبودية غير رب العزة والموت سبب كمال الانسان
ومن رغب عن كماله فهو من الذين خسروا انفسهم ومن كره الموت اخرج عن الدنيا
كارها فيكون كعبد آبق رد الى مولاه ماسورا وقيد الى حضرته مقهورا وشتان
بين عبد دعاه مولاه فاتاه طوعا وعبد آبق اسر فاتى به قسرا وحق العاقل
ان يكثر من ذكر الموت فذكره للموت لا يقرب اجله ويفيده ثلاثة القناعة بما رزق
والمبادرة بالتوبة والتنشط في العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر النشاط
هادم اللذات فانه ما ذكره احد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة الا ضيقها
عليه وقيل ذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف غرب المنى فيهون المصائب ويحول الحزن
بين الانسان والطغيان الحزن والفرح السرور انشراح الصدر
بلذة فيها طمانينة النفس عاجلا وآجلا وذلك في الحقيقة انما يكون اذا لم يخش زوالها
ولا يكون الا في القنيات الاخروية ولذلك قيل لا سرور في الدنيا على الحقيقة
والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة وذلك في اللذات البدنية الدنيوية

بلغت

فلهذا انا قال لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والفرح يدعو الى
النشاط والنشاط الى المرح والمرح داعية الشر والشر مقدمة البطر واكثر
ما يظهر ذلك في الاحداث والصبيان بقدر ما يغلب عليهم من الغفلة وقد ذمه الله تعالى
بقوله تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا وقال ان الله لا يحب الفرحين وقال ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقال كل حزب بما لديهم فرحون وقد يسمى الفرح سرورا
والسرور فرحا لكن على نظر من لا يعرف الحقائق ويتصور احدهما بصورة الآخر ولذلك
قيل من طلب السرور بالخارجات منه لم ينله العذر والتوبة المذنب اذا
اذا عوتب او يخاف العتب لا ينفك من وجهين اما ان يكون مصرا او معتذرا فاما
المصر فقد يستحسن في بعض الاحوال التجافي عنه وقد سمع حكيم رجلا يقول
ذنب الاصرار اولى بالاغتفار فقال صدق ليس فضل من عفا عن السهو القليل كمن
عفا عن العمد الجليل واما المعتذر فهو المظهر لما يمحو به الذنب وجميع المعاذير لا
تنفك من ثلثة اوجه اما ان يقول لم افعل او يقول فعلت لاجل كذا فيبين ما يخرجه عن كونه
ذنبا او يقول فعلت ولا اعود فمن انكر وانبا عن كذب ما نسب اليه فقد برئت ساحته
وان فعل وجحد فقد يعد التغابي عنه كرما واياه قصد الشاعر بقوله شعر
تغابى وما بك من غفلة لفرط الحيا وفضل الكرم ومن اقر فقد استوجب العفو لحسن
ظنه بك وقال بعض البلغاء نجا وزعن من يسلك بالاقرار طريقا حتى اخذ من رجائك
رفيقا فان قال فعلت ولا اعود فهذا هو التوبة وحق الانسان ان يتشبه بالله تعالى في قبولها
وللتوبة شرايط فرضا ونفلا ففرضها ترك الفعل مع ترك العود اليه ونفلها التاسف لما سلف
من الذنب والاستغفار له وترك بعض المباحات مقابلة لما كان من العصيان واعلم ان المذنب
التائب اذا تاب توبة نصوحا فضيلة على من لم يذنب من ثلثة اوجه الاول من جرب العيوب
والذنوب عرف مداخل الشيطان على الانسان فيكون اهدى الى الاحتراز فقد قيل الحكيم

فلان لا يعرف الشر فقال ذاك اجدر ان يقع فيه الثالثة ان المذنب التائب محتشم فقد غلب
الخوف على قلبه فياتي باب مولاه خزيان منكسرا ومن لم يذنب ربما يعجب بنفسه و
يدل بفعله وليس خدمة عبد عصى ملكا وخرج عليه خارجا ثم عاد اليه وجلا متخوفا
عنه كخدمة من اقبل بطاعته الثالث ان التائب طلب الدين شطرين خيره وشره
وحلوه ومره فهو ارفق المذنبين واوثق لهم واصلح للرياسة ممن يظن ان
الذنب شي خارج عن طبيعة الانسانية فيعجب بنفسه ويزري لغيره

الحلم والعفو

الحلم امساك النفس عن هيجان الغضب والتحلم امساكها عن قضاء الوطر منه اذا هاج
ولما كان الحلم عن تاثير العقل وغير منفك منه صار يعبر به عن كل عقل ظهر فعل كقوله
تعالى في ذم الكفار على سبيل التعجب منهم ام تامرهم احلامهم بهذا ومتى استعمل الحلم
في الباري فانه يراد منه العمل بمقتضاه وهو العفو دون الانفعال بعرض له ولا يتم حلم
الانسان الا بامساك الجوارح كلها اليد عن البطش واللسان عن الفحش والسمع
عن سماعه والعين عن فضولات النظر واقرب لفظ يستعمل في ضد الحلم التذمر واما
العفو والصفح فهما صورتا الحلم ومخرجاه الى الوجود فالعفو ترك المواخذات بالذنوب
والصفح ترك التثريب فيها واشتقاقه من تجاوز الصفح التي اثبت فيها ذنوبه
او للاعراض بصفحة الوجه عن التلفت الى ما كان منه وهو محمود اذا كان على الوجه
الذي يجب ولهذا قال الله تعالى فاصفح الصفح الجميل فخص تنبيها على ما يجمل منه
فقد حث الله تعالى على ذلك بقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فامر
بالحلم والعفو وقال وليعفوا وليصفحوا وقال فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين
وقال فمن عفى واصلح فاجره على الله والعفو انما يستحب فيما كان للاساة مخصوصة بالعافي
كمن اخذ ماله وشتم عرضه فاما اذا كانت الاساة عايدة بالضرر على الشرع او على
جماعة من الناس فانه ان كان فيها ادنى شبهة فللسلطان العفو لقوله صلى الله عليه وسلم ادروا

الحدود بالشبهات وان لم يكن ذات شبهة فليس له العفو ولهذا قال الله تعالى ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر وحق المعاقب ان
لا يكون سبعاني انتقامه بل لا يعاقب حتى يزول سلطان الغضب لئلا يقدم على ما
ليس بواجب ولذلك جرى سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد
النظر فيه قال بعضهم ينبغي للسلطان ان يوخر العقوبة حتى تنقضي سلطان غضبه
ويعجل مكافاة المحسن ويستعمل الاناة فيما يحدث ففي تاخير العقوبة امكان العفو
ان احب ذلك وفي تعجيل المكافاة بالاحسان مسارعة الاولياء الى الطاعة واتي الاسكندر
بمذنب فصفح عنه فقال بعض جلسائه لو كنت اياك لقتلته فقال اذا لم اكن انا اياك
ولا انت اياي فكيف اقتله وانتهى الى بعض اصحابه ومنه بغيا به فقيل له لو انهكته
عقوبة فقال حينئذ ابسط له لسانا وعذرا في اغتيابي واعلم ان لذة العفو اطيب
من لذة التشفي لان لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم
والعفو به لام حالات ذي القدرة وهي طرف من الجزع ومن رضي ان لا يكون بينه
وبين الظالم الا ستر رقيق فلينتصف وقد نبه الله تعالى على ذلك بلطف من المقال
فقال جزاء سيئة سيئة مثلها فسمى مجازاة المسيء باساته اساة وقال فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فسمى المجازي على الاعتداء معتديا
تنبيها على انه قد كاد يكون اياه والعقوبات فيما بين الناس اقبحها ما كان فيما لم يظهر
بالفعل فقد قال بعض الملوك انما نملك الاجساد دون الضمائر ونفحص عن الظواهر لا عن
الاسرار ثم من سلم ظاهره احتمل جرايره فقد يعفو المرء ونيته سليمة وقيل وطريقته
مستقيمة

ثوران الغضب فضل الحلم

الغضب في الانسان نار تشتعل والناس يختلفون
فيه فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطي الوقود وبطي الخمود وبعضهم
سريع الوقود وبطي الخمود وبعضهم على عكس ذلك وهو احمدهم ما لم يكن مفضيا به الى زوال حميته

كان م

ويقال ان غيظه يده واختلافهم تارة يكون بحسب الامزجة فمن طبعه حار يابس يكثر ومن كان
علافه يقل وتاره يكون بحسب اختلاف العاده فمن الناس من تعود السكون والهدو و
هو المعبر عنه بالذبول والهين اللين ومنهم من تعود الطيش والانزعاج فيحتد بادنى
ما يطرقه كالكلب يسمع حسا فينبري قبل ان يعرف من هو واسرع الناس غضبا الصبيان
والنساء واكثرهم ضجرا الشيوخ واجل الناس شجاعة وافضلهم مجاهدة واعظمهم قوة من كظم
الغيظ وعلى ذلك قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين فجعلهم من المحسنين وقال النبي
صلى الله عليه وسلم وقد مر بقوم يشتد يربعون اي يشيلون الحجر ويرفعونه الا اخبركم حجرا
باشدكم من ملك نفسه عند الغضب واعلم ان نار الغضب متى كانت عنيفة فتاججت
واضطرمت فاحتد منه غليان دم القلب وملات الشراين والدماغ دخانا مظلما
مضطربا يسوء منه حال العقل ويضعف به فعله فكما ان الكهف الضيق اذا ملي حريقا
اختنق فيه اللهب والدخان وعلا منه الاجيج فيصعب علاجه واطفاؤه ويصير
كل ما يدنو منه مادة لقوته كذلك النفس اذا اشتعلت غضبا عميت عن الرشد وصمت
عن الموعظة فتصير مادة لغضبه ولهذا حكي عن ابليس انه قال متى اعجزني ابن ادم
فلن يعجزني اذا غضب لانه ينقاد لي فيما ابتغيه ويعمل بما اريده وارتضيه وقيل
الغضب جنون ساعة وربما ادى الى تلف بالاختناق وحرارة القلب منه وربما كان سببا لامراض
صعبة مودية الى التلف واسباب الغضب العجب والافتخار والمرا واللجاج والمزاح
والتيه والاستهزا والضيم وطلب ما فيه التنافس والتحاسد وشهوة الانتقام وحق
من اعتراه غضبه ان يتفكر فان كان المغضوب عليه عبدا فلا معنى لاستشاطته اعتراه
اذ هو ممكن من الانتقام على سكون الجاش واذا كان غضبه على من لا سبيل له عليه فلا
معنى لتعذيبه نفسه في الوقت بل حقه ان يصبر حتى يتمكن منه ثم يفعل بالواجب
وقال حكيم سد طريق الغضب قبل تلهب ناره في الحطب وذلك انما يمكن اطفاؤها قبل

المشار

انتشارها فاما اذا اشتعلت فلا سبيل الى اطفائها وقال سلطان لحكيم كيف لي ان لا
اغضب فقال بان تكون في كل وقت ذاكرا انه يجب ان تطيع لا ان تطاع فقط وان تخدم
لا ان تخدم فقط وان تحتمل لا ان تحتمل فقط وان تتحقق ان الله تعالى يراك دائما
فاذا فعلت ذلك لم تغضب وان غضبت كان قليلا

الغيرة والحمية

الغيرة ثوران الغضب حماية عن الحرم واكثر ما يراعى في النساء وجعل الله تعالى هذه القوة
في الانسان سببا لصيانة الماء وحفظا للانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة
في رجالها وضعت الصيانة في نسائها وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الانسان صيانته في السياسات
الثلث التي هي سياسة الرجل نفسه وسياسة منزله واهله وسياسة مدينته وضيعته
ولذلك قيل ليست الغيرة ذب الرجل عن امراته ولكن ذبه عن كل شخص وقيل الغيرة
الذب عن كل ضعيف وسمي كراهية النعمة عند من لا يستحقها غيرة والعرب وان كانت من
القوة الانسانية واجب كونها في كل جيل فقد كثر في العرب كثرة متناهية حتى انف
دخل دارا احدهم والتجا الى فنائه عدو انفا صنف حرمة وجوارا وذماما بل شعر
ان تعلق الدلو بالدلو العزيمة او يلابس الطنب المستحصد الطنب
بل كانوا يراعون ذلك في الوحشيات والهوام حتى سمي مجير الجراد ومجير الغزال ومجير
الذيب وسمي الغضب المقتضي للغيرة الحفيظة فقالوا احفظني فلان اي اغضبني
الغضب الذي اثاره قوة الحفظ

الغبطة والمنافسة والحسد

الذي ينال الانسان بسبب خير يصل الى غيره على سبيل التمني ان يكون له مثله فهو غبطة
وان كان مع ذلك سعي منه في ان يبلغ هو مثل ذلك من الخير او ما فوقه فمنافسة وكلاهما محمودان
وان كان مع ذلك تمني زوال ما بصاحبه من غير استحقاق لزوالها فحسد والحسد تمني زوال
نعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعي في ازالتها والحاسد التام هو الخبيث النفس
الساعي في ازالة نعمة مستحقة من غير ان يكون طالبا ذلك لنفسه ولذلك قيل الحاسد

تدبيري زوال نعمة كل منعم عليه وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فحمد الغبطة
وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فحثنا على التنافس اذ هو الباعث
لنا على طلب المحاسن وذلك قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم
ثلثة لا ينجو منها احد الظن والطيرة والحسد وسأخبركم بالمخرج من ذلك فاذا
ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ اي اذا
اصابك غم لخير ينال غيرك فلا تبغ ازالته عنه واعلم ان الحسد من وجه غاية البخل لان
البخيل يبخل بمال نفسه والحسود بمال الله ولذلك قيل الحاسد بخيل بما لا يملكه ومن وجه
هو اظلم ظالم لانه يظلم غيره في انه الحال ويظلم ربه فيما قدره وقيل الحسد والحرص
ركنا الذنوب ومنهما انتج ذنبا ابليس وادم فابليس حسد ادم فصار لعينا
وادم حرص على ما نهي عنه فاخرج من الجنة فهما شيئان يجتنب منهما سائر الرذائل فمن
قطع اسبابهما نجا ان قيل ما وجه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل
اتاه الله مالا فجعله في حق ورجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها قيل عني بالحسد
ههنا الغبطة وقد يسمى ذلك من حيث انها الغم الذي ينال الانسان من خير يناله
غيره ولا يناله هو وعلى ذلك يقول الانسان لولده لا تحسد فلانا فانما يتعلمه اي لا
يتمنى حاله واعلم ان الحسد ضرب من الحماقة لان اغتمامه بما يناله الرذيلة واهل بلده
يقتضي ان يغتم بما يناله اهل الصين والهند على ان الخير الذي ينال دونه اذا تفكر
فيه هو انفع له مما يناله الا باعد

الفصل الخامس في العدالة والظلم والمحبة والبغض

العدالة وفضيلتها العدالة لفظ يقتضي المساواة ولا يستعمل الا باعتبار الاضافة
وهي في التعارف اذا اعتبرت بالقوة فهيئة في الانسان يطلب بها المساواة واذا
اعتبرت بالفعل وهي التقسيط القائم على الاستواء واذا وصف الله عز وجل بالعدل فليس
يراد به الهيئة وانما يراد ان افعاله واقعة على نهاية النظام والانسان في تحري فعل

العدالة

العدالة يكون تام الفضيلة اذا حصل مع فعلها هيئة مقتضية لتعاطيه فقد يتحرى فعل
العدالة من الانسان ولا يكون منه وحابه نحو ان يتعاطاها رياء او توصلا الى نفع دنيوي
او خوف عقوبة السلطان والعدالة تارة يقال هي الفضائل كلها من حيث انه لا يخرج شيء من
الفضائل عنها وتارة يقال هي اكمل الفضائل من حيث ان صاحبها يقدر ان يستعملها في
نفسه وفي غيره وهي ميزان الله المبرأ من كل زلة ومنها يستتب امر العالم ولذلك قال الله تعالى
الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان
فعبر عن العدالة بالميزان اذ كان من اثرها ومن اظهر افعالها المحاسة وقال صلى الله عليه وسلم
بالعدل قامت السموات والارض اي لو كان شيء من موجودات العالم واصولها زائدا على الاخر
او ناقصا عنه لم يكن منتظما بهذا النظام ومن فضيلتها ان الجور الذي هو ضدها لا
يستتب الا به فلو ان لصوصا تشارطوا فيما بينهم شرطا لم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم
امرهم ومن فضلها ان كل نفس تتلذذ بسماعها وتتالم من ضدها ولذلك يستحسن الجائر
عدل غيره اذا رآه او سمع به وقيل العادل لا يخاف الله اي من حيث العدالة لا خوف عليه ويحسن
العدالة والمساواة تتالم النفس من كل ما كان مركبا في العالم ليس له نظام مستقيم فيكره
العرج والعور فيتشاءم به ولتحري المساواة جعل الله تعالى اعضاء الانسان الواقعة في الاطراف
زوجين اثنين وفي الاوساط واحدا واحدا او للاقتداء بذلك تحرى النقاشون بان
كل منقوش في جانب منقوشا مثله في الجانب الاخر لئلا تصير الصورة معوجة العدالة وسط
اطراف كلها جور فالجور الخروج من وسط بزيادة او نقصان ولذلك قيل صار الجور والخطاء
بالاضافة الى العدل والصواب من حيث ما لا نهاية له والعدل والصواب من حيث المناسبة وادراكها
صعب عسر والصعوبة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا وتمدح فقال بقوله وهي
كل شيء عددا انبيها انه هو المتحقق للعدالة والصواب من كل شيء وقال بعض الصوفية رأيت النبي صلى
الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بلغني انك قلت شيبتني سورة هود واخواتها فما الذي

ثبتك منها فقال تعالى فاستقم كما امرت ولما كان الوصول اليها عسرا صار طالبها
اذا تحراها بجهده وان اخطأ فيها معذورا بل ماجورا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اجتهد فاخطأ فله اجر ومن اجتهد فاصاب فله اجران انواع العدالة التي
يستعمل ذلك فيه العدل ضربان عدل مطلق يقتضي العقل حسنه ولا يكون
منسوخا في شيء من الازمنة ولا يوصف بالجور في حال وذلك نحو الاحسان
الى من احسن اليك وكف الاذية عمن كف اذيته عنك وعدل مقيد يعرف كونه
عدلا بالشرع يمكن ان يكون منسوخا في بعض الازمنة وذلك مقابلة السوء بمثله كاحوال
القصاص واروش الجنايات وكاخذ مال المرتد وهذا النحو يصح ان يوصف على
المجاز في بعض الاحوال بالجور ولذلك قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى
جزاء السيئة سيئة من حيث انه لو لم يكن معتبرا بالسيئة المتقدمة كانت هي سيئة وعلى ذلك ان
تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وبالنظر الى النوع الاول ولاعتباره قال بعض
المتكلمين يعرف الجور والعدل بالعقل قبل الشرع وفي الجملة ان الشرع مجمع العدالة وبه
يعرف حقائقها ولو توهمناه مرتفعا لكان يؤدي الى ان لا يكون عدالة على الحقيقة
في شيء من الجزئيات للافعال وان في كثير من كلياتها والعدالة المحمودة هي التي لا يتحرى
رياء وسمعة ورغبة ورهبة وانما يكون تحريا للحق عن سجية والذي يجب ان يستعمل الانسان
معه العدالة خمسة الاول بينه وبين رب العزة تعالى بمعرفة توحيده واحكامه والثاني
بينه وبين قوى نفسه وذلك بان يجعل هواه مستسلما لعقله فقد قيل اعدل الناس من انصف
عقله من هواه والثالث بينه وبين اسلافه الماضين نحو انفاذ وصاياهم والدعاء لهم
والرابع بينه وبين معامليه من المبايعات والمقارضات والكرامات والخامس بث النصفة
بين الناس على سبيل الحكم وذلك الى الولاة وخلفائهم واما الحكام العدول في الارض فثلثة
حاكم من الله وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والعامل وامر به

من اداء الحقوق وانصاف المعاملات صح

وهو كل

وهو كل وال عدل والناطق المعتبر به واعلاه الدينار ومعناه بالفارسية دين آورده
والناطق من وجه حاكم ومن وجه كالآلة للحاكم يعتبر اذا فيه عمل بعمل ولما كان الشريعة
مجمع العدالة ومنبعها صار من امتنع من التزامها اظلم ظالم ولهذا قال ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون وقال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل
الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولكون الكفر ظلما قال الله تعالى وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فقابل المؤمن بالظالم
ما يحسن ترك العدالة فيه ترك العدالة الى الظلم عمدا في جميع الاحوال مذموم و
الخارج عنها الى الظلم مستوجب بقدر خروجه عنها سخطا من الله الا ان يتغمده الله
بعفوه واما الخارج عنها الى الانظلام اي التزام الظلم فقد يحمد والانظلام من حيث
الكمية ثلثة اضرب انظلام في المال وهو الاستخذاء في بخس منزلته من التعظيم والانظلام
في النفس وهو الاستخذاء لمن يؤلمه وكل واحد يكون محمودا ومذموما ومن حيث الكيفية
ضربان محمود ومذموم فالمحمود التغابن عن حق له في المال او في الكرامة او في النفس
بقدر ما يحسن وفي وقت ما يحسن وهو المعبر عنه بالانخداع والتغافل الذي قيل فيه
العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل واياه قصد معوية في قوله من خدعنا وانخدعنا
له فقد خدعنه قال الشاعر شعر همن يعتر على الثنا ينخدع وذلك اذا كان في المال فمسامحة
واذا كان في النفس فعفو واذا كان في الكرامة فتواضع واما على الوجه المذموم ففي المال غبن
وفي الراي غبن وفي النفس والكرامة هوان ومذلة وقد تقدم ان الافضال والاحسان
اشرف من العدالة اذا كان الحكم بينك وبين غيرك واما اذا حكمت بين اثنين فليس الا العدالة
وانما الاحسان الى المتحاكمين ولهذا قال الله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب
المقسطين وقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
وقال لمن له الحق وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال كي ما احتجبوا الناس بالفضل

الظالم في احوالهما والظلم في النفس وهو لاستخذاء

التغافل

لا بالعدل فمع العدل لا استقصاء ومع الفضل لا استيفاء واني لا ارجو ان يحاسب الله عباده بالفضل
وقد امرهم ان يحاسب بعضهم بعضا بالفضل وقد عظم الله امر الافضال والاحسان فقال للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وقال وهل يأمر الحكيم بشيء لا يفعله وكيف يترك الكريم التفضل ويقتصر
على العدالة وقد بين ان التفضل افضل واكرم فقال جل الله عز وجل في المنزلتين وكيف لا
يرجى تفضله وافعاله كلها عدل وعدله كله تفضل لانه مبتدئ بما لا يلزمه ولا يبتدأ بما لا يلزمه
تفضل وهو يجوز ان يترك التفضل انتهاء وقد تحراه ابتداء **الظلم** الظلم هو الانحراف
عن العدالة ولذلك حد بانه وضع الشيء في غير موضعه المختص به وقد تقدم ان العدالة
تجري مجرى النقطة من الدائرة فيتجاوزها من وجه لافراط عدوان وطغيان واليه
اشار بقوله تعالى قد ضلوا ضلالا بعيدا والانحراف عنها في بعض جوانبها جور والظلم اعم
ولما كان الظلم ترك الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة صار المعدول عنها
لما قريبا او بعيدا فمن كان عنه ابعد كان رجوعه اليه اصعب ولذلك قال يريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا تنبيها ان الشيطان متى امعن بهم في البعد عن الحق صعب عليهم
حينئذ الاهتداء ولاجل من جعلهم الشيطان كذلك قال الله تعالى اولئك ينادون من مكان
بعيد واما المستعمل معهم الظلم فخمسة وهم الذين يجب استعمال العدالة معهم وقد تقدم
ذكرهم الاول رب العزة تعالى الثاني قوى النفس والثالث سلاف الجيل الرابع معاملوه
من الاحياء الخامس الناس اذا تولى انسان الحكم بين بعضهم وبعضهم وقال بعض الحكماء شر
الناس من جار على نفسه ثم من جار على ذويه ثم من جار على كافة الناس وافضلهم من عدل
مع كافة الناس ثم مع عشيرته ثم مع نفسه وهذا قول اورد بنظر عامي فان الظالم لا يكون ظالما
لغيره حتى يظلم اولا نفسه فانه ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه فاذا الظالم ابدا مبتدئ بنفسه
في الظلم والعادل مع الناس اذا اهتم بالعدل وتحراه فقد عدل مع نفسه قبل ان عدل مع غيره
قال بعضهم الظلمة ثلثة الظالم الاعظم وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله واياه قصد بقوله

ان الشرك

بلغ ... نخ

ان الشرك لظلم عظيم والاوسط وهو الذي لا يدخل تحت حكم السلطان والاصغر وهو الذي يتعطل
عن المكاسب والاعمال فيأخذ منافع الناس لا يعطيهم منفعته ومن خرج عن تعاطي العدالة بالطبع
وبالخلق وبالتخلق والتصنع والرياء والرغبة والرهبة فقد انسلخ عن الانسانية ومتى صار الكل
صنع كلهم على ذلك فتهارشت وتغالبت واكل قويهم ضعيفهم ولم يبق فيهم اثر قبول فقد تقدم ان
عادة الله في امثالهم افناؤهم واهلاكهم عن اخرهم **الاسباب التي يحصل منها الضرر ...**
جميع ذلك اربعة اسباب الاول الشرارة كمن يضرب غيره مستلذا الفعله وذلك اخس الوجوه الثاني
الشهوة وهي ان يقصد ادراك شهوة ما فيؤدي ما لا يمكن تحصيلها الا بان يضر بغيره كعامة
المتلصصة والعابثين في الارض الثالث الخطأ وهو ان لا يقصد الاضرار بمن ضرر بوجه
بل قصد فعلا اخر فاتفق منه ذلك كمن رمى قرطاسا فاصاب رجلا فهذا معذور من وجه
الرابع الشقاوة كمن يصيبه ريح فاوقعه على انسان فمات ذلك الانسان فهذا معذور ...
المكر والخديعة والكيد والحيلة المكر والخديعة متقاربان وهما اسمان لكل
فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره وذلك ضربان احدهما مذموم وهو الاشهر
عند الناس والاكثر وذلك ان يقصد فاعله انزال مكروه بالمخدوع واياه قصد النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله المكر والخديعة في النار والمعنى يؤدي بقاصدهما الى النار والثاني على عكس ذلك وهو
ان يقصد فاعلهما الى استجرار المخدوع والممكور به الى مصلحة لهما كما يفعل بالصبي اذا امتنع من فعل
الخير قال بعض الحكماء المكر والخديعة يحتاج اليهما في هذا العالم وذلك ان السفيه يميل الى
الباطل ولا يقبل الحق ولا يميل اليه لمنافاته طبعه فيحتاج ان يخدع عن باطله بزخارف
مموهة كخدعة الصبي عن الثدي عند الفطام ولهذا قيل مخرق فان الدنيا مخاريق وسفسطة
فان الدنيا سوفسطائية وليس هذا حثا على تعاطي الخبث بل هو حث على جذب الناس الى الخير
بالاحتيال ولكون المكر والخديعة على ضربين سيئا وحسنا قال الله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب
شديد ومكر اولئك هو يبور وقال فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر

السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وقال أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض
فخص في الآيات السيئ من المكر تنبيهاً على جواز المكر الحسن فقال ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين وقال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وأما الكيد فإرادة
متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به لكن أكثر ما يستعمل ذلك في الشر ومتى قصد
به شر فمذموم ومتى قصد به خير فمحمود وعلى الوجه المحمود قال الله تعالى كذلك كدنا
ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك وعلى ذلك الاستدراج منه قال الله تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين فاستدراجه تعالى تخليته
السبيل على الإنسان وتمكينه منه ليطلبه بالآلات التي أعطاه وذلك تكليفه
لما يقدر عليه وإن كان فيه مشقة وتمكينه من إدراك ذلك قال ألم نجعل له عينين
ولساناً وشفتين وهديناه النجدين فمن جاهد في سبيله وأعمل فكرته حتى ظفر به
فسلكه على ما يجب وكما يجب سهل عليه الوصول وكان ذلك منة منه ولطفاً وإحساناً
ومن عطل معاونه من الفكرة والسمع والبصر حتى أضل طريقه كان ذلك خذلاناً
وعذاباً له وعلى نحو ما تقدم وصف تعالى نفسه بالحيلة والمماحلة في قوله وهو شديد
المحال وهذه الألفاظ لولا أن الباري تعالى أطلقها في مواضع مخصوصة قاصداً بها معاني
صحيحة لما تجاسر بشر عرف الله أن يخطر ذلك بباله فيه فضلاً أن يجريه في مقاله
وإن قصد بها المعنى الصحيح تنزيهاً له وتعظيماً فيجب أن يتلى في القرآن حيثما
ورد ولا يتعدى وقد ذكر المحصلون أن كثيراً من الأوصاف الشريفة كالرحيم
والغفور والودود وما كان يتجاسر على الإطلاق عليه تعالى لولا السمع الوارد به
لما في هذه الأسماء من معنى الكيفية والكمية والانفعال في وضع اللغة والله تعالى منزه
عن كل ذلك وهذا فصل كبير يختص به غير هذا الكتاب ماهية المحبة وأنواعها
المحبة ميل النفس إلى ما تراه أو تظنه خيراً وذلك ضربان أحدهما طبيعي وذلك في

ووصف نفسه بالمكر الحسن صح

الانسان

٧٨

الإنسان والحيوان وقيل قد يكون ذلك في الجمادات كالألفة بين الحديد والحجر المغناطيس
والثاني اختياري وذلك يختص به الإنسان فأما ما يكون بين الحيوانين فألفة وهذا
الثاني أربعة أضرب الأول الشهوة وأكثر ما يكون ذلك بين الأحداث والثاني المنفعة
ومن جنسه ما يكون بين التجار وأصحاب الصناعات المهنية وأهل المذاهب
والثالث مركب من الضدين كمن يحب آخر لنفع وذلك الآخر يحبه لشهوة والرابع
الفضيلة كمحبة المتعلم للعالم وهذه المحبة باقية على مرور الأوقات وهي المستثناة
بقوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فأما الضروب الأخر فقد تطول
مدتها وتقصر بحسب طول أسبابها وقصرها والصداقة أخص من المحبة وقل ما يقع بين
جماعة ولا تستعمل في الحيوان وأما العشق فمحبة بإفراط وذلك إما بحسب اللذة فيكون
مذموماً وإما بحسب الفضيلة فيكون محموداً ولا يكون للنفع فإن النفع يراد لغيره والفضيلة
واللذة يرادان لأنفسهما فضيلة المحبة أحد أسباب نظام أمور الدنيا المحبة ثم
العدالة فلو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدالة فقد قيل العدالة
خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة ولذلك عظم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة
فقال لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً أي محبة في قلوب العباد تنبيهاً أن ذلك أجلب
للعقائد وهو أفضل من المهابة فإن المهابة تنفر والمحبة تؤلف وقيل طاعة المحبة أفضل
من طاعة الرهبة فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج يزول بزوال سببه
وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا وإذا تعاونوا عملوا وإذا عملوا عمروا
وإذا عمروا عمروا ولفضل وقوع المحبة شرع الله اجتماع أهل المحلة الواحدة في مساجدهم
كل يوم خمس مرات لإقامة صلواتهم واجتماع أهل البلد كل أسبوع مرة في الجامع واجتماع أهل
المدينة وأهل السواد مرتين في الجبانة واجتماع أهل البلدان النائية في العمر مرة بمكة كل ذلك

الصحراء

كل سنة

النافع له

عمروا وإذا عمروا عمروا

ليتأكد باجتماعهم الانس وليقع بسببه الود [illegible] آفة الصديق محتاج اليه
في كل حال اما في سوء الحال فليعاونه واما عند حسن الحال فليؤانسه وليضع معروفه عندهم في
من ظن انه يمكنه الاستغناء عن صديق فمغرور ومن ظن ان وجوده سهل فمعتوه ولكثرة نفعه
سئل حكيم عن الصديق فقال هو آخر بالشخص الا انه انت بالنفس ولعزة وجوده سئل آخر
عنه فقال هو اسم على معنى حيوان موجود فمن وجد اخوانا ذوي ثقة وجدهم اذا نابه
وعيونا وقلوبا بكلها له فيرى الغائب بصورة الشاهد واختيار من تركن النفس الى مودته
صعب اذ قد يشتبه الناقص فتظنه فاضلا فيكون كمن يحسب الشحم فيمن شحمه ورم [illegible]
من حببه الله الى الناس فقد انعم عليه نعمة وسيعة كما ان من بغضه اليهم فقد جعل نقمة
فظيعة والسبب فمن يكون محببا ان من دعاه الله فصفا جوهره وطاب روحه وحسن
عمله حصل له نور يسري في مشاعر من يراه فيحبه واياه قصد تعالى بقوله لموسى عليه السلام والقيت
عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا القى محبته في
الماء فلا يشرب منه عبد الا احبه واذا ابغض عبدا القى بغضه في الماء فلا يشرب منه احد الا
ابغضه ولما القى الله على نبينا صلى الله عليه وسلم المحبة قل ما كان يأتيه من يبغضه فيهم بقتله
الا اذا رآه وقلب في آفاق وجهه طرفه والقى الى كلامه سمعه انجذب به فمارقه على جميل
[illegible] حق الانسان ان يتحرى بغاية جهده مصاحبة
الاخيار فهي قد تجعل الشرير خيرا كما ان مصاحبة الاشرار قد تجعل الخير شريرا قال
بعض الحكماء من صحب خيرا اصابه بركته فجليس اولياء الله لا يشقى وان كان كلبا ككلب
اصحاب الكهف حيث قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولهذا اوصت الحكما
بمنع الاحداث عن مجالسة السفهاء وقال امير المؤمنين رضي الله عنه لا تستصحب الفاجر فتزين
لك فعله ويود لو انك مثله وقال صلى الله عليه وسلم جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في خيركم
نطقه وقال اياك ومجالسة الاشرار فان طبعك يسرق من طبعهم وانت لا تدري وقال النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح كمثل الداري ان لم يحذك من عطره يعلقك من ريحه ومثل
الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره يؤذيك بدخانه وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين
خليله ولينظر امرؤ من يخالل اي يجذبه خليله الى دينه ومن قوة هذا المعنى في النفوس شاع
على الالسنة قول الشاعر [illegible] عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدي
وليس اعني الجليس جليسه خلقه بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر اليه والنظر في الصور يؤثر في
النفوس اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه فان من دامت رؤيته لمسرور سر وللمحزون
حزن وليس ذلك في الانسان فقط بل في الحيوانات والنبات فالجمل الصعب قد يصير ذلولا
بمقارنة الجمال الذلل والذلول قد ينقلب صعبا بمقارنة الصعاب والريحانة الغضة
تذبل بمجاورة الذابل ولهذا يلتقط اصحاب الفلاحة الزوان عن الزروع لئلا يفسدها
ومعروف ان الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة اذا قربت منهما وذلك مما لا ينكره
ذو تجربة واذا كانت هذه الاشياء بلغت في قبول التأثير هذا المبلغ فما الظن بالنفوس
البشرية التي موضوعها القبول صور الاشياء خيرها وشرها فقد قيل سمي الانس لانه يأنس
بما يراه ان خيرا وان شرا وللانسان في المعاشرة ثلاثة احوال اما ان يكون شكسا اي ابي الطبع
او ملقا اي سلس الطبع او مساعدا اي تاركا للخلاف على مقتضى العقل وهو المحمود وحق الانسان
في المعاشرة ان يتقوى من جهة الكبر بالمطايبة في الكلام ومن جهة الغضب بالتحلم ومن
جهة الشهوة بالجود وان يتحرى من اضداد ذلك وان يجامل المعاشرين والمتشبهين بالاخوان
وان يصابرهم ويكاشرهم طبعا في رجوعهم اخوانا وانتقاما من شرورهم حتى يكون ظريفا فالظرف
عبارة عن استجماع آلة العشرة من الطلاقة والاحتمال ولين الجانب [illegible]
قد كثر اختلاف الناس في مفاضلة التفرد والاختلاط فبعضهم اثر التفرد عن الناس
وبعضهم الاختلاط بهم واورد كل فريق في ذلك اخبارا وذلك بسبب اختلاف نظريهما وامثاله
احدها بصاحبة من لم يحمد مصاحبته ومصاحبة الآخر من حمد صحبته والاصل ان اجتماع الناس بعضهم

مع بعض امور ضرورية لتعلق امور بعضهم ببعض ولهذا لما سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول
اللهم اغنني عن الناس فقال يا رجل اراك تسئل الله الموت قل اللهم اغنني عن
شرار الناس فالناس لا يستغني بعضهم عن بعض ما داموا احياء ثم في المجانسة
فالتفرد عن الاحياء والدين يفيد ذلك ويبين ذلك ولا يؤذي ذلك مكروه سيما
من لم يتدرب في الفضل ولم يستغن عن اقتباس العلم واما عن الاولياء ال
الذين تتدنس بمصاحبتهم محمود وقيل التفرد مكروه الا لثلثة سلطان لانشاء
تدبير المملكة وحكيم لاستنباط الحكمة ومتنسك لمناجاة رب العزة فان التفرد يبطل
الانسانية ولا يظهر من صاحبه فضيلة ومن ظن بالمتفرد خيرا فلانه جل ان ليس يظهر
منه شر وهذا ايثار كفر الموتى وفضيلة الانسان ان يكون خيرا لا ان لا يكون شريرا
وان كان زماننا كما قال الشاعر شعر انا لفي زمن ترك القبيح به
من اكثر الناس احسان واجمال فحق العاقل الفاضل ان يجتمع مع العامة
في ظواهر احكام الشرع واقامة وظائف العبادات وانا لتهم من الغضبية بقلد
الوسع ويترفع عن منزلتهم في المعارف والاخلاق والافعال الجميلة وبمراعاة
حكم الظاهر قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم وبالمراعاة الترفع عن منزلتهم
في المعارف والاخلاق قيل المروة التامة مباينة العامة بل قيل من استانس بالله
استوحش من الناس وذلك لمخالفته اياهم في الخلق وللنهي عن الاغترار بكثير
منهم والركون اليهم سيما من ليس قصده الاخرة وطلب الحق قال الله تعالى ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل
خبير وقال ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين العداوة العدو هو الذي يتحرى اغتيال الغير وقيل
فيما يؤدي الى مصالحه ومن تعدي فلان ومعناه فعل العدو وهو من قولهم مكان

ذو عدا

ذو عدا اي متنافي الاجزاء ثابت من حد ويضاد العداوة الولاية واشتقاقه من وليه
يليه والولاية اعم من الصداقة والمودة والعداوة ضربان باطن لا يدرك ذاته بالحاسة
وظاهر يدرك بالحاسة فالباطن اثنان احدهما الشيطان وهو اصل كل عدو يبالي
معاداته جوهرية وقد حذرنا الله تعالى منه غاية التحذير فقال ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا وقال الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين اي لا تنقادوا له وقال ان هذا عدو لك ولزوجك وقال ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين والثاني الهوى المعبر عنه بالنفس في قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما
من رحم ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وكذلك الغضب
اذا كان فوق ما يجب ويكون هذه القوة في الانسان ح اذا اثيرت طريقا للشيطان
في وصوله اليه وكونها كالخليفة له سماه النبي صلى الله عليه وسلم باسمه فقال الهوى شيطان والغضب
شيطان وقال قال حكاية عن موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين واما الظاهر
من العداوة فالانسان وذلك ضربان ضرب هو عدو ومضطغن للعداوة قاصد الاضرار
اما مجاهرة واما مساترة وذلك اثنان واحد يعادي كل واحد وهو كل انسان سبعي الطبع
خبيث الطينة مبغض لكل من محتاج في العاجل يبغض لي كل نفس يهادش كلا من الاجانب
كما قال الشاعر يسطو بلا سبب وتلك طبيعة الكلب العقور ومثل هو الذي
عنى تعالى بشياطين الانس والثاني عدو خاص العداوة وذلك اما بسبب تجاذب نفع
الفضيلة او الرذيلة كمعاداة الجاهل للعاقل واما بسبب تجاذب نفع كالتجاذب
في رياسة ومال وجاه واما بسبب لحمة او مجاورة مورثة للحسد كمعاداة بني
الاعمام بعضهم لبعض وذلك في كثير من الناس كالطبيعي وقال رجل لاعرابي احتمل فقال
قد علمت ذلك قال له من اين علمت فقال لانك لست لي بشريك ولا الي بنسيب ولا جار قريب
والكثر المعاداة بين الناس بين الذين من ذلك والثاني عدو غير مضطغن للعداوة

ولكن يؤذى حاله الانسان الى ان يقع بسببه فى مثل ما يقع من كيد عدو فيسمى عدوا لذلك
كالازواج والاولاد وعلى ذلك قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال
صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذى ان قتلته اجرك الله فى قتله وان قتلك الجنة ولكن اعدى عدوك
نفسك التى بين جنبيك وامراتك التى تضاجعك واولادك الذين من صلبك وجعل صلى الله عليه وسلم هولاء
اعداء الانسان لما كانوا سببا للهلاك الاخروى لما يرتكبه من المعاصى لاجلهم فيؤدى به الى هلاك
الابد الذى هو شر الهلاك من المعادى المناصب بادوا واعلم انه لكون بعض الناس مساويا
للشيطان فى المعاداة سمى الله تعالى الاعداء شياطين فى قوله شياطين الانس والجن يوحى بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا وقد سمى كل ما يتاذى به شيطانا حتى قال ان الليلة العقير
الا شيطانة مجنونة تؤذى بروح الانسان والعقير ثم اسم بير يحمل ليلة وردها شيطانا
لتاذيه بها

الفصل السادس فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب

والانفاق والجود والبخل فى حاجة الناس الى اجتماعهم للتظاهر اعلم انه لما صعب
على كل احد ان يحصل لنفسه ادنى ما يحتاج اليه الا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لو عددنا ما
تعب بتحصيلها من الزرع والطحن والخبز وصناع آلاتها لصعب حصره فلذلك احتيج
الناس ان يجتمعوا فرقة فرقة فيتظاهروا ولاجل ذلك قيل الانسان مدنى بالطبع اى لا
يمكنه التفرد عن الجماعة لعيشه بل يفتقر بعضهم الى بعض فى مصالح الدين والدنيا وعلى ذلك
نبه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا وقوله مثل المؤمنين فى توادهم
وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى سايره وقيل الناس
كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل

تسخير الله جميع الناس الصناعات المختلفة عناية لكل واحد بما يقدره

لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله تعالى كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها
وجعل بين طبايعهم وصنايعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية ليؤثر الواحد

بعد الواحد

بلغ المقابلة مع روحى ما من نسخة لا يخلو من سقم ما

بعد الواحد حرفة من الحرف فينشرح صدره بملابستها ويطيعه قواه لمزاولتها فاذا جعل
اليه صناعة اخرى فربما وجد متبرما بها ومتبلدا فيها وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا
يختاروا باجمعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاونات ولولا ذلك لما اختاروا
من الاسماء الا احسنها ومن البلاد الا اطيبها ومن الصناعات الا انظفها ومن الاعمال
الا ارفعها ولتشاجروا على ذلك ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلا منهم فى ذلك مجبرا فى
صورة مخير فالناس اما راض بصنعته لا يريد عنها حولا كالحائك الذى يرضى بصناعته
ويعيب الحجام والحجام الذى يرضى بصناعته ويعيب الحائك وبهذا انتظم امرهم كما قال الله تعالى
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واما كاره لها يكابدها مع
كراهيته اياها لا يجد عنها بدلا وعلى هذا دل قول النبى صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له
بل صرح الله تعالى بذلك فى قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وقوله قل كل يعمل على شاكلته ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما تباينوا
فاذا تساووا هلكوا فالتباين والتفريق والاختلاف فى نحو هذا الموضع سبب الالتيام
والاجتماع والاتفاق كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفريقها التى لولاها لما فسبحان الله
ما احسن ما صنع واحكم ما اسس واتقن ما دبر ولهذا قيل من عرف من نفسه صناعة
مباحة فرزق منها ان يراعيها على ما يجب وكما يجب وعليه دل النبى صلى الله عليه وسلم من رزق
من شى فليلزمه سبب نظام امور الناس حصول الفقر
وخوف الفقر هما الباعثان للحرص على الجد واحتمال الكد فى منفعة الناس اما باضطرار
واما باختيار ولهذا قيل رب ساع لقاعد ولو ان الناس لو كفى كل واحد منهم امره لادى ذلك
الى فساد العالم من حيث انه لم يكن احد يتولى لغيره مهنة وكان الواحد منهم يعجز عن القيام بمصالح
نفسه كلها فيؤدى ذلك الى فقر جميعهم وقد قيل قيام العالم بالفقر اكثر من قيامه بالغنى لان

الصناعات القائمة بالغنى ثلثة الملك والتجارة والبناية وسائرها قائمة بالفقر فلو لم يكن
الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحجامة والحياكة والدباغة والكناسة ومن كان ينقل
الميرة والملابس من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال وعلى منفعة الفقر نبه تعالى
بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الايه وبقوله ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الايه ومعلوم ان من الناس من لو كفى
امر دنياه لكان يوجد منه من البغي والتسلط ما يؤدى الى خراب البلاد وفساد العباد
بل كان يوجد منه ما يؤدى الى اهلاك نفسه في اسرع مدة وعلى ذلك دل قول الله تعالى ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض الايه ومن تدبر صنع الله في ذلك وتامل ما اشار اليه
في هذه الايات التي ذكرها لم تعرض له الشبهة التي تعرض لمن يقول اذا كان الله غنيا جوادا
واسعا لم خص بالغنى بعضهم وجعل الكريم فقيرا ومن حق الغني الذي لا يفنى غناه والجواد
الذي لا يعرف لجوده منتهى ان لا يخص بالعطية بعضا دون بعض وذلك ان الجواد الحق
هو الذي يعطي كل احد بقدر ما يستحقه على وجه يعود لمصلحته ومصلحة غيره وقد
فعل تعالى ذلك بالعباد مناسبة كل انسان لصناعته ان الله تعالى فرق بهم الناس
للصناعات المتفاوتة ويسر كلا لما خلق له وجعل آلاتهم الفكرية والبدنية مستعدة
لها فجعل لمن قيضه لمراعاة العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية وعقولا بالمعارف
لايقة وامزجة لطيفة وابدانا لينة متصلحة ومن قيضه لمراعاة المهن الدنيوية
والمحافظة عليها كالزراعة والبناء جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كزة وامزجة غليظة
وابدانا خشنة وكما انه محال ان يصلح السمع للروية والبصر للسمع كذلك من المحال الا من خلق
للمهنة يصلح للحكمة وقد جعل الله كل جنس من الفريقين نوعين رفيعا ووضيعا فالرفيع
من تحرى الحذق في صناعته واقبل على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه وادى
الامانة بقدر جهده ولم يشتغل عن عبادته كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الصانع الحاذق ومدح الملايكة بوقوفهم حيث ما وقفوا
واحكامهم لما ولوا فقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وجوب التكسب
في الدنيا وان كان معدودا من المباحات من وجه فانه من الواجبات من وجه وذلك انه اذا لم يمكن
للانسان الاستقلال بالعبادات الا بازالة ضروريات حيوته فازالتها واجبة وان كل ما
لا يتم الواجب الا به فواجب كوجوبه واذا لم يكن الى ازالة ضرورياته سبيل الا باخذ تعب من
الناس فلابد اذا ان يعوضهم تعبا له والا كان ظالما فمن توسع في تناول عمل غيره في ماكله
وملبسه ومسكنه وغير ذلك فلابد له ان يعمل لهم عملا بقدر ما تناوله منهم والا كان ظالما لهم
لانهم قصدوا افادته ولم يقصد افادتهم فمن رضى بقليل من عملهم فلم يتناول من دنياهم الا قليلا
يرضى منه بقليل عمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله بقليل الرزق رضي الله منه بقليل العمل
ومن اخذ منهم المنافع ولم يعطيهم نفعا فانه لم يأتمر الله في قوله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان ولم يدخل في عموم قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ولهذا ذم من
يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخذ عنه ولا عمل صالح في الدين يقتدى به
بل يجعل همه فارغه بطنه وفرجه فانه ياخذ منافع الناس ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد اليهم نفعا
فلا طائل في مثلهم الا ان يكدروا الماء ويغلوا الاسعار ولهذا الشان كان عمر رضي الله عنه اذا
نظر الى ذي سيما سال عنه حرفة فاذا قيل لا سقط من عينه واستحسن النبي صلى الله عليه وسلم من وفد
عبد القيس لما سالهم فقالوا المروة فقالوا العفة والحرفة ومن الدلالة على قبح فعل من هذا
صنيعه ان الله تعالى ذم من ياكل نفسه اسرافا وبدارا فما حال من اكل مال غيره على ذلك ثم لا
ينيلهم عوضا ولا يرد عليهم بدلا فحق كل مضطر الى كسب ان يقتصر على ما يسد فقره وقته ولا
يجعل همه غده على يومه فمن ضيق الساعات في جمع ماله مخافة فقره فما الذي فعل الفقر
ومن اقتصر على قدر ذلك فقد صار من المتوكلين الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا [illegible]

من تعطل وتبطل انسلخ من الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى وذلك انه خص
الانسان بالقوى الثلث ليسعى في فضيلتها فان فضيلة القوة الشهوية تطالبه بالمكاسب
التي تنميه وفضيلة القوة الغضبية تطالبه بالشهوات التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية تطالبه
بالعلوم التي تهديه فحقه ان يتامل قوته ويسير قدر ما يطيقه فيسعى لما يفيده السعادة
ويتحقق ان اضطرابه سبب وصوله من الذل الى العز ومن الفقر الى الغنى ومن الضعة
الى الرفعة ومن الخمول الى النباهة وان من تعود الكسل ومال الى الراحة فقد الراحة فحب
الهوينا يكسب النصب وقد قيل ان اردت ان لا تتعب فاتعب حتى لا تتعب وقيل اياك والكسل
والضجر فانك ان كسلت لم تؤد حقا وان ضجرت لم تصبر على حق وقال الشاعر
ان التواني انكح العجز بنته وساق اليها حين انكحها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكئي فقصرهما لا شك ان تلد الفقرا
وقال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت امر الدنيا
كله لئلا اتعود العجز وان الفراغ يبطل الهيآت الانسانية وكل هيئة بل كل عضو ترك
استعماله يبطل كالعين اذا غمضت واليد اذا عطلت ولذلك وضعت الرياضات في كل شي
ولما جعل الله للحيوان قوة التحرك لم يجعل له رزقا الا بسعي ما منه لئلا يتعطل فائدة ما جعل له
من قوة التحرك ولما جعل الله للانسان الفكرة ترك من كل نعمة انعمها تعالى عليه جانبا هو
يصلحه بفكرته لئلا تبطل فائدة الفكرة فيكون وجودها عبثا وتامل حال مريم وقد جعل لها
من الرطب الجني ما كفاها مؤنة الطلب وفيه اعظم معجزة فانه لم يخلها من ان امرها بهز ما فقال
وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكما ان البدن بتعوده الرفاهية
يكسل كذلك النفس بترك التفكر والنظر تتبلد وتتبله وترجع الى رتبة البهائم فحق الانسان
ان لا يدع ساعة او فاتة الا في اصلاح امر دينه او اصلاح امر دنياه متوصلا به الى اصلاح
امر آخرته مراعيا لما قال الحجاج عليه ما يستحقه ان امرا اتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها
ربه او يستغفر من ذنبه او يتفكر في معاده لجدير ان يطول حسرته يوم القيمة واذا تاملت

قول النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تغنموا ونظرت اليه نظرا ثانيا فعلمت انه حث على التحرك الذي
يثمر لك جنة الماوى ومصاحبة الملأ الاعلى بل مجاورة الله سبحانه وتعالى وذلك محتاج الى اربعة
اشيا معرفة المقصود المشار اليه بقوله ففروا الى الله ومعرفة الطريق المشار اليه بقوله قل هذه
سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وتحصيل الزاد المتبلغ به المشار اليه
بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والمجاهدة في الوصول اليه كما قال الله تعالى
وجاهدوا في الله حق جهاده فبهذه الاشيا يا من المغرور والذي خوفه الله منه في قوله تعالى
ولا يغرنكم بالله الغرور وهذه من المعالي التي دونها هول العوالي ولا ضير لمن رامها ان
يتدرع الصبر فقد اصاب من قال شعر فقل لمرجي معالي الامور بغير اجتهاد رجوت المحالا
[illegible] وفضيلة بعضها على بعض الصناعات ثلثة اضرب اما اصول
لا قوام للعالم دونها وهي اربعة اشيا الزراعة والحياكة والبناية والسياسة واما مرشحة لكل
واحدة من ذلك وخادمة له كالحدادة للزراعة والحلاجة والغزالة للحياكة واما متممة لكل
واحدة من ذلك ومزينة له كالطحانة والخبازة للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة
ومثل ذلك بالاضافة الى العالم مثل اجزا الشخص بالاضافة الى الشخص كالقلب والكبد والدماغ
واما مرشحة لتلك الاصول وخادمة كالمعدة والعروق والشراين واما مكملة لها ومزينة
كاليد والحاجب واشرف اصول الصناعات السياسة وهي اربعة اضرب الاول سياسة الانبيا
وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثاني الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة
دون باطنهم والثالث الحكما وحكمهم على بواطن الخواص والرابع الوعظة والفقها وحكمهم على بواطن
العامة واشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب الناس وبيان ذلك ان
اشرف الصناعات يتبين من اوجه اما بحسب النسبة الى القوة المبرزة لها كفضل معرفة الحكمة
على معرفة اللغات فان الاولى متعلقة بالقوة العقلية وهذه متعلقة بالقوة الحسية والعقل اشرف
من الحس واما بحسب عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بحسب شرف الموضوع المعمول

سوا فانها على ثلثة اضرب اما اصول

فيه الصياغة على الدباغة وقد علم ان الحكمة تدرك بالقوة المفكرة وهي اشرف قوة فانه يتوصل بها
الى الجنة المأوى وذلك ابلغ نفع وموضوعه الذي يعمل فيه نفوس البشر وهي افضل موضوع يعمل
فيه بل موجود في هذا العالم وافادة العلم من وجه صناعة ومن وجه عبادة ومن وجه اجل
خلافة الله تعالى فان الله تعالى مع استخلافه قد فتح على قلبه العلم الذي هو اخص صفاته تعالى فهو
خازن لاجل خزائنه فقد اذن له في الانفاق على كل واحد ممن لا يفوته الانفاق عليه وكل من كان
انفاقه على ما يجب وكما يجب اكثر كان جاهه عند مستخلفه اوفر فصل في ان اصول الصناعات
مأخوذة من [illegible] اصول الصناعات والمكاسب مأخوذة عن وحي وذلك ان نقص الانسان
وحاجة بعضهم الى بعض ظاهر والناقص يحتاج الى الكامل فلا يخلو اما ان يتصور اخذ واحد
عن واحد بلا غاية وذلك يجاب بما لا نهاية له وهو محال واما ان ينتهي الى واحد من البشر علمه الله
الصناعات اما بسماع من الملأ الاعلى او بالهام او منام وهذا هو الحق فمعلوم لذي اللب ان
قوى العقاقير وطبائع الحيوانات مما لا يمكن ادراك خواصها بانهام البشر وتجربتهم ورؤساء
كل صناعة يقرون بذلك واهل النجوم يقولون مبادي النجوم من هرمس ويقولون هو الذي
عرج به الى السماء فاطلع ذلك وهرمس قيل هو ادريس عليه السلام وكذلك اهل الطب يدعون
مثل ذلك في معرفة الادوية ثم اختصاص كل واحد من الموجودات بفعل له على حدته وانحسار
العقل عن توهم ما هو اصلح لذلك الفعل منه يحقق انه صدر عن حكمة الهية فصل في بيان الناض
المتعامل به [illegible] اعلم ان الناض احد اسباب ما به قوام الحياة الدنيوية
ومتى توهمناه مرتفعا تعسر على الانسان الناس توجيه معاشهم وقد تقدم ان الناس يحتاج
بعضهم الى بعض ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا ويتولى كل واحد منهم عملا يصير به معينا
للآخر هو اسباله ولما كان من رأى غيره فمن حقه ان يقابل بفعل ومواساة لكن ربما لا يحضر
صاحبه ما يريده فيقيض الله لهم هذا الناض علامة منه جل ثناؤه ليدفعه الانسان الى من
يوليه نفعا فيحمله الى من عنده مبتغاه فيأخذه منه بنقد عمله ثم اذا جاء ذلك الآخر الى الاول

بذلك

بذلك العلامة او مثلها وطلب منه مبتغى هو عنده دفعه اليه لينتظم بذلك امرهم ولهذا
قيل الدرهم حاكم صامت وعدل ساكت وخاتم من الله نافذ وقيل لهذا المعنى سمي الدينار
في لغة الفرس دينار اي اتى به الدين والدين فارسية معربة ولما كان ذلك حاكما
عظم الله وعيد من احتبسه ومنع الناس عن التعامل به فقال والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وذلك انه يصير باحتباسه اياهما
كمن احتبس حاكمين للناس بهما يتمشى امور معاشهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يشرب
في آنية الفضة انما يجرجر في جوفه نار جهنم لان اتخاذه الفضة والذهب آنية يؤدي الى منع الناس
عن تصريفه في معاملاتهم وتضييقه عليهم مكاسبهم المال اذا
اعتبر بكونه احد اسباب قوام الحياة الدنيوية وهو عظيم الخطر كما تقدم واذا اعتبر بسائر القنيات
فهو صغير الخطر اذ هو اخس القنيات فالقنيات ثلاثة نفسية وبدنية وخارجة فالخارجة
ادونها وادون الخارجات الناض لانه خادم غير مخدوم وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم
من وجه لان النفس يخدمها البدن والبدن يخدمه المآكل والملبس ويخدمها المال فالمال من حقه
ان يكون خادما لغيره من القنيات وان لا يكون شيء من القنيات خادما له وان كان كثير من الناس
لجهلهم يجعلون جاههم وابدانهم ونفوسهم خدما للمال وعبيدا وهم الذين ذمهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ولعظم موقع المال عند من
لا يتجاوز المحسوسات قال حكاية عن بعض انبيائه فيما خاطب به امته استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وجعل ولعظم منافعه في الامور الدنيوية قال ولا
تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما ونبه على حقارة قدره بالاضافة الى الاحوال الآخرة
فقال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وخوف من اعجب
باقتنائه وذمه فقال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
وقال ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا نحو [illegible] الانسان ان يعد المقتنيات

ومهدت له تمهيدا ثم

الدنيوية الآت موضوعة فى خان سفر يصلح للانتفاع بها ما دام نازلا فى ذلك الخان فيتناول
منها مقدار البلغة ويتسلى عنها بالرحلة ويشبه من لنفسه ان يكذب ويغضب ويحزن ويجبن
ويرتكب القبائح فى سببها واعلم ان الناضّ الذى هو العين والورق حجران جعلهما الله
سببا للتعامل به كما تقدم آنفا وخاصة ما ذكرناه فقبيح للحر المترشح لنيل الفضائل
والاقتدا بالبارى جل ثناؤه والوصول الى الغنى الاكبر ان يهافت على المال باكثر مما يحتاج
اليه ويجعل نفسه اقل رقيق لراحته شعر رقّ ذوى الاطماع رقٌّ مخلد
ويكون معتكفا على حجر يعبده كما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والى ان ابرهيم لما
سال الله تعالى فقال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام لم يرد الا ان يحرسه وذريته عن
محبة الاعراض الدنيوية الصارفة عن الله تعالى فنبيه صلى الله عليه وسلم واولاده ينزه عن ان يشفق
من اعتقاده فى حجر انه صانعه ويستحق عبادته وقد قال فى موضع آخر اشارة الى ما يعم هذا
المعنى وغيره يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا وقال بعض الحكما مثل الانسان
وشغفه بهذا الحجر بل بساير الاعراض الدنيوية كراكب فى سفينة قاصد الى افضل بلد
فافضى بهم المركب الى جزيرة ذات اسود واساود فامروا بالخروج والتهيؤ للطهارة
وان يكونوا على حذر وراوا حجارا مزبرجا وزبرا متورا فاعجبهم ذلك شغفوا بها فتباعدوا
عن المركب وتناسوا مقصدهم ومركبهم فبقوا الاسين حتى سارت السفينة فثارت
عليهم الاسود تفترسهم والاساود تنهشهم فلم يغن عنهم حجرهم وزبرهم شيئا وصاروا كما
قال الله تعالى حكاية عمن هذه حاله ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ذكر المال
فى اقتنائه والوجوه التى منها يحصل قد تقدم ان المال من الخيرات المتوسطة
لانه كما قد يكون سببا للخير فقد يكون سببا للشر لكن لما كان فى اكثر الاحوال موجب
كرامة اصحابه وتعظيم اربابه حتى صدق الشاعر فى قوله شعر الناس اعدا لكل مدقع
صفر اليدين واخوة المتكثر وحتى قيل رايت ذا المال مهيبا وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال

الصالح للرجل الصالح واستصوب قول الحكمة فى دعايه اللهم ارزقنى مجدا ومالا فلا يصلح المجد
الا بالمال ولا يصلح المال الا لمراعاة المجد ونظر المتنبى هذا النظر حيث قال شعر
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ❊ ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده ❊ وقال بعض الحكماء
اطلب العلم والمال تحز الرياسة فالناس خاص وعام فالخاص يفضلك بما تحسن والعام بما تملك
واكتسابه من الوجه الذى ينبغى مبلغه صعب وتفريقه سهل كما قال الشاعر شعر
له مصعد صعب ومنحدر سهل ❊ ومن رام اكتسابه من وجهه صعب عليه فالمكاسب الجميلة
قليلة عند الحر العادل ومن رضى بكسبه من حيث ما اتفق فقد يسهل عليه والفاضل ينقبض عن
اقتنائه المال ويسترسل فى انفاقه ولا يريده لذاته بل لاكتساب الحمد ولا يعتمد عنده المال
مدخرا لكن كما قيل ايا المال الدرهم المضروب وحرفته لكن يمر عليها وهو منطلق اناذا اجتمعت
يوما دراهمنا ظلت الى طرق المعروف تستبق وغير الفاضل يسترسل فى اقتنائه وينقبض
عن انفاقه ويطلبه لذاته لا لادخار الفضيلة به والمال يحصل من وجهين احدهما بسبب منسوب الى
الجد المحض والبخت الصرف بغير اكتساب من صاحبه كمن وجد كنزا او ورث مالا او قيض له من
اولاه شيئا والثانى ان يكتسب الانسان كمن يشتغل بتجارة او صناعة فيدخر منها مالا وهذا الضرب
ايضا لا يستغنى فيه عن الجد ولهذا قال على ان اسعى وليس على ادراك النجاح بحظ الجد فى المال اكثر
من حظ الكد بخلاف الاخلاق والاعمال الاخروية التى حظ الكد فيها اكثر وقد نبه الله تعالى على ذلك
بقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاوليك كان سعيهم مشكورا كلا نمد فاشترط فى العاجلة
مشية المعطى وارادة المعطى له ولم يشترط السعى واشترط فى الاخرة السعى لها مع الايمان ولم يشترط ارادة
ومشيته وان كان ذلك لا يتعرى منهما نحو العاقل ان يعنى بما اذا طلبه ناله واذا ناله لم يخف زواله وتقليل
المبالاة بما ان قدر له اتاه طلبه او لم يطلبه وقال بعض الحكما ان البخت بمنزلة امراة صما عميا او رعنا
فى حجرها جواهر وهى قاعدة على مجرد وبقربها ناس كثير يلتمسون ما عندها وهى اتسع نولا

وما ترى وجهًا وقد اعتزل عنها قوم قليل العدد وقعد واحجرة في كل ساعة تولّى قبضة
مما في حجرها واحدًا من القوم لا تخصّ بتأتيها بل ربما تخطّتهم وربما حبّاهم كأنها المعنيّة بقول الشاعر

لا تمدحنّ حسنًا في المجدان مطرت ... كفّاه جودًا ولا تذممه ان زرما
فليس يُخلّ ابتلاءً على نشب ... وان يجود بفضل المال مغترما
لكنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلًا ولا كرما

وتارة تُعرِج على من اعطته فتسلبه سلبًا وتدسّه بحجرها دسًّا واما الفضائل الاخروية
فكما قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فان اعطيته كلك فانت من اعطائه
اياك بعضه على خطر وقد قال الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى سبب اقتضاء العاقل ...
الحكمة تقتضي ان يكون العاقل الحكيم في اكثر احوال مقلًّا وذلك انه
لا ياخذ المال الا كما يجب من الوجه الذي يجب وفي الوقت الذي يجب ثم اذا تناوله
لم يدّخره عن مكرمة تعنّ له والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لا يبالي فيما يتناوله بارتكاب
محظور واستنباط محجور واستنزال الناس عما في ايديهم بالمكر ومساعدتهم على
ارتكاب الشر طمعًا في نفعهم وكثيرًا ما يرى من هم من جملة الموصوفين بقوله تعالى فمن الناس
من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق شاكين لبختهم فبعضهم يغضب
على الفلك وبعضهم يغضب على القدر وبعض يتجاوز الاسباب فيعاتب الله حتى قال بعض المجّان
لقوله نحن قسمنا بينهم وال المرء لو تولّى غيره قسمة ارزاق الورى جرت خطوب بيننا [illegible]
وذلك لحرصهم على ارتكاب المقابح وجهلهم بما يقتضيه الله لعباده من المصالح وقول الشاعر
شعر هذا الذي ترك الالباب حائرة ... وصيّر العالم النحرير زنديقا
فان الذي يصير بذلك زنديقا فان يسمى الجاهل الشرير اولى منه بان يسمى العالم
النحرير فقد قال حكيم سوءة لمن اعطي العلم فجزع لفقد الذهب والفضة ولمن
اعطي السلامة والدعة فجزع لفقد الالم والتعب فثمرة العلم السلامة والدعة وثمرة

المال

الناس عقدة وصيّر الايام نخلة ومُراصح

٨٦

المال الالم والتعب فصل في كون المال في ايدي الناس ان الله تعالى اوجد
اعراض الدنيا بلغة نأخذ بها قصيرة وما موطنا ومقرًّا الا قليلا ان لو ما حيث انزلها
الله تعالى وهم الذين وصفهم الله بقوله وقليل من عبادي الشكور فاتجروا بها تجارتهم كما قال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فاعراض الدنيا من وجه عارية
في ايدي الناس مستردة كما قال الشاعر شعر وما المال والاهلون الا ودائع
ولا بد يومًا ان تردّ الودائع
ومن وجه منيحة منحت الانسان لينتفع مدة بدرّها
وينتفع به غيره ومن وجه وديعة في يده رخص استعمالها والانتفاع بها بعد ان لا يرف
فيها لكن الانسان لجهله ونسيانه لما عهد اليه بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي
ولم نجد له عزمًا اغترّ بها فظنّ انها جعلت له هبة مؤبدة فركن اليها واعتمد عليها ولم
يؤدّ امانة الله فيها ثم طولب بردّه فتضرّر منه لما وضجر فلم يخرج عنها الا بنزع روحه او
كسر يده وبعضهم وهم الاقلون حفظوا ما عهد اليهم فتناولوها العارية والمنيحة والوديعة
فادّوا فيها الامانة وعلموا انها مسترجعة فلما استردّت منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا وردّوها
شاكرين لما نالوا منها ومشكورين لاداء الامانة فيها وقد ذكر بعض الحكماء في مثل ذلك
مثلًا فقال ان مثل الناس فيما اعطوا من اعراض الدنيا مثل رجل دعا قومًا الى داره فاطاف
طبق ذهب عليه البخور والرياحين فكان اذا دخل احدهم تلقّاه به ودفعه اليه لا ليتملّكه بل
ليشمّه ويدفعه الى من يجيء بعده فمن كان جاهلا برسومهم ظنّ انه قد وُهب له فيضجر اذا
استُرجع منه ومن كان برسومهم عالمًا اخذ بشكر وردّه بانشراح صدر تفاوت احوال الناس في تناول الدنيا
طلب الدنيا وتناولها على اضرب ثلاثة فالاول من يتناولها على
اي وجه اتفق واكثر الى المال غير متفكر في المآل واياه قصد تعالى بقوله في ذم من ذمّه يحسب
ان ماله اخلده كلا والثاني من يتناولها وذلك اذا اقتصر على ما لا يمكن التبلغ باقل منه من الوجه

على وجه يجب عليه تناوله

مباحات فريضة وفريضة مباحة لهم

الذي يجب كما يجب ولوجوب تناول هذا القدر قيل مباحات الصوفية فريضة وفريضتهم
مباح يعني انه لا يتقدم على تناول مباح حتى يضطر اليه فيتحتم تناوله عليه فيصير ما كان
مباحا تناوله فرضا عليه ويفعل من الواجبات فوق ما يجب عليه مسارعا اليه حتى يصير
حكمها حكم النوافل وروي من طلب لذة علم ما يسن فهو في جهاد وقال صلى الله عليه وسلم
لابن مسعود ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى اللقمة يضعها في في امرأته ولم يعن ان
كل احد على كل حال يؤجر في ذلك وانما اراد تخصيص المؤمنين الذين يراعون حكم
الله في مكاسبهم وانفاقهم ويتحرون في ذلك عبادة الله والضرب الثالث من يتوسع
في تناولها يراعي فيه حكم الله لكن يكون فيه وكيلا لله فيقتصر منها لنفسه على تناول
بلغة ويجعل الباقي مصروفا الى ما دعي اليه فهذا افضل ممن تقدم ذكره فانه يصير
بذلك من خلفاء الله فمن تناول الدنيا على احد هذين الوجهين فقد ارتسم الله عز وجل
في قوله تعالى وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن
كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين ولاعتبار
مثلهم قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة وقال ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون فجعلها لهم ثم قال ان في هذا لبلاغا
لقوم عابدين اي تحري في تناول الدنيا عبادة فانه يبلغ بذلك مقصوده المذكور
في قوله وان الى ربك المنتهى وقال ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم والفضل
هو الاحسان فنبه بذلك ان تناول المال اذا تحري به الوجه الذي يجب كما يجب هو فضل
واحسان يستحق به الثواب وعلى ذلك قوله تعالى واسئلوا الله من فضله وقال في مدح قوم
يتناولون الدنيا كما يجب ومن حيث يجب رجال لا تلهيهم تجارة عن ذكر الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة بيان ما ورد من الروايات المتفاوتة الظاهر في ...

من تصور الوجوه الثلثة التي تقدم ذكرها في تناول الدنيا سقطت شبهته فيما ورد من
الروايات والاخبار المتفاوتة في الظاهر من ذم الدنيا واعراضها تارة ومدحها وذلك ان
ما جاء من ذمها فاعتبارا بمن رضيها حظا لنفسه وجعلها قاصية مراده كما قال تعالى ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وما جاء من مدحها فاعتبارا بتناولها وانفاقها على ما يجب وعلى ذلك
قال امير المؤمنين رضي الله عنه الدنيا دار نجاة لمن فهم عنها ودار عبرة لمن تزود منها
والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها وعلى هذين الوجهين
مدح تارة عمارة الارضين فقال تعالى واستعمركم فيها وقال صلى الله عليه وسلم من غرس غرسا لم ياكل منه
طائر ولا بهيمة الا كان له صدقة وذم مرة عمارتها فقال تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وقال
صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها احوال الناس في ...
الناس في ذلك ثلثة اصناف صنف المنهمكون في الدنيا بلا التفات منهم الى العقبى وهم
المسمون عبدة الطاغوت وشر الدواب ونحوها من الاسماء وصنف مخالفون لهم غاية
المخالفة يراعون العقبى من غير التفات منهم الى مصالح الدنيا وصنف متوسط وفوا الدار
حقها وهذا الصنف هم الافضلون عند الحكماء لان بهم قوام اسباب الدنيا والاخرة ومنهم عامة
الانبياء لان الله تعالى بعثهم لاقامة مصالح المعاد والمعاش ولان امورهم مبنية على الاعتدال
الذي هو اشرف الاحوال واجدر ان يكون ثلاثتهم داخلين في عموم قوله وكنتم ازواجا ثلثة
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون
فالمراعي للدنيا والاخرة على ما يحسن وكما يحسن من السابقين وجعل قوم السابقين النساك
الذين رفضوا الدنيا بالكلية محتجين بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وخفي على هذا القائل ان اعظم عبادة الله ما يكون عائدا لمصالح عباده وروى ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلق كلهم عيال الله واحب الناس اليه انفعهم لعياله ولانه لا يقبح ان يشغل

دار التجارة لمن فهم عنها ودار غنى لمن ...

لانسان بامر بدنه ودنياه فيضيع احد جزويه المركب عليه كذلك يقبح ان يضيع الجزء الآخر
الذي هو بدنه ودنياه لانه يصير مضادة الله تعالى في ابطال ما اوجده واتقنه فان قيل
فقد قال بعض الحكما الناس ثلثة رجل شغله معاده عن معاشه وذلك درجة الفائزين
ورجل شغله معاشه عن معاده وذلك درجة الهالكين ورجل مشتغل بهما وذلك
درجة المخاطرين قال وقد علم ان الفائز احسن حالا من المخاطر قيل ان المنازل
الرفيعة لا تنال من مخاطرة ولم يقصد هذا القايل بذلك الى تفضيل الفاين وانما
خوف ان يترشح لخلافة الله من هو قاصر عنها ويقوي ذلك ما روي ان بعض اولاد
الملوك ممن تحقق في العلم والحكمة اعتزل الملك وزهد في الدنيا فكتب اليه بعض الملوك
قد اعتزلت ما نحن فيه فان علمت انما اخترته افضل فعرفنا لنذر ما نحن فيه ولا تحسبن
اقبل منك قولا بلا حجة فكتب اليه اعلم انا عبيد لملك رحيم بعثنا الى حرب عدو وعرفنا
ان المقصد من ذلك قهره والسلامة منه فلما قربوا من الزحف صاروا ثلثة اثلاثا تحريا
لطلب السلامة منه فاعتزل عنه فاكتسب ترك الملامة وان لم يكتسب المحمدة ومنهم واقدم
على غير بصيرة فجرحه العدو وقهره فاستجلب بذلك سخط ربه وشجاعا اقدم على
بصيرة فقاتل وابلى واجتهد فهو الفايز التام الفوز وانا لما وجدتني ضعيفا
رضيت بادنى الهمتين وادون المنزلتين فكن انت ايها الملك من افضل الطوائف
تكن اكرمهم عند الله والسلم بيان ما يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن لا
[illegible] لا اعتبار في تناول الدنيا والاستكثار منها والاستقلال والزهد فيها والرغبة
ليس بتناول القليل والكثير بل بتناولها من حيث يجب ووضعها كما يجب قال امير المؤمنين
رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله يسمى زاهدا ولو انه ترك جميع
ما في الارض ولم يرد بتركه وجه الله لم يسم زاهدا ولا كان الله في ذلك عابدا فليكن اخذك
لما تاخذه وتركك لما تتركه لله عز وجل لا لغيره واعلم ان الحكيم اذا تناول اعراض الدنيا

جرى

جرى مجرى راق حاذق يتناول حية قد عرف نفعها وضرها وامن سمها وشرها فيتحرى
بتناولها الوجه الذي ينتفع هو بها وينفع غيره فهو مباح له تناولها وغير الحكيم اذا تناولها
فهو كجاهل استحسن الحية واستلان مسها فظن انها مستصلحة لان يتقلد بها فجعلها سخابا
في عنقه فلدغته وقتلته وما احسن ما قال الشاعر في وصفها شعر
هي دنيا كحية تنفث السم ✿ وان كانت المسحة لانت ✿ فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير (المجسة)
العارف بنفع الحية ان يقتدي بالراقي الحكيم في تناول الحية والتصرف فيها كذلك لا يجوز
للجاهل ان يقتدي بالحكيم في تناول اعراض الدنيا وكما انه محال ان يسلك الاعمى
من غير قايد طريقا وعرا يسلكه البصير اذ هو غير آمن ان يقع في هوة كذلك محال
ان يسلك الجاهل مستبدا برايه في تناول اعراض الدنيا طريقا يسلكه الحكيم العالم
اذ هو غير آمن ان يقع في بادية وايضا فالدنيا غانية رعنا كما قال شعر
شيم الغانيات فيها فلا ادري ✿ لذا انثت لنا اسمها ام لا فكما ان الغانية لا يجوز
ان يدخل عليها ويخلو بها من الرجال الا من كان محرما يؤمن عليها كذلك الدنيا لا يجوز
ان يتمكن منها الا المقطوع عنها بالعفة والزهد لئلا يغتره وذلك كامير المؤمنين كرم الله وجهه
حيث قال يا حمرا يا بيضا احمري وابيضي وغري غيري هذا جناي وخياره فيه اذ
كل جان يده الى فيه ومن تصور ذلك علم ان الله تعالى قد اباح الدنيا كلها لاوليائه علما منهم
انهم لا يتناولونها الا على ما يجب وكما يجب واذا تناولوها وضعوها كما يجب وحيثما يجب
وعلى هذا قال الله تعالى ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال
ان الارض يرثها عبادي الصالحون وغير ذلك من الايات التي تقدم ذكرها ٥٥
ما ينال ارباب الدنيا من العقوبات [illegible] لله عز وجل عقوبتان في معاقبة
من تناول ما لا يجوز تناوله من الدنيا او تناول من الوجه الذي يجوز لكنه لم يوف حقه
احدى العقوبتين ظاهرة للبصر والبصيرة وذلك كعقوبة من غصب مالا مجاهرة او [illegible]

سرقة خفية، ولمن منع حق الله تعالى من الزكوة فان عقوبات ذلك ظاهرة امر السلطان
باقامتها والثانية خفية على البصر مدركة ببصائر اولي الالباب كعقوبة من تناول
مالا من حيث لا يجوز تناوله او منعه من حيث لا يجوز منعه لا على وجه فيه حد امر السلطان
باقامته فهذا عقوبته ما روي اي امرئ سكن قلبه حب الدنيا بلي بثلث شغل
لا يبلغ مداه وفقر لا يدرك غناه وامل لا يدرك منتهاه وما قال صلى الله عليه وسلم
من كانت الدنيا اكبر همه شتت الله امره وجعل فقره بين عينيه ولم يبال
الله في اي واد من الدنيا اوعلى ذلك قال الله تعالى انما يريد الله ليعذبهم في الحيوة — هلك
الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ليس يعني قلة المعيشة انما يعني ما يقاسي فيها
من الهموم والغموم التي يكدر عليه العيش

الانفاق المحمود والانفاق المذموم

الانفاق ضربان ممدوح ومذموم فالممدوح منه ما يكتسب صاحبه العدالة وهو بذل
ما اوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والانفاق على العيال ومنه ما يكسب
صاحبه الحرية وهو بذل ما ندبت الشريعة الى بذله فهذا يكتسب من الناس شكرا
ومن ذي النعمة اجرا والمذموم ضربان افراط وهو التبذير والاسراف وتفريط
وهو التقتير والامساك وكلاهما يراعى فيهما الكمية والكيفية فالتبذير من
جهة الكمية ان يعطي اكثر مما يحتمله حاله ومن حيث الكيفية فبان يضعه في غير موضعه
والاعتبار فيه بالكيفية اكثر منه بالكمية فرب منفق درهما من الوف وهو في انفاقه مسرف
وببذله مفسد ظالم كمن اعطى فاجرة درهما او اشترى خمرا ورب منفق الوفا لا يملك
غيرها وهو فيه مقتصد وببذله محمود كما روي في شان امير المؤمنين ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وقيل لحكيم متى يكون بذل القليل اسرافا والكثير اقتصادا قال اذا كان بذل القليل في
باطل وبذل الكثير في حق والتقتير من جهة الكمية ان ينفق دون ما يحتمله حاله ومن جهة الكيفية

ان يمنع

ان يمنع من حيث يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس احمد لانه جود لكنه اكثر مما
يجب والتقتير بخل والجود على كل حال احمد من البخل لان رجوع المبذر الى السخاء سهل وارتقاء
البخيل اليه صعب ولان المبذر قد ينفع غيره وان اضر بنفسه والمقتر لا ينفع نفسه
ولا غيره على ان التبذير في الحقيقة هو من وجه اقبح اذ لا اسراف الا وبجنبه حق مضيع
ولان التبذير يؤدي بصاحبه الى ان يظلم غيره ولهذا قيل الشحيح اعذر من الظالم ولانه جاهل
بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس والجهل راس كل شر والمتلاف ظالم من جهة
لاخذه من غير موضعه ووضعه في غير موضعه ولكثرة مذام الاسراف ذمه الله تعالى
باعظم ما ذم به البخل فقال ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا اي تقعد ملوما من جهة من سالك فلم تجد ما تعطيه وحسيرا
عن بلوغ مرادك وبهذا الم المتنبي فقال فلا ينحلل في المجد مالك كله فينحل
مجد كان بالمال عقده فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل
مجده وليس الاسراف متعلقا بالمال فقط بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق
به الا ترى ان الله تعالى وصف قوم لوط بالاسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال انكم
لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ووصف فرعون بقوله انه
كان عاليا من المسرفين **حقيقة السخاء والجود والشح والبخل** السخاء هيئة للانسان
داعية الى بذل المقتنيات حصل معه البذل او لم يحصل وذلك خلق ويقابله الشح و
الجود بذل المقتنى ويقابله البخل هذا هو الاصل وان كان كل واحد منهما قد يستعمل في موضع
الاخر ويدلك على صحة هذا الفرق انهم جعلوا الفاعل من السخاء والشح على بناء الافعال الغريزية
فقالوا شحيح وسخي وقالوا جواد وباخل فاما قولهم بخيل فمصروف عن لفظ الفاعل للمبالغة
كرحيم وراحم ولكون السخاء غريزة لم يوصف الباري سبحانه به وقد عظم امر
... وقّى منه ولهذا قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه

نفس المطاع ليتنبه ان وجود الشح في النفس ليس مما يستحق به ذم اذ هو ليس من فعله وانما يذم بالانقياد له وقال ومن يوق شح نفسه وقال واحضرت الانفس الشح وقال عليه السلم لا يجتمع شح وايمان في قلب عبد ابدا

فضيلة الجود وذم البخل

الجود على السنة الناس محمود ولذلك قيل كفى بالجود حمدا ان اسمه مطلقا لا يقع الا في حمد وكفى بالبخل ذما ان اسمه مطلقا لا يقع الا في ذم وقيل لحكيم اي فعل البشر اشبه بفعل الباري فقال الجود وقال عليه السلم الجود شجرة من اشجار الجنة من اخذ بغصن من اغصانها اداه الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار من اخذ بغصن من اغصانها اداه الى النار ويدل على شرفه ان الله تعالى قرن ذكره بذكر الايمان ووصف اهله بالفلاح والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين فقال الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الى قوله واولئك هم المفلحون وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وحقيق للجواد ان يقرن بالايمان فلا شي اخص به واشد مجانسة له منه فمن صفة المومن انشراح الصدر كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وهما من صفات الجواد والبخيل لان الجواد يوصف بسعة الصدر للانفاق والبخيل بضيق الصدر للامساك وقال النبي صلى الله عليه اي داء ادوى من البخل ولان البخل بلية اضرب بخل الانسان بماله وبخله بمال غيره وبخله على نفسه بمال غيره وهو اقبح الثلثة والباخل بما في يده باخل بمال الله على نفسه فقد تقدم ان المال عارية في يد الانسان مستردة ولا احد اجهل ممن لا ينقذ نفسه من العذاب الدايم بمال غيره سيما اذ لم يخف من صاحبه تبعة ولا ملامة والكفاية الالهية متكفلة باعواض المنفق فقد قال عليه السلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقال ان الله تبارك وتعالى ينزل المعونة بقدر المؤنة وروي من وسع وسع عليه

انواع الجود والمجود

الجود خمسة اضرب جود الاله تعالى وهو المبذول لكل احد على قدر استحقاقهم والثاني

الملوك

كالنجار والى عنصر يعمل منه كالخشب والى عمل كالنجر والى زمان والى مكان يعمل فيهما والى آلة يعمل بها كالمنجر والمنحت والى غرض قريب كايجاد النجار الباب والى غرض بعيد كتحصين البيت به والى مثال يعمل عليه ويحتذى به والى مرشد يرشده وكل ذلك قد ينسب اليه الفعل فيقول اعطاني زيد اذا باشر الاعطاء واعطاني الله لما كان هو الميسر له وربما جمع بين السبب القريب والبعيد فيقول اعطاني الله وزيد قال حبانا به جدنا والاله وضرب لنا خذم صايب فنسب الى السبب الاول وهو الله تعالى والى السبب المباشر وهو الضرب والى المتوسط وهو الجد وقال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها وقال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون فاسند الفعل الاول الى الآمر به والثاني الى المباشر له وقال الشاعر في صفة درع والبسنيها الهالكي وقال كساهم محرق فنسب في الاول الفعل الى عاملها وفي الثاني الى مستعملها وقال في صفة نبال كستها ريشها مضرحية فنسب كسوتها الى الطاير الذي اتخذ ريشه فجعل لها وقيل سيف قاطع فنسب الى الآلة المنفصلة وقيل ضرب فيصل وفاصل وطعن جايف فنسب الى الحدث وقيل سر كاتم وعيشة راضية فنسب الى المفعول وقال حرما آمنا فنسب الى المكان وقيل يوم صايم وليل ساهر فنسب الى الزمان وقال وما ليل المطي بنايم فلما كانت افعاله على ذلك صح في الفعل الواحد ان يثبت لاحد الاسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين وعلى ذلك قول الشاعر اعطيت من لم تعطه ولو انقضى حسن اللقاء حرمت من لم تحرم فاثبت له الفعل ونفاه عنه معا بنظرين مختلفين ويقال هذا الخشب قطعته انا لا السكين ويقال قطعه السكين لم اقطعه ويقال فلان هداه الله وهداه الرسول وهداه القرآن وهداه فهمه فنسب الى كل ذلك وقال اضله الله لما كان تعالى هو السبب الاول في وجوده ووجود سببه المضل وحوده وان لم يكن تعالى هو الداعي الى الضلال ويقال اضله الشيطان لما كان هو الداعي

حزم نحم

روايات ... الكرم

فحض المطاع لينبه ان وجود الشح في النفس ليس مما يستحق به ذم اذ هو ليس من فعله وانما يذم بالانقياد له وقال ومن يوق شح نفسه وقال واحضرت الانفس الشح وقال عليه السلم لا يجتمع شح وايمان في قلب عبد ابدا

فضيلة الجود وذم البخل

الجود على لسان الناس محمود ولذلك قيل كفى بالجود حمدا ان اسمه مطلقا لا يقع الا في حمد وكفى بالبخل ذما ان اسمه مطلقا لا يقع الا في ذم وقيل لحكيم اي فعل البشر اشبه بفعل الباري فقال الجود وقال عليه السلم الجود شجرة من اشجار الجنة من اخذ بغصن من اغصانها اداه الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار من اخذ بغصن من اغصانها اداه الى النار ومن شرفه ان الله تعالى قرن ذكره بذكر الايمان ووصف اهله بالفلاح والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين فقال الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الى قوله واولئك هم المفلحون وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وحقيق للجواد ان يقرن بالايمان فلا شي اخص به واشد مجانسة له منه فمن صفة المومن انشراح الصدر كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وهما من صفات الجواد والبخيل لان الجواد يوصف بسعة الصدر للانفاق والبخيل بضيق الصدر للامساك وقال النبي صلى الله عليه اي داء ادوى من البخل ولان البخل بالله اضر بخل الانسان بماله وبخله بمال غيره وبخله على نفسه بمال غيره وهو اقبح الثلثة والباخل بما في يده باخل بمال الله على نفسه فقد تقدم ان المال عارية في يد الانسان مستردة ولا احد اجهل ممن لا ينقذ نفسه من العذاب الدايم بمال غيره سيما اذا لم يخف من صاحبه تبعة ولا ملامة والكفاية الالهية متكفلة باعواض المنفق فقد قال عليه السلم اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقال ان الله تبارك وتعالى ينزل المعونة بقدر المؤنة وروى من وسع وسع عليه

انواع الجود والمجود

الجود خمسة اضرب جود الاله تعالى وهو البذل لكل احد على قدر استحقاقهم والله

الملوك

كالنجار والى عنصر يعمل منه كالخشب والى عمل كالنجر والى زمان والى مكان يعمل فيهما والى آلة يعمل بها كالمنجر والمنحت والى غرض قريب كايجاد النجار الباب والى غرض بعيد كتحصين البيت به والى مثال يعمل عليه ويحتذى به والى مرشد يرشده وكل ذلك قد ينسب اليه الفعل فيقول اعطاني زيد اذا باشر الاعطاء واعطاني الله لما كان هو الميسر له وربما جمع بين السبب القريب والبعيد فيقول اعطاني الله وزيد قال حبانا به جدنا والاله وضرب لنا خدم صايب فنسب الى السبب الاول وهو الله تعالى والى السبب المتاخر وهو الضرب والى المتوسط وهو الجد وقال الله تعالى يتوفى الانفس حين موتها وقال قل يتوفكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون فاسند الفعل الاول الى الآمر به والثاني الى المباشر له وقال الشاعر في صفة درع والنسبية لها لكي وقال كساهم محرق فنسب في الاول الفعل الى عاملها وفي الثاني الى مستعملها وقال في صفة نبال كستها ريشها مضرحية فنسب كسوتها الى الطاير الذي اتخذ ريشه فجعل لها وقيل سيف قاطع فنسب الى الآلة المنفصلة وقيل ضرب فيصل وفاصل وطعن جايف فنسب الى الحدث وقيل سر كاتم وعيشة راضية فنسب الى المفعول وقال حرما آمنا فنسب الى المكان وقيل يوم صايم وليل ساهر فنسب الى الزمان قال وما ليل المطي بنايم فلما كانت افعاله على ذلك صح في الفعل الواحد ان يثبت لاحد الاسباب مرة وينفي عنه مرة بنظرين مختلفين وعلى ذلك قول الشاعر اعطيت من لم تعطه ولو انقضى حسن اللقاء حرمت من لم تحرم فاثبت له الفعل ونفاه عنه معا بنظرين مختلفين ويقال هذا الخشب قطعته انا لا السكين ويقال قطعه السكين لم اقطعه ويقال فلان هداه الله وهداه الرسول وهداه القرآن وهداه فهمه فنسب الى كل ذلك وقال واضله الله لما كان تعالى هو السبب الاول في وجوده ووجود سببه المضل وجود آ وان لم يكن تعالى هو الداعي الى الضلال ويقال اضله الشيطان لما كان هو الداعي

الى الضلال ... نفسه لما كانت هى التى تركت الاحتراز وهذا افضل من
تصوره لم يعتمد فى تثبيت المعانى على مثلها من الالفاظ فينظر من اللفظ الى المعنى
بل ينظر من المعنى الى اللفظ فى نحو هذا واعلم انه من اجل هذا الذى قدمنا قال قوم
من المحصلين لا شئ من الافعال فاعله فاعل واحد على الحقيقة الا الله تعالى فان فعله
تعالى يستغنى عن الزمان والمكان وعن المادة والالة وعن مثال يحتذيه
ومن عداه تعالى لا بد له من كل ذلك او من بعضه ولهذا لا يصح ان ينسب الابداع
الى غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا ويصح ان ينسب فعل غير الله الى كل ما تقدم ذكره

قال الشيخ ابو القاسم الراغب رحمه الله هذا آخر ما قصدت تثبيته

من هذا المعنى واختم القول بحمد الله والثناء عليه والتضرع اليه فى ان ينفعنى واخوانى
بما تحريته وان يجعلنى ممن تذكر فذكر وتبصر فبصر واتعظ فوعظ وتيقظ فايقظ
فاعظم الهجنة ان يامر من لا ياتمر ويزجر من لا ينزجر وان يدعى الحكمة
من اذا تلقته المحاسن لا تجتنيه واذا تلقته المساوى لا تجتويه
يرى القذاة فى عيون اخوانه فينكرها ويترك الجذع المعترض فى اجفانه
فلا يغيرها كمن ينصح غيره ويغش نفسه كمن كسا الناس من عرى
وعورته للناس بادية ما ان يواريها وكالمسن يسن الحديد
ولا يقطع وكالصخرة الصلد الذى يمر به الماء النافع فلا ينتفع هو به
وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق
لهم ونرغب الى الله ان يجعلنا برحمته ممن ائتمر للنبى صلى الله عليه وسلم
حيث قال بادر خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك
وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحيوتك قبل موتك فما اعظم
فى القيمة الحسرة والندامة ان لم يتغمدنا الله برحمته التى وسعت كل
فسهل يا رب المجاز ويسر الى الجواز فقد حان حصادى

لمعت

الملوك وهو بسط المال على العفاة غنيهم وفقيرهم وجود السوقة اى الذين هم دون
الملوك وهو بذل المال للسوال وجود الصعاليك وهو البذل للندامى والمعاشرين
والشرب وجود عوام الناس وهو الاحسان الى الاقارب والمحمود من ذلك كله الجود الالهى
وهو بذل الموجود بقدر الطاقة لكل محتاج بقدر استحقاقها من غير امتنان ولا تاذ به
فالمعطى ما يحتاج اليه لمن لا يحتاج اليه مسرف مضيع والمعطى غيره شيئا لرهبة
واق نفسه والمعطى لرغبة فى مثوبة او لمحمدة دنيوية فتاجر وقول ابى نواس
الحسن بن هانى   فتى يشترى حسن الثناء بماله   ويعلم ان الدايرات تدور
فليس بغاية فى الوصف بالجود التام بل وصف بتجارة محمودة واحسن منه
قول ابن الرومى   وتاجر البر لا يزال له   ربحان فى كل متجر تجره
اجر وحمد وانما طلب   الاجر ولكن كلاهما اعتوره   وقد اجاد
بشار فى قوله   ليس يعطيك للرجاء وللخوف   ولكن يلذ طعم العطاء

الفصل السابع فى ذكر الافعال   انواع الافعال

الافعال ضربان الهى وانسانى فالالهى اربعة اضرب ابداع وتكوين وتربية
واحالة وجميع ذلك يسمى خلقا من حيث كان وجود كل واحد منها بمقدار
والخلق فى الاصل التقدير المستقيم فالاول الابداع وهو ايجاد الشئ دفعة
لا عن موجود ولا بترتيب ولا عن نقص الى كمال وليس ذلك الا للبارى عز وجل
وان كانت العرب تستعمل الابداع فيمن يحفر بيرا فى مكان لم يحفر قبل وفيمن
نسج شعرا او اورد كلاما لم ينسج على منواله قبل والثانى التكوين وهو
ايجاد الشئ عن عدم بترتيب ومن نقص الى كمال والمتكلمون قد يستعملون
التكوين موضع الابداع ولما هفوا عن حقيقة التكوين استشنعوا
... قال السماء ليست بمكونة وقدروا انه ليست بمبدعة
... ة وانما اراد هذا القايل فيما ذكر اصحابه ودل عليه كلامه

ان الله ابدعها ابداعا كما قال بديع السموات والارض ولم يخلقها خلقة ناقصة في ابتداء
نشئه ثم كملها شيئا فشيئا كالحيوان والانسان والنبات والثالث تربية الشئ وهو
تغذيته وذلك استخلاف ما تحلل من الابدان ما وجد عن كون ليبقى المدة
المضروبة له وبه قيل له تعالى رب العالمين والرابع احالة الشئ وهو التغايير
اللاحقة للكائنات في كيفياتها من لون وطعم ورايحة والفعل الانساني ثلثه
اضرب نفساني فقط وهو الاذكار والعلوم وما ينسب الى افعال القلوب وبدني
وهو الحركات التي يفعلها الانسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود وصناعي وهو
ما يفعله الانسان بمشاركة البدن والنفس كالحرف والصناعات

الفرق بين الفعل والعمل والصنع

الفعل لفظ عام يقال لما كان باجادة وغير اجادة ولما كان بعلم او غير علم وقصد او غير قصد ولما كان من الانسان والحيوان
والجمادات واما العمل فانه لا يقال الا لما كان من الحيوان دون ما كان من الجمادات
ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعلم وقال بعض الادباء العمل
مقلوب عن العلم فان العلم فعل القلب والعمل فعل الجارحة وهو يبرز عن فعل
القلب الذي هو العلم وينقلب عنه واما الصنع فانه يكون من الانسان دون
ساير الحيوان ولا يقال الا لما كان باجادة ولهذا يقال للحاذق المجيد والحاذقة
المجيدة صنع وصناع والصنع قد يكون بلا فكر لشرف فاعله والفعل
قد يكون بلا فكر لنقص فاعله والعمل لا يكون الا بفكر لتوسط فاعله فالصنع
اخص المعاني الثلثة والفعل اعمها والعمل اوسطها فكل صنع عمل وليس
كل عمل صنعا وكل عمل فعل وليس كل فعل عملا وفارسية هذه الالفاظ تنبئ
عن الفرق بينها فانه قيل للفعل كار وللعمل كردار وللصنع كنش

انواع الصناعات

الصناعات ضربان علمي وعملي فالعملي ما يستغنى
فيه عن الاستعانة بالجوارح من الرجل واليد

الالهية والحساب والعملي ما يحتاج فيه الى الاستعانة بالجوارح وذلك ضربان الاول
شئ ينقضي بانقضاء حركة الصانع كالرقص والزمر والمحاكاة والثاني
يبقى له اثر وذلك ضربان ضرب يبقى له اثر معقول لا محسوس كالطب
والبيطرة وضرب يبقى له اثر محسوس كالبناء والكتابة

الافعال الارادية وغير الارادية

الافعال التي تظهر من غير الله تعالى
اما تسخيري واما غير تسخيري فالتسخيري هو الذي يظهر ممن يظهر لا بقصد وارادة منه
وقد يكون ذلك من الجماد والحيوان وذلك نوعان نوع بتسخير الباري تعالى كاحراق النار الحديد
وتبريد الثلج الماء وضرب بتسخير بشر كطحن الرحا ودوران الدولاب واما غير التسخيري
فضربان ضرب يكون من فاعله مبدأ الارادة وضرب لا يكون منه مبدأ الارادة
فالذي منه مبدأ الارادة ثلثة الاول بحسب التمييز لمن يتناول الخبز دون الشئ يوتر اليه
والثاني بحسب الغضب كمن يبطش بمن يغضب عليه والثالث بحسب الشهوة كمن يتناول
ما اشتهاه لشهوته والذي لا يكون منه مبدأ الارادة ضربان ضرب لا يكون منه مبدأ
الارادة ولا منتهاه كمن رمى غرضا فاصاب رجلا وضرب لا يكون منه مبدأ الارادة ولكن
يكون منه منتهاه كمن حصل في سفينة فخاف الغرق فكلف ان يلقي متاعه في
الماء ليتخلص والافعال من الجمادات تقع بالتسخير فقط ومن النبات تقع بالتسخير و
بالنزاع الذي تقتضيه القوة الشهوية ومن الحيوان تقع بهما وبالغلبة التي تقتضيها
القوة الغضبية ومن الانسان يكون بكل ذلك وبالفكرة التي تقتضيها القوة العاقلة

ما يستحق به من الافعال اللوم وما لا يستحق به ذلك

الافعال ضربان ارادي وغير ارادي فالارادي ضربان ضرب عن روية وضرب لا عن روية
فالذي عن روية ضربان احدهما عن روية يظن في غاية الشرف وهو ما يكون بحسب
النفس الناطقة ويسمى الاختيار وهو طلب ما هو خير له ويستحق به الحمد ابدا اذا كان على الحقيقة اختيارا
والثاني عن روية فيما ليس هو في غاية الشرف وذلك اما بحسب القوة الغضبية

وهو دفع ما يضره واما بحسب القوة الشهوية وكل واحد منهما اذا كان بقدر ما يوجبه العقل
يستحق به الحمد واذا كان زايدا او ناقصا عما يوجبه العقل يستحق به الذم والارادي الذي
عن روية واختيار ضربان احدهما ما يفعله في نفسه والثاني ما يفعله لغيره وكل واحد
منهما ضربان نفع وضر فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد وما قصد به نفع
غيره فقد يستحق به الحمد والشكر معا وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم و
ما قصد به ضر غيره فقد يستحق به الذم والعتب عليه وغير الارادي ثلثة اضرب
الاول ان يكون قسريا وهو ما يكون مبدؤه من خارج ولا يكون من اربابه معونة من وجه
كمن رفعته ريح فسقطه على آنية فكسرها فلا ملامة فيه بوجه والثاني ان يكون
الجائيا كمن اكرهه سلطان على ان يفعل فعلا ما وعلى هذا متى كان الملجا اليه
قبيحا جدا والسبب الملجي اليه خفيفا يستحق مرتكبه الذم كمن يضرب بان يقتل انسانا
ومتى كان الملجا اليه ليس بجد قبيح والسبب الملجي اليه عظيما لا يستحق مرتكبه الذم
كمن يوضع على حلقه السيف فيهدد بان يقتل ان لم يتكلم بكلام قبيح وكلاهما
يقال لهما الاكراه والثالث الخطاء وهو ما يكون مبدؤه من صاحبه وذلك نوعان
احدهما ما تولد عن فعل وقع منه وله ان يفعله كمن رمى هدفا فاصاب انسانا
فذلك لا يستحق به ملامة ما لم يقع من صاحبه تقصير في الاحتراز والثاني ما
يتولد عن فعل ليس له ان يفعله كمن شرب فسكر فحمله سكره على ان كسر اناء او
ضرب انسانا فان ذلك يستحق الملامة وان لم يرد كسر الاناء ولا ضرب الانسان
فقد ارتكب محظورا ادى به الى وقوع ذلك منه فالضرب الاول يقال اخطاه
فهو مخطئ والثاني يقال له خطئ فهو خاطئ ولهذا قال اهل اللغة خطئ
ما كان على سبيل العمد واخطاء ما كان على سبيل السهو **الاسباب
التي يمكن نسبة الفعل اليها** اكثر الاسباب التي يحتاج اليها الا
في وجوده عشرة اشياء فانه يحتاج في حصوله الى فاعل يصدر عنه ا

كالنجار

مرالمؤ ... در ترغیب زیارت آنحضرت در آنمکان بغیر آنچه سابقا ذکر کردیم بسیار است واحادیث بد
ایز ... بعد از این مذکور خواهد شد انشاء الله تعالی **فصل سیم** در بیان زیارات مطلقهٔ آنحضرت که
معقد بوقتی از اوقات ... **اول** زیارتیست که شیخ مفید وسید بن طاوس وشیخ شهید قدس الله
ارواحهم در کتب خود ذکر کرده اند وبروایت نسبت داده اند اگرچه از بعضی قراین مفهوم میشود که دعا
چند در میان روایت درج فرموده باشند وروایت دیگر بایں روایت ضم کرده باشند وشیخ مفید ره
فرموده است که مرویست از صفوان که ... بود بخدمت حضرت امام جعفر صادق ع که چگونه زیارت
کنیم حضرت امیر المؤمنین ع را فرمود که ای صفوان هرگاه که اراده زیارت نمائی غسل بکن ودو جامهٔ
پاک بپوش وبچیزی از بوی خوش خود را خوشبو کن واگر نیابی ونکنی ترا مجزیست وچون از خانهٔ
خود بیرون میروی بگو اَللّٰهُمَّ اِنِّی قَدْ خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلی اَبْغی فَضْلَكَ وَاَزُورُ وَصِیَّ نَبِیِّكَ صَلَواتُكَ
عَلَیْهِما اَللّٰهُمَّ فَیَسِّرْ ذٰلِكَ لی وَسَبِّبِ الْمَزارَ لَهُ وَاخْلُفْنی فی عاقِبَتی وَحُزانَتی بِاَحْسَنِ الْخِلافَةِ یا اَرْحَمَ
الرّاحِمینَ پس روانه شو وحال آنکه میگفته باشی اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَسُبْحانَ اللّٰهِ وَلا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وچون بخندق
کوفه برسی بایست نزد خندق وبگو اَللّٰهُ اَکْبَرُ اَللّٰهُ اَکْبَرُ اَهْلَ الْکِبْرِیاءِ وَالْمَجْدِ وَالْعَظَمَةِ اَللّٰهُ
اَکْبَرُ اَهْلَ التَّکْبیرِ وَالتَّقْدیسِ وَالتَّسْبیحِ وَالْآلاءِ اَللّٰهُ اَکْبَرُ مِمّا اَخافُ وَاَحْذَرُ اَللّٰهُ اَکْبَرُ عِمادی
وَعَلَیْهِ اَتَوَکَّلُ اَللّٰهُ اَکْبَرُ رَجائی وَاِلَیْهِ اُنیبُ اَللّٰهُمَّ اَنْتَ وَلِیُّ نِعْمَتی وَالْقادِرُ عَلی طَلِبَتی تَعْلَمُ
حاجَتی وَما تُضْمِرُهُ هَواجِسُ الصُّدُورِ وَخَواطِرُ النُّفُوسِ فَاَسْئَلُكَ بِمُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَی الَّذی قَطَعْتَ
بِهِ حُجَجَ الْمُحْتَجّینَ وَعُذْرَ الْمُعْتَذِرینَ وَجَعَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمینَ اَنْ لا تَحْرِمَنی ثَوابَ زِیارَةِ وَلِیِّكَ
وَاَخی نَبِیِّكَ اَمیرِ الْمُؤْمِنینَ وَقَصْدَهُ وَتَجْعَلَنی مِنْ وَفْدِهِ الصّالِحینَ وَشیعَتِهِ الْمُتَّقینَ بِرَحْمَتِكَ
یا اَرْحَمَ الرّاحِمینَ وچون نمودار شود برای تو قبهٔ شریفهٔ آنحضرت بگو اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذی ما
اَخْتَصَّنی بِهِ مِنْ طیبِ الْمَوْلِدِ وَاسْتَخْلَصَنی اِکْراماً بِهِ مِنْ مُوالاةِ الْاَبْرارِ السَّفَرَةِ الْاَطْهارِ وَ
الْخِیَرَةِ الْاَعْلامِ اَللّٰهُمَّ فَتَقَبَّلْ سَعْیی اِلَیْكَ وَتَضَرُّعی بَیْنَ یَدَیْكَ وَاغْفِرْ لِیَ الذُّنُوبَ الَّتی
لا تَخْفی عَلَیْكَ اِنَّكَ اَنْتَ اللّٰهُ الْمَلِكُ الْغَفّارُ پس چون برسی بثویه که آن در این زمان تلی است
نزدیک قبرستان از جانب چپ راه از برای کسی که از کوفه بنجف آید دو رکعت نماز در آنجا بکن که
جماعتی از مخصوصان اصحاب حضرت امیر المؤمنین ع در آنجا مدفون شده اند وبخوان آن دعا را
که در هنگام دیدن قبهٔ مقدسه خواندی وچون بعمارت حنانه برسی دو رکعت نماز بکن زیرا
که روایت کرده است ابن ابی عمیر از مفضل که چون حضرت امام جعفر صادق ع گذشت بعمارتی

روایت [illegible]